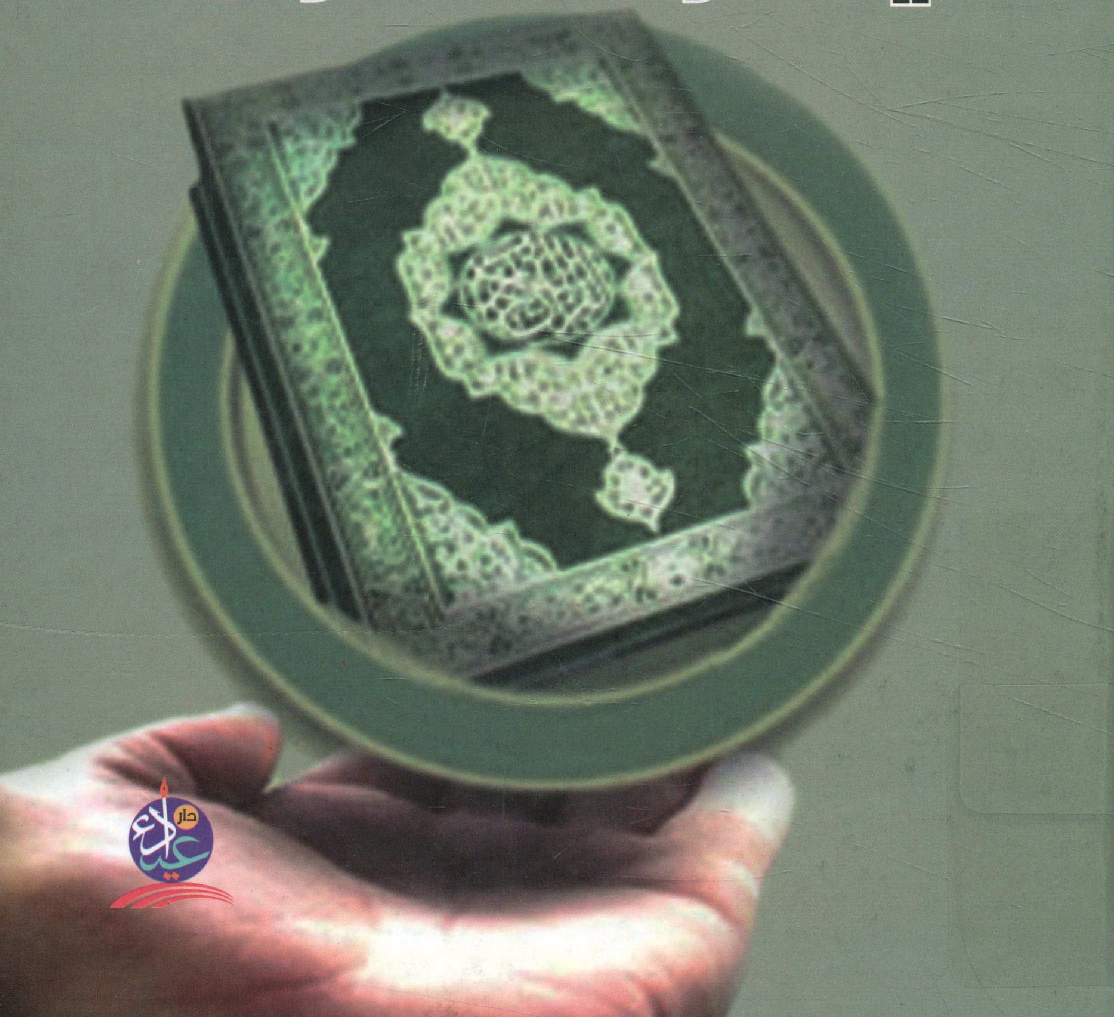
الدّكتور
شوكت عليّ درويش

الالتفات نحويّا
في القراءات القرآنيّة



بسم الله الرحمن الرحيم

الالتفات نحويّاً

في القراءات القرآنيّة

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2010/1/82)

225.2
درويش، شوكت علي
الالتفات نحوياً في القراءات القرآنية / شوكت علي عبدالرحمن درويش.- عمان: المؤلف، ٢٠١٠.

( ) ص
ر.إ: (2010/1/82).
الواصفات:/ بلاغة القرآن // نحو القرآن // القرآن /

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 978-9957-480-48-6

دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس: 5353402 6 962+
خلوي: 95667143 7 962+
ص.ب: 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com

الالتفات نحويّاً

في القراءات القرآنيَّة

الدُّكتور

شوكت عليّ عبد الرَّحمن درويش

الطبعة الأولى

1432 هـ - 2011م

الإِهداء

إلى المرحومين بإذن الله – تعالى–

والدي ووالدتي وابني أُدد .

وإلى أبنائي الأعزاء عمر وخبيب ومحمد وعبد الرَّحمن.

وبناتي العزيزات نسيبة وولّادة ورفيدة.

وإلى زوجتي ماجدة.

الفهرس

الكشّافات

كلمة لا بدَّ منها

أمّا بعد؛ التقيت بعض الإخوان، وتدارسنا سورة يونس، فلمّا وصلنا الآية الكريـــمة: ﴿كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس 10: 22] قال أحدهم: لِمَ قال – ربُّ العزَّة – هذا، فانتقل من الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: هذا من فنون القول، وُجد في كلام العرب، والقرآن الكريم أنزل بلسان عربيٍّ مبين، وهذا باب يطلق عليه البلاغيون (الالتفات)، وهو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التَّكلُّم، ولا بدَّ له من فائدة، وقد حصرها البلاغيون في أنَّها:

1 – حسن تطرية لنشاط السَّامع.

2 – إيقاظ للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد.

3 – قد تختص مواقعه بفوائد. (1)

وكنت قد أشرت في كتابي "الرُّخصة النَّحويَّة" إلى شيء من ذلك(2)، وكذلك في كتابي "العلامة الإعرابيَّة بين ورش وحفص"(3) وكانت الرَّغبة تنازعني بأن أبحث الالتفات نحويّاً، حسب معاني النَّحو، وأثرها في المعنى، وجمعت ما تمكنت من جمعه من كتب البلاغة، ودرست ما قاله البلاغيون عن الالتفات، ولاحظت أنهم كرَّروا العبارات نفسها، والَّتي

(1) الكشّاف 1/ 56. تطرية: طَرّى إليه: أقبل.

(2) الرُّخصة النَّحويَّة 256 مثلاً؛ وغيرها.

(3) العَلامة الإعرابيَّة بين ورش وحفص 376 مثلاً، وغيرها.

قبستها من الكشَّاف آنفاً، فزادت رغبتي وقويت، في دراسته دراسة نحويَّة، وحسب علمي لم يدرسه أحد قبلي درساً نحويَّاً، ولم يبحثه بهذه المنهجيَّة باحث، وقد أنار قول العلَّامة عبد القاهر الجرجانيّ في كتابه "دلائل الإعجاز" السَّبيل أمامي حيث يقول: "واعلم أن ليس النَّظم إلاّ أن تضع كلامك الموضع الَّذي يقتضيه علم النَّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه الَّتي نُهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرُّسوم التي رُسمت لك، فلا تُخِلَّ بشيء منها، وذلك أنّا لا نعلم شيئاً يبتغيه النَّاظم بنظمه، غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه".[1]

وإنَّني أفهم من قول عبد القاهر: أنَّ الأصل في فهم معنى الجملة أو العبارة أو النَّصِّ؛ هو تحكيم علم النَّحو بأصوله الَّتي اتَّفقت عليها المدارس النَّحويَّة، والقواعد الّتي أقرتها مدرسة ما من المدارس النَّحويَّة، وخالفتها فيها مدرسة أخرى، كما نرى في المسائل الخلافيَّة بين المدرستين الأساسيَّتين مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة، وبهذه المعرفة تمييز الصَّواب من الخطأ، وما يجوز وما لا يجوز، وكذلك لا بدَّ من معرفة خصائص كل باب نحويّ، وقيمه الخلافيَّة، فإن أحسنت ذلك وفهمته وأتقنته؛ فقد أصبت وفهمت وأجدت.

وحيث يقول: "هذا هو السَّبيل، فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً، وخطؤه إن كان خطأً إلى النَّظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلاّ وهو معنى من معاني النَّحو؛ قد أصيب به موضعه، ووضع في حقِّه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وُصف بصحة نظم أو فساده، أو وُصف

(1) دلائل الإعجاز 64.

بمزية وفضل فيه إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصِّحة، وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النَّحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه". [1]

وإنَّني أفهم من قول العلاَّمة عبد القاهر: "أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له... ." أنَّ المتكلِّم قد يخرج إلى ما يُخالف أصلاً أو قاعدة، مع النَّظر إلى أنَّ هذا الخروج لم يخالف الأصل أو القاعدة؛ إلاّ لفائدة أو حكمة ارتآها، وأحبَّ أن يشدَّ نظر السَّامع وانتباهه أو القارئ وتركيزه ودراسته؛ إلى أمر يريده، وحكمة ينشدها، ولا يتأتى له ذلك إلاّ ضمن معاني النَّحو وأحكامه، فالخروج على الأصل أو القاعدة يبعث على التَّساؤل، والتَّساؤل يقود إلى التَّحاور، والتَّحاور يفضي إلى الفهم، والفهم يُسلم إلى التَّفنن في القول بوعي وإدراك؛ وبهذا يُصان المعنى، وينتفي اللَّبس.

فكان لزاماً عليّ أن أدرس الالتفات دراسة واعية، فاستعنت بكتب علوم القرآن الكريم، وكتب التَّفسير، وكتب إعراب القرآن الكريم، وكتب القراءات، وكتب النَّحو والمسائل، وكتب معاني النَّحو، وكتب البلاغة، قديمها وحديثها، وغيرها مما يخدم البحث.

وعزمت، وتوكلت على الله، فجمعت ما وجدته في القرآن الكريم من الالتفات في رواية حفص عن عاصم[2]، ثم عاودت الدِّراسة مرة أخرى فدرست الآيات في روايات

(1) دلائل الإعجاز 65. والرُّخصة النَّحويَّة 182.

(2) مصحف المدينة المنوَّرة؛ مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف.

ورش عن نافع[1]، وقالون عن نافع[2]، والدُّوريّ عن أبي عمرو[3]، واستعنت بكتب التَّخريجات، وخرَّجت ما في القراءات القرآنيَّة من التفات، ثم أخذت في دراستها، بعد أن قسمتها على قسمة سيبويه حيث "الأصل في الكلام البداية بالمتكلم، ثم بالمخاطب، ثم بالغيبة".[4]

وكان منهجي في تناول البحث أن قدَّمت بدراسة عن الالتفات عند المعجميِّين، والبلاغيِّين، وختمتها بملاحظات حول أقوالهم في الالتفات، وَلِمَ سأدرسها (الظَّاهرة) نحويّاً، ثم أتبعتها بما تحرص عليه اللُّغة؛ من أنَّ أمن اللَّبس أغلى ما تحرص عليه استعمالاً، وأثمن ما يتطلبه اللُّغويون تحليلاً، ومن ثم يصبح الوصول إليه غاية لا يدعو الأمر بعدها إلى البحث عن مزيد من القرائن.

وإنَّ غاية الإنسان من النَّظر في نصٍّ هو فهمه، وهذا يتطلب منه النَّظر في العلاقات المنطوقة أو المكتوبة، ولهذا رأيتني أتحدث عن المستويات اللُّغوية: من المستوى الصَّوتيِّ، إلى المستوى الصَّرفيِّ بإيجاز، إلى المستوى النَّحويِّ، وأبرزت أنَّ العلاقة بين المباني المكوِّنة للتَّركيب لها الدَّور الأهمُّ في تأدية المعنى، وأنَّ هذه العلاقات علاقات مقاليَّة وعلاقات مقاميَّة، تنظِّم العلائق فيه القرائن المعنويَّة، والقرائن اللَّفظيَّة، وقد أوضحتها بإيجاز، وبيّنت أثرها في فهم

---

(1) المصحف الشَّريف الحسنيّ المسبّع؛ الرِّباط – المغرب؛ عام 1417هـ.

(2) مصحف الجماهيريَّة؛ جمعية الدَّعوة الإسلاميَّة العالميَّة، طرابلس – الجماهيريَّة العربيَّة الليبيَّة الشَّعبيَّة الاشتراكيَّة العظمى.

(3) مصحف إفريقيا؛ دار مصحف إفريقيا؛ الخرطوم – السُّودان.

(4) الكتاب 2 / 364، وإعراب القرآن المنسوب للزَّجَّاج ق3 / 923.

المعنى، ولِمَ تمَّ العدول عن المطابقة والاتِّساق، والّتي فهمتها من كلام العلاّمة عبد القاهر – كما أسلفت –: "أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له."

وكان منهجي في البحث حسب الخطوات التّالية:

1- كتابة الآية الكريمة كما وردت في رواية حفص عن عاصم.

2- أتبعتها بالقراءات في ذلك الحرف، ومن قرأ به.

3- تناولت بالدِّراسة ما فيها من التفات بلاغيّاً.

4- ذكرت فائدة الالتفات بلاغيّاً.

5- تناولت ما فيها من عدول (التفات) نحويّاً.

6- ذكرت فائدة العدول نحويّاً.

7- حرصت على كتابة مفردات الآيات في الشّرح بالرّسم القرآنيّ؛ حفاظاً على قدسيّة القرآن الكريم، وعدم الوقوع في لبس الشّكل .

8- أوردت بعض الفوائد النَّحويَّة، وبخاصة عند أصحاب علوم القرآن والتَّفسير.

9- قبست ما رأيته مفيداً من أقوال علمائنا في هذا المجال مما يخدم البحث.

10- ختمتها بخلاصة للبحث.

11- أتبعتها بأربعة كشّافات:

أحدهما: العدول (الالتفات) عن المطابقة حسب أنواعه، والآيات والسُّور الَّتي ورد فيها.

والثّاني: العدول (الالتفات) عن المطابقة في سور القرآن الكريم.

والثّالث: الشّواهد القرآنيّة.

والرّابع: المصادر والمراجع.

أرجو أن أكون قد وفقت في البحث والتّناول، وأرجو الله أن ينفع به.

وأتمنى على الله التّوفيق دائماً، فإن أصبت فمن الله – سبحانه وتعالى– وإن أخطأت فمن نفسي المقصِّرة.

العبد الفقير إلى الله

د. شوكت عليّ عبد الرّحمن درويش

الثّلاثاء 19 محرّم 1431هـ

5 كانون الثّاني 2010م

الباب الأوَّل
الالتفات

الفصل الأوَّل
الالتفات لغة واصطلاحاً

الفصل الثَّاني
أقوال العلماء في الالتفات
ملاحظات على أقوال العلماء

الفصل الأوَّل

الالتفات لغة واصطلاحاً

"لَفَتَ وجهَه عن القوم صَرَفَه، والْتَفَتَ التِفاتاً، والتَّلَفُّتُ أكثرُ منه.

وتَلَفَّتَ إلى الشَّيءِ والْتَفَتَ إليه: صَرَفَ وَجْهَه إليه. ولَفَتَهُ يَلْفِتُه لَفْتاً: لواه على غير جهته. ولَفَتَه عن الشَّيء يَلْفِتُه لَفْتاً: صَرَفَه. واللَّفْت: لَيُّ الشَّيءِ عن جهتهِ كما تَقْبِضُ على عُنُق إنسان فتَلْفِتُه. ولَفَتُّ فلاناً عن رأيه أي: صَرَفْتُه عنه، ومنه الالتفات. ولَفَتَ الشَّيءَ، وفَتَلَه إذا لواه: وهذا مقلوب. يقال: فلانٌ يَلْفِتُ الكلامَ لَفْتاً. أي: يُرْسِلُه ولا يُبالي كيف جاء".[1]

"ومن المجاز: لَفَتَّه عن رأيه: صَرَفْتُه. وفلان يَلْفِتُ الكَلامَ لَفتاً: يرسله على عواهنه لا يبالي كيف جاء".[2]

"لفت – (اللَّفْت) اللَّيُّ وبابه ضَرَبَ. وفي حديث حُذَيفة – رضي الله عنه – "إنَّ مِنْ أقرإ النَّاس للقرآن مُنَافِقاً لا يَدَعُ منه واواً ولا ألفاً يَلْفِتُهُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَلْفِتُ البَقَرَةُ الخَلَى• بِلِسَانِها". و(لَفَتَ) وَجْهَه عنه: صَرَفَه. و(لَفَتَه) عن رأيه: صَرَفَهُ، وبابه ضَرَبَ. و(التَفَتَ التِفاتاً). و(التَّلَفُّت) أكثر منه".[3]

"التَفَتَ: بِوَجْهِهِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً و(لَفَتَه) (لَفتاً) من باب ضَرَبَ: صَرَفَهُ إلى ذاتِ اليَمينِ أَو الشِّمَال، ومنه يقال: (لَفَتُّهُ) عن رأيه (لَفتاً) إذَا صَرَفْتُه عَنْه...".[4]

"لفت: يقال: لَفَتَهُ عن كذا: صَرَفَهُ عَنْه، قال – تعالى- : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا ﴾

(1) لسان العرب 2 / 84؛ مادة لفت.

(2) أساس البلاغة 411؛ مادة لفت.

• الخَلَى: الواحدة "خَلاة" الجمع أَخْلاء: العُشب.

(3) مختار الصحاح 600؛ مادة لَفَتَ.

(4) المصباح المنير 2 / 555؛ مادة لَفَتَ.

[يونس 10: 78] أي: تَصْرِفَنَا، ومنه: التفت فلان: إذا عدل عن قِبَلِهِ بوجهه، وامرأة لفوت: تلفت من زوجها إلى ولدها من غيره. واللَّفيتة: ما يغلظ من العَصِيدَةِ."(1)

الالتفات: المخاطبة – Apostrophe – : الانتقال الفجائيّ أثناء الكلام إلى مخاطبة شخص أو شيء حاضر أو غائب: ويطلق الآن عادة على مخاطبة شخص غائب، أو معنى مجسّد، مثال ذلك في العربية قول المتنبِّيّ:

عِيـــدٌ بِأَيَّـــةِ حَـــالٍ عُـــدْتَ يَـــا عِيـــدُ   بِـمَا مَـضَى أَمْ بِـــأَمْرٍ فيـــكَ تَجْدِيـــدُ

والالتفات في علم المعاني العربيّ انتقال كلّ من التّكلّم أو الخطاب أو الغيبة إلى الآخر في التّعبير كقول امرئ القيس:

نَـــــامَ الخَـــــلِيُّ وَلَمْ يَرْقُـــــدِ   تَطَـــاوَلَ لَيْلُـــكَ بِالأَثْمُـــدِ

فانتقل فيه من الغيبة في (يرقد) إلى الخطاب في (ليلك).(2)

لفت الشَّيء، يلفته لفتاً: لواه على غير وجهه، وصرفه إلى ذات اليمين وذات الشِّمال. ولفت فلاناً عن الشَّيء: صَرَفَه. والْتَفَتَ التفاتاً إلى الشَّيء: صرف وجهه إليه. ويُقال: التفت بوجهه يَمْنَةً ويَسْرَةً: مال به. والتفت عنه: أَعْرَضَ. ويقال: لفتُّ فلاناً عن رأيه؛ أي: صرفته عنه، ومنه الالتفات.(3)

وقال ابن الأثير(ت:637): "وحقيقته (أي: الالتفات) مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يُقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا... ".(4)

(1) مفردات ألفاظ القرآن/ 743.

(2) معجم المصطلحات العربيّة في اللُّغة والأدب/ 35 مادة الالتفات. والرّواية كما وردت في شرح ديوان امرئ القيس؛ لأبي جعفر النَّحاس، قرأه ووضع فهارسه وعلّق عليه د.عمر الفجّاويّ، سلسلة كتب ثقافيّة تصدرها وزارة الثّقافة، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، رقم 24، سنة 2002م، صفحة160.

تَـطَـــاوَلَ لَـــيْلُـــكَ بِالأَثْـــمُـــدِ   وَنَـــامَ الخَـــلِيُّ وَلَمْ يَـــرْقُـــدِ

(3) المعجم الوسيط؛ 2/ 838؛ مادة: لَفَتَ، والمنجد 727، ومعجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها 1/ 294.

(4) المثل السّائر 2 / 3.

والالتفات اصطلاحاً: التَّعبير عن معنى بطريق من الطُّرق الثَّلاث الَّتي هي: التَّكلُّم والخطاب والغيبة؛ بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق آخر من الطُّرق الثَّلاث بشرط أن يكون التَّعبير الثَّاني على خلاف ما يقتضيه الظَّاهر ويترقَّبه السَّامع.[1]

(1) معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها 1 / 294.

الفصل الثَّاني
أقوال العلماء في الالتفات

حدَّ الزَّمخشريّ الالتفات بأنَّه قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التَّكلُّم، كقوله – تعالى- :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ [يونس10: 22] وقوله – تعالى- :﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ ﴾ [فاطر 35: 9].

وقد أوضح الزَّمخشريُّ (ت:538) أنَّ الالتفات من الأساليب التي جاءت على سَنَنِ العرب في كلامهم، فأورد ثلاثة أبيات لامرئ القيس؛ قال: إنَّ فيها ثلاث التفاتات(1)؛ قال

---

(1) - قال أبو حيَّان: "ودعوى الزَّمخشريِّ في أبيات امرئ القيس الثَّلاثة أَنَّ فيه ثلاثة التفاتات غير صحيح، بل هما التفاتان، الأوَّل: خروج من الخطاب المفتتح به في قوله: تطاول... إلى الغيبة في قوله: وبات وباتت... .

والثَّاني: خروج مِن هذه الغيبة الى التَّكلُّم في قوله: وذلك من نبإ... ."

البحر المحيط 1 / 24. والنَّهر المادّ (بهامشه) 1 / 24، والدُّرُّ اللَّقيط (بهامشه) 1 / 24.

- وقال الإمام ناصر الدِّين أحمد بن محمَّد بن منير الإسكندريّ: "يعني أنَّه ابتدأ بالخطاب، ثم التفت إلى الغيبة، ثم إلى التَّكلم، وعلى هذا فهما التفاتان لا غير، وإنما أراد الزَّمخشريَّ –والله أعلم– أنَّه أتى بثلاثة أساليب: خطاب لحاضر، وغائب، ولنفسه، فوهم بقوله ثلاث التفاتات، أو: تجعل الأخير ملتفتاً التفاتين عن الثَّاني وعن الأوَّل؛ فيكون ثلاثاً.

كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشَّاف من الاعتزال 1 / 56؛ بهامش الكشَّاف.

وقد ورد في نهاية الأرب، وحسن التَّوسل: "يخاطب في البيت الأوّل، وانصرف إلى الأخبار في البيت الثَّاني، وانصرف إلى التَّكلُّم في البيت الثَّالث على التَّرتيب".

* نهاية الأرب في فنون الأدب، صفحة 118، وحسن التَّوسل إلى صناعة التَّرسل، ص226. =

امرؤ القيس:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأَثْمُدِ ... وَنَامَ الخَلِيّ وَلَمْ تَرْقُدِ
وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ ... كَلَيْلَةِ ذِي العَائِرِ الأَرْمَدِ
وَذلِكَ مِنْ نَبَإٍ جَاءَنِي ... وَخُبِّرْتُهُ عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ

ثم قال: "وذلك على عادة افتنانهم في الكلام، وتصرفهم فيه، ولأنَّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك:

- أحسن تطرية لنشاط السّامع،
- وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد،
- وقد تختص مواقعه بفوائد". [1]

وقال السّيوطيُّ (ت:911): "ومن سَنَن العرب أن تخاطب الشّاهد، ثم تحوّل الخطاب إلى الغائب، أو تخاطب الغائب ثم تحوّله إلى الشّاهد، وهو الالتفات. [2] وأن تخاطب المخاطب،

= وإنّني أرى أنّه التفت من الخطاب في (تطاول ليلك) إلى الغيبة في (وبات وباتت) ثم التفت من الغيبة في (وبات وباتت) إلى التّكلّم في قوله: (وذلك في نبإٍ جاءني) والالتفات الثّالث من الخطاب في (تطاول ليلك) إلى التّكلّم في (وذلك من نبإٍ جاءني).

- تطاول ليلك: كناية عن السّهر، وهو خطاب لنفسه، والأصل: ليلي. والأثْمُد: اسم موضع، والخليّ: الخلو من الهموم. والعائر: قذى العين، وقيل: الرّمد. والأوّل أولى؛ ليكون أشقّ للجمع بينهما، أو: يحصل التّرقّي أيضاً. النّبأ: قال الرّاغب: خبر، وفائدة عظيمة يحصل به علم، أو: غلبة ظنّ، ولا يقال للخبر نبأ حتّى يتضمّن ما ذُكر، فهو أخصّ من مطلق الخبر. شرح شواهد المغني 732.

(1) الكشّاف 1 / 56.

(2) كقول النّابغة:

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ ... أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَمَدِ

فخاطب، ثم قال: أقوت.

ثم يرجع الخطاب لغيره، نحو: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾ الخطاب للنبيِّ – ﷺ – ثم قال للكفَّار: ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ يدل على ذلك قوله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [هود 11: 14].

وأن يُبتدأ بشيء ثم يُخبَر عن غيره، نحو: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [البقرة 2: 234] فخبّر عن الأزواج وترك الَّذين.(1)

وذكره أبو عبيدة (ت:210) في كتابه مجاز القرآن، فقال: "ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغائب ومعناها للشَّاهد، قال: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة 2: 1، 2] مجازه: ﴿ الٓمٓ ﴾ هذا القرآن.

ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشَّاهد، ثم تُركت وحُولِّت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب؛ قال الله –تعالى– : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ [يونس 10: 22] أي: بكم.

ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب ثم خوطب الشَّاهد؛ قال: ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ [القيامة 75: 33– 34].(2)

قال – تعالى –:

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ ﴾ [التَّوبة 9: 1] ثم خاطب شاهداً، فقال: ﴿ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [التَّوبة 9: 2]. سيروا، وأقبلوا، وأدبروا. والعرب تفعل هذا.

قال عنترة:

شَطَّتْ مَزَارُ العاشِقِينَ فَأَصبَحَتْ ... عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ(3)

قال – تعالى– : ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [يونس 10: 1]. ومجاز

(1) المزهر 1/ 334.

(2) مجاز القرآن 1/ 11.

(3) مجاز القرآن 1/ 252.

﴿ ءَايَٰتُ ﴾ مجاز أعلام الكتاب، وعجائبه، وآياته أيضاً: فواصله، والعرب يخاطبون بلفظ الغائب وهم يعنون الشَّاهد، وفي آية أخرى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة 2: 1 – 2] مجازه هذا القرآن. ثم أورد بيت عنترة.(1)

وقال: "والعرب قد تخاطب فتخبر عن الغائب والمعنى للشَّاهد، فترجع إلى الشَّاهد وتخاطبه. ثم ذكر بيت عنترة.(2)

ولعلَّ الأصمعيَّ (ت:216) أوَّل من سماه التفاتاً، فقد سأل اسحق بن إبراهيم الموصليّ: أتعرف التفاتات جرير؟ قال: وما هي؟ فأنشده:

أَتَنْسَى إذ تُودِّعُنِي سُلَيْمَى ... بِفَرْعِ بَشَامَةٍ سُقِيَ البَشَامُ

ألا تراه مقبلاً على شعره، ثم التفت إلى البشام، فدعا له.(3)

وأدخله ابن قتيبة (ت:279) في باب "مخالفة ظاهر اللَّفظ معناه" وقال: ومنه أن تخاطب الشَّاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب كقوله -عزَّ وجلَّ- : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا ﴾ [يونس 10: 22].(4)

وقال المبرّد (ت:285): والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشَّاهد، ومخاطبة الشَّاهد إلى مخاطبة الغائب. قال الله -جلَّ وعزَّ- : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ [يونس 10: 22]، كانت المخاطبة للأُمَّة، ثم انصرفت إلى النَّبي -ﷺ- إخباراً عنهم.

وقال ابن المعتزِّ (ت:296) في تعريف الالتفات: "هو انصراف المتكَلِّم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف من معنى

(1) نفسه1/ 273.

(2) مجاز القرآن 2 / 139.

(3) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 1 / 295. نقلاً عن العمدة 2 / 46. وفيه: تودعنا... بعود بشامة. والبشام كما في اللسان 14 / 316 "شجر طيب الرِّيح والطَّعم يستاك به".

(4) المرجع نفسه 1/ 295-296.

يكون فيه إلى معنى آخر".[1][2]

وقال الصَّنعانيُّ (ت: 1266هـ): "وقيل الالتفات هو أن يكون المتكلِّم آخذاً في معنى فيعدل عنه إلى غيره قبل تمام الكلام، ثم يعود إليه فيتمّه، فيكون فيما عدل إليه مبالغة وزيادة حسنة".[3]

يقول الدُّكتور أحمد مطلوب: "وبدأ الالتفات يأخذ معنى دقيقاً بعد أن بدأت البلاغة تستقرّ، وقد عرَّفه الرَّازيُّ بقوله: "إنّه العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو على العكس" وادخله السَّكَّاكيُّ في علم المعاني، وقال: "إنَّ هذا النَّوع أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص المسند إليه، ولا هذا القدر؛ بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمَّى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني. والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السَّامع، وأحسن تطرية لنشاطه واملأ باستدرار إصغائه، وهذا ما ذكره الزَّمخشريُّ من قبل."[4]

وقال السَّكَّاكيُّ (ت:626): إنّه قد ينتقل بالصِّيغة من الماضي إلى المضارع،[5] وذكره مرَّة ثالثة في البديع[6]، وهذا يدل على أنَّ الالتفات كان عنده من علم المعاني مرَّة، ومن علم البديع مرَّة أخرى.

ويقول أبو حيَّان (ت:745): "وقد عقد أرباب علم البديع باباً للالتفات في كلامهم

---

(1) البديع / 58.

(2) يقول الدّكتور أحمد مطلوب: والالتفات أوّل محاسن الكلام الّتي ذكرها ابن المعتزّ بعد فنون البديع الخمسة وهي: الاستعارة، والتّجنيس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدّمها، والمذهب الكلاميّ. المرجع نفسه 1 / 296.

(3) معجم المصطلحات البلاغيّة 1 / 297.

(4) نفسه 1/ 298.

(5) مفتاح العلوم 118.

(6) مفتاح العلوم 200.

ومن أجلّهم كلاماً فيه ابن الأثير الجزريّ – رحمه الله تعالى –(1).

وقال ابن الأثير (ت:637هـ) في الالتفات: "وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النَّوع من الكلام خاصَّة، لأنَّه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر. أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضٍ... .

ثم قال: ويسمى أيضاً "شجاعة العربيَّة"، وإنما سمِّي بذلك؛ لأنَّ الشَّجاعة هي الإقدام، وذلك أنَّ الرَّجل الشُّجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورّد ما لا يتورّده سواه، وكذلك هذا الالتفات في الكلام.

وهو – عند ابن الأثير – ينقسم على ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: في الرُّجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة.

اعلم أنَّ عامة المنتمين إلى هذا الفن إذا سُئلوا عن الانتقال عن الغيبة إلى الخطاب وعن الخطاب إلى الغيبة، قالوا: كذلك كانت عادة العرب في أساليب كلامها، وهذا القول هو عُكّاز العميان، كما يقال، ونحن إنَّما نسأل عن السَّبب الَّذي قصدت العرب ذلك من أجله.

وقد نقد ما ذهب إليه الزَّمخشريّ (ت:538) من أنَّ الانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السَّامع وإيقاظ للإصغاء إليه، وقال: "والَّذي عندي في ذلك أنَّ الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلاّ لفائدة اقْتَضَتْه، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنَّها لا تُحَدُّ بحدٍّ، ولا تُضْبَط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها".

"وكان الزَّمخشريُّ (ت:538) قد أشار إلى مثل ذلك بعبارة موجزة فقال: "وقد تختص مواقعه بفوائد(2): أي: إنَّه رأى أنَّ الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ليس للتطرية

(1) البحر المحيط 1 / 24.

(2) الكشّاف 1 / 56.

والإيقاظ والتنبيه وحدها". (1)

ثم قال ابن الأثير(ت:637): وسأوضّح ذلك في ضرب من الأمثلة الآتي ذكرها.

فأما الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، فكقوله - تعالى- في سورة الفاتحة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة 1: 2 – 7] هذا رجوع من الغيبة إلى الخطاب، فقد رجع من الغيبة في أوّل الكلام، إلى الخطاب في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾

ومما ينخرط في هذا السّلك الرُّجوع من خطاب الغيبة إلى خطاب النَّفس، كقوله - تعالى- : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢ ﴾ [فصّلت 41: 11 و 12]، وهذا رجوع من الغيبة إلى خطاب النَّفس، فإنّه قال: ﴿ وَزَيَّنَّا ﴾ بعد قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ ﴾ وقوله ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ ﴾ ﴿ وَأَوْحَىٰ ﴾ .

ومما ينخرط في هذا السلك أيضاً، الرُّجوع من خطاب النَّفس إلى خطاب الجماعة؛ كقوله - تعالى- : ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ﴾ [يس 36: 22].

وعلى هذا الأسلوب يجري الحكم في الرُّجوع من خطاب النَّفس إلى خطاب الواحد؛ كقوله - تعالى- : ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ ﴾ [الدُّخان 44: 1 – 6].

وأما الرُّجوع من الخطاب إلى الغيبة، فكقوله - تعالى- : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٢٢ ﴾ [يونس 10: 22].

(1) معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها 1/ 299.

القسم الثَّاني:- في الرُّجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

فمما جاء منه قوله - تعالى- : ﴿ قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ ﴾ [هود 11: 53-54] فإنَّه إنَّما قال: ﴿ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ ﴾ ولم يقل: وأُشهدكم.

وكذلك يرجع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر، توكيداً لما أجري عليه فعل الأمر، كقول - تعالى- : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الأعراف 7: 29]، وكان تقدير الكلام: أمر ربِّي بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كلِّ مسجد.

القسم الثَّالث: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضي.

فالأوَّل: الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي؛ كقوله - تعالى- : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝ ﴾ [فاطر 35: 9].

وأما الضَّرب الثَّاني الَّذي هو مستقبل - فكقوله - تعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجّ 22: 25].

وأما الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل؛ فهو عكس ما تقدم ذكره، فكقوله - تعالى- : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [النَّمل 27: 87].

ومما يجري هذا المجرى الاخبار باسم المفعول عن الفعل المستقبل، وإنَّما يفعل ذلك لتضمّنه معنى الفعل الماضي؛ فمن ذلك قولـه - تعالى- : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝ ﴾ [هود 11: 103][1]

وقد حدَّه الرَّازيُّ (ت:606) فقال: "الالتفات: قيل إنَّه العدول عن الغيبة إلى

(1) المثل السّائر 2 / 3 - 16.

الخطاب أو على العكس".

فالأوّل: قوله – تعالى– : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة1: 4و5]. والثاني: قوله – تعالى– : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ [يونس10: 22].

وقيل: هو تعقيب الكلام بجملة تامّة ملاقية إيّاه في المعنى ليكون تتميماً له على جهة المثل أو غيره، كقوله – تعالى– : ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ۝٨١ ﴾ [الإسراء 17: 81] وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ [التّوبة 9: 127].[1]

وقد عدّه السّيوطيّ (ت:911) من ألقاب علوم البديع.[2] قال: ومنها الالتفات، وهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أعني من التّكلّم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التّعبير بالأوّل؛ هذا هو المشهور.

وقال السّكّاكيُّ (ت:626): إمّا ذلك أو التّعبير بأحدهما فيما حقه التّعبير بغيره.

وله فوائد، منها: تطرية الكلام، وصيانة السّمع عن الضّجر والملل، لما جُبلت عليه النُّفوس من حب التنقلات، والسّآمة من الاستمرار على مِنْوَال واحد. هذه فائدته العامّة. ويختص كل موضع بنُكت ولطائف باختلاف محله".[3]

وقد حدّه الجرجانيُّ (ت:816) بقوله: "هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التّكلُّم، أو على العكس".[4]

وقد أورده الشّيخ ناصيف اليازجيّ اللُّبنانيّ (ت:1871م) تحت عنوان "العدول عن مقتضى الظّاهر" فقال: "من خلاف مقتضى الظّاهر الالتفات. وهو الانتقال من كل من التّكلُّم والخطاب والغيبة إلى صاحبه على غير ما يقتضيه سياق الكلام افتناناً في الحديث وحملاً

---

(1) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز/ 146 – 147.

(2) معترك الأقران 1 / 374.

(3) معترك الأقران 1 / 377 – 378.

(4) التّعريفات/ 34.

للسّامع على فضل إصغاء إليه؛ فيكون:

1- من التّكلّم إلى الخطاب؛ نحو: ﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١ ﴾ [الصّافات 37: 21]. فمقتضى الظّاهر أن يقال: كنّا به نكذّب. أو إلى الغيبة نحو: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الزّمر 39: 53]. (ومقتضى الظّاهر: "رحمتي").

2- من الخطاب إلى التّكلّم؛ نحو: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠ ﴾ [هود 11: 90]. (مقتضى الظّاهر: "إنّ ربّكم رحيم ودود"). أو إلى الغيبة؛ نحو: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩ ﴾ [آل عمران 3: 9]. (مقتضى الظّاهر: "إنك لا تخلف الميعاد").

3- من الغيبة إلى التّكلّم؛ نحو: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝٤٨ ﴾ [الفرقان 25: 48]. (مقتضى الظّاهر: "وأنزلنا من السّماء ماء"). أو إلى الخطاب؛ نحو: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [البقرة 2: 83]. (أي: "لا يعبدون إلاّ الله").(1)

وقد أورد أحمد الهاشميّ (ت:1978م) الالتفات فقال: "الالتفات: وهو الانتقال من كل من التّكلّم أو الخطاب أو الغيبة إلى صاحبه لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتّأمل في مواقع الالتفات تفنناً في الحديث وتلويناً للخطاب حتى لا يملّ السّامع من التزام حالة واحدة، وتنشيطاً وحملاً له على زيادة الإصغاء، فإن لكل جديد لذّة، ولبعض مواقعه لطائف مِلاك إدراكها الذّوق السّليم.

(1) مجموع الأدب / 83.

واعلم أنَّ صور العدول إلى الالتفات ستَّة:

1- عدول من التَّكلُّم إلى الخطاب؛ كقوله - تعالى- : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ﴾ [يس 36: 22]. والقياس: "وإليه أرجع".

2- عدول من التَّكلُّم إلى الغيبة، كقوله - تعالى- : ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزُّمر 39: 53].

3- عدول من الخطاب إلى التَّكلُّم؛ كقوله - تعالى- : ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ ﴾ [هود 11: 90]، ولو جاء الكلام متطابقاً (متَّسقاً) لقال: إنَّ ربَّكم رحيم ودود.

4- عدول من الخطاب إلى الغيبة؛ كقوله - تعالى- : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩ ﴾ [آل عمران 3: 9].

5- عدول من الغيبة إلى التَّكلُّم؛ كقوله - تعالى- : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ٤٨ ﴾ [الفرقان 25: 48]. والقياس: "وأنزل".

6- عدول من الغيبة إلى الخطاب، كقوله - تعالى- : ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [البقرة 2: 83].[1]

وقد أورد السّيوطيّ (ت:911) التنبيهات التَّالية:

- **الأوّل:** شرط الالتفات أن يكون الضَّمير في المُنْتَقَل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المُنْتَقَل عنه، وإلاّ يلزم عليه أن يكون في أنت صديقي؛ التفات.
- **الثّاني:** شرطه أيضاً أن يكون في جملتين.
- **الثّالث:** ذكر التّنوخيّ في الأقصى القريب، وابن الأثير[2] وغيرهما نوعاً غريباً من الالتفات؛ وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلّمه، كقوله: ﴿ غَيۡرِ

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع؛ ط 12، صفحة 239-240.

(2) المثل السَّائر 2 / 5.

﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة 1: 7] بعد ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ [الفاتحة 1: 7]؛ فإنَّ المعنى: غير الَّذين غضبت عليهم.

- الرَّابع: قال ابن أبي الإصبع (ت:654)[1]: جاء في القرآن من الالتفات قسم غريب جدّاً لم أظفر في الشِّعر بمثله، وهو أن يقدِّم المتكلِّم في كلامه مذكورين مرَّتين، ثم يخبر عن الأوَّل منهما، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثَّاني، ثم يعود[2] إلى الإخبار عن الأوَّل؛ كقوله – تعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ ﴾ [العاديات100: 6 و7]؛ انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربِّه – تعالى- ، ثم قال منصرفاً عن الإخبار عن ربِّه إلى الإخبار عن نفسه[3] ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ [العاديات 100: 8].

قال: وهذا يحسن أن يسمَّى التفات الضَّمائر.

- الخامس: يقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع إلى الخطاب الآخر ذكره التَّنُّوخيّ وابن الأثير[4]؛ وهو ستة أقسام أيضاً:
  - مثاله من الواحد إلى الاثنين: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس 10: 78].
  - وإلى الجمع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [الطَّلاق65: 1].
  - ومن الاثنين إلى الواحد: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ ﴾ [طه20: 49]. ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝١١٧ ﴾ [طه20: 117].
  - وإلى الجمع: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ [يونس10 :87].

---

(1) بديع القرآن/ 45.

(2) في بديع القرآن: ثم يعود فينصرف عن الإخبار عن الثَّاني إلى الإخبار عن الأوَّل.

(3) في الإتقان والبديع: عن الإنسان.

(4) المثل السَّائر 2/ 6-9.

- ومن الجمع إلى الواحد: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يونس 10: 87].
- وإلى الاثنين: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرحمن 55: 33 - 34].

- السّادس: ويقرب منه أيضاً – الالتفات من الماضي أو المضارع أو الأمر إلى الآخر.
- مثاله من الماضي إلى المضارع: ﴿ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [فاطر 35: 9]، ﴿ خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾ [الحجّ 22: 31] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجّ 22: 25].
- وإلى الأمر: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ [الأعراف 7: 29]، ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ﴾ [الحجّ 22:30].
- ومن المضارع إلى الماضي: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ ﴾ [النّمل 27: 87]، ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الكهف 18: 47].
- وإلى الأمر: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ ﴾ [هود 11: 54].
- ومن الأمر إلى الماضي: ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ ﴾ [البقرة 2:125].
- وإلى المضارع: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام 6: 72].(1)

فهذا القرآن الكريم يقدم لنا في مئات الآيات أسلوب استعمال ضمير الغياب في مكان ضمير التّكلّم فيما يقول الله عن ذاته العليّة، ولكن لا نجد لذلك من غرض بلاغي سوى لفت الأذهان إلى ما تعبر الآيات عنه من المعاني، وهذا ما سمّاه البلاغيون بالالتفات. أي: تحويل الضّمائر عن استمرار نسقها المألوف.

ومن ذلك قوله – تعالى- : ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ [المؤمنون 23: 111- 112] ثم: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون 23: 115- 116].

ويغلب في سورة النّمل استعمال ضمير الغيّاب وصيغه الفعلية دالة على الله – سبحانه – بل إن استعمال صيغ التّكلّم الدّالة عليه – سبحانه – فيها قليل جدّاً بالقياس إليها.(2)

(1) معترك الأقران 1 / 382 – 385.

(2) الضّمائر في اللّغة العربيّة / 209.

ملاحظات على أقوال العلماء

لنا على ما سلف من قول ملاحظات:

1- إن جُلّ البلاغيِّين عدّوا الالتفات من علم البديع.

2- عدّه السَّكَّاكيُّ من علم المعاني، وهو في رأيي أقرب إلى حقيقة الالتفات.

3- أدخله ابن قتيبة في باب مخالفة ظاهر اللَّفظ معناه، ولم يوضِّح المقصود بـ"معناه"، أهو المعنى الصَّرفيّ، أو المعنى النَّحويّ، أو المعنى السِّياقيّ ؟ علماً بأنَّ عبارة "مخالفة ظاهر اللَّفظ معناه" توحي بأنَّ المعنى المقصود هو المعنى الصَّرفيّ كما أفهمه[1]، وَيعني بالضَّرورة العدول عمّا يقتضيه سياق الكلام واتِّساقه.

4- ونرى عند الصَّنعانيّ عدم وضوح المعنى، حيث يقول: وقيل: الالتفات هو أن يكون المتكلِّم آخذاً في معنى فيعدل عنه إلى غيره قبل تمام الكلام، ثم يعود إليه فيتمُّه.

أرى أنَّ العدول كلمة فضفاضة، هل هو عدول عن اتِّساق المفردات الصَّرفيَّة (أي: المعاني الصَّرفيَّة)، أو هو عدول من مستوى نحويّ (معنى نحويّ) إلى معنى آخر؟ ثم يقول: "فيعدل عنه إلى غيره قبل تمام الكلام، ونلحظ أنَّ الالتفات كما جاء في تنبيهات السّيوطيّ أن يكون في جملتين والكلام لا يعتبر جملة إلاّ إذا أفاد معنى، والعطف يربط جملة بجملة. ثم يقول: "ثم يعود إليه فيتمّه" هل يتمّ المعنى الذي عدل عنه؟ فإن كان ذلك فإنَّ ما عدل إليه يكون جملة تفسيريَّة، أو جملة معترضة وهذا ما لا يساير الالتفات.

5- أمّا السَّكَّاكيّ فكان أبين قولاً حيث قال: "هو تعقيب الكلام بجملة تامَّة ملاقية إيَّاه في المعنى؛ ليكون تتميماً له على جهة المثل أو غيره".

وهذا واضح أنَّ المعنى هنا هو المعنى السِّياقيّ (أو: المعنى بمعنى التَّفسير والشَّرح).

(1) وهو كما أسلفنا القول: هدية الصَّرف إلى النَّحو.

6- وقد تبع اليازجيُّ والهاشميُّ ابن قتيبة في إدخال الالتفات في باب العدول عن مقتضى الظَّاهر، وقد عدّاه من علم البديع.

7- من هنا أرى أنَّ الالتفات عدول نحويٌّ عدل فيه قائله عن المطابقة الَّتي سنبينها في القرائن النَّحويَّة والمعنى.

8- إنَّ كلَّ مَن حدّ الالتفات قال: إنه انتقال من غيبة إلى... .

9- إنّني أرى أنّ الالتفات نحويّاً: هو عُدول نحويّ عدل فيه صاحبه (المتكلِّم) عن المطابقة (الاتِّساق) بين جملتين يكون الضّمير في المعدول إليه عائداً إلى المعدول عنه، في الأمر نفسه، قصد به صاحبه توضيح العلاقة بين المباني المكوِّنة للتَّركيب، واعيًا ما يريد أن يوصله إلى السَّامع، وأن يضيف معنى جديداً لم يكن ليتحقَّق لو جاء الكلام متّسقاً متطابقاً.

الباب الثَّاني

المستوى النَّحويّ

الفصل الأوَّل

المعنى وأنواعه

الفصل الثَّاني

النِّظام النَّحويّ

الفصل الثَّالث

القرائن المعنويَّة

الفصل الرَّابع

القرائن اللَّفظيَّة

الفصل الأوَّل

المعنى وأنواعه

إنَّ أمن اللَّبس هو أغلى ما تحرص عليه اللُّغة استعمالاً وأثمن ما يتطلَّبه اللُّغويون تحليلاً، ومن ثمَّ يصبح الوصول إليه غاية لا يدعو الأمر بعدها إلى البحث عن مزيد من القرائن.(1)

وإنَّ غاية الإنسان من النَّظر في نصٍّ هو فهم النَّصِّ، وإنَّ سبيله إلى ذلك أن ينظر في العلاقات المنطوقة أو المكتوبة، وإنَّ العلاقة بين المباني المكوِّنة للتَّركيب لها الدَّور الأهمّ في تأدية المعنى، وإنَّ هذه العلاقات يمكن أن نقسمها على علاقات مقاليّة وعلاقات مقاميَّة، فالعلاقات المقاليَّة تعتمد المقال الذي تنظِّم العلائق فيه (القرائن المعنوَّية والقرائن اللَّفظيَّة) ولوضوح القرائن اللَّفظيَّة فإنَّ من السَّهل على المعرب أن يلحظها داخل النَّصِّ، وإن التبست عليه وهي مفردات.(2) وأمّا القرائن المعنويَّة فهي العلاقات التي تقوم بين الأبواب في السِّياق من حيث المعنى الوظيفيّ الصَّرفيّ والنَّحويّ، وإنَّ اتّضاح العلاقة بين باب وباب في السِّياق ليعتبر بذاته قرينة على المعنى، ومن هنا كانت العلاقات الواضحة خير دليل من أدلَّة الفهم بالنِّسبة للسَّامع، ومن أدلَّة التَّحليل بالنِّسبة للمعرب.(3)

(1) الرُّخصة النَّحويَّة / 167.

(2) الرُّخصة النَّحويَّة / 186.

(3) اللِّسان العربيّ . مجلة دوريّة للأبحاث اللّغويّة ونشاط التَّرجمة والتَّعريب، يصدرها مكتب تنسيق التّعريب في الوطن العربيّ، بالرّباط (المملكة المغربيّة) ، المجلّد الحادي عشر، الجزء الأوّل، عام 1394 - عام 1974، ص61. بحث للدّكتور تمّام حسّان.

والمعنى الَّذي يحمله النَّصُّ أنواع مختلفة:

- **منها المعنى الحقيقيّ؛ أي:** ما وضع اللَّفظ بإزائه أصالة، وهو ما يتكفل به (علم المعجم). والمعجم قائمة من الكلمات التي لا يجمعها نظام معين، وقد يجمعها علاقة اشتقاقيَّة معيَّنة؛ هي اشتراكها في أصول المادة، ومعنى الكلمة في المعجم متعدد ومحتمل، ولكنَّ معنى اللَّفظ في السِّياق واحد لا يتعدَّد، والكلمة المعجميَّة صامتة في ذاكرة المجتمع، أو بين جلدتي المعجم.

- **ومنها المعنى الاستعماليّ؛** الَّذي تجاوزت اللُّغة فيه ذلك المعنى الأصليّ، فاستعملت اللفظ في غيره؛ على سبيل المجاز أو الكناية، وهذا ما يتكفل به (علم البيان)؛ "وأوضح ما في علم البيان من مباحث هو الدّلالات الاستعماليَّة للكلمة. والمعروف أنَّ الواضع يضع الكلمة أوّلاً للمعنى الحقيقيِّ العرفيِّ وليس للمعنى المجازيِّ الفنيِّ، ولكنَّ كلمات اللُّغة دائماً في كل مجتمع أقلّ بكثير جدّاً من تجارب هذا المجتمع، فلو أنَّ المجتمع اكتفى باستخدام الكلمات في معانيها الحقيقيَّة لأصبحت تجاربه الَّتي تعبر اللُّغة عنها محدودة ولضاع معظم تجارب المجتمع في متاهات النِّسيان؛ لأنَّ الكلمة عقال المعنى، والمعنى الشَّارد بلا عقال لا بدَّ له أن يضلَّ ويختفي ويضيع إلى الأبد، وكذلك كان لا بدَّ من حلٍّ لهذه المشكلة في اتجاهين:

أ- محاولة إثراء اللُّغة بإيجاد كلمات للمعاني الَّتي لم يعبر عنها ولم توضع لها كلمات من قبل.

ب- محاولة الانحراف بالمعنى العرفيّ للكلمة إلى معان أخرى فنيَّة بيانيَّة تسمى المعاني المجازيَّة كالتَّشبيه والاستعارة والمجاز المرسل.

"غير أنَّ هذه المعاني الفنيَّة المجازيَّة يكثر ترديدها على الألسنة مع إطلاقها المجازيّ الفنيّ، فحين يطول عليها الأمد في هذا الاستعمال يميل النَّاس إلى اعتبار دلالتها على المعنى

المجازيّ الجديد دلالة عليه على سبيل الحقيقة ومن ثم يصبح معنى الكلمة متعدِّداً وترصد لها هذه المعاني المتعدِّدة في المعجم فتكون الكلمة بين جلدتي المعجم محتملة لكل معانيها المعجميَّة المختلفة المنشأ حتى توضع في سياق يحدِّد لها واحداً من هذه المعاني".[1]

- **ومنها المعنى الوظيفيّ، وهو** : ما تؤديه الكلمة – بما لها من معنى حقيقيّ، أو استعماليّ – في أثناء تركيبها مع غيرها من (وظيفة) من أجلها استخدمت في هذا التَّركيب، هي كونها (حدثاً صادراً عن ذات) أو (فاعلاً) صدر عنه الحدث، أو (مفعولاً) وقع عليه الحدث، أو (تمييزاً) لمبهم قبلها، أو (استثناءً) من حكم سابق، أو (شرطاً) لحكم لاحق، أو غير ذلك من معان وظيفيَّة لا تفهم إلاّ عند التَّركيب، والعلم الذي يتكفَّل بهذه المعاني التي سمِّيت بالمعاني النَّحويَّة هو (علم النَّحو).[2]

والنَّحو لا يتّخذ لمعانيه مباني من أيِّ نوع إلاّ ما يقدمه له الصَّرف من المباني[3]، والصَّرف يستعين بالأصوات أيضاً، ثم يقدِّم العناصر الصَّوتيَّة إلى النَّحو باعتبارها عناصر

---

(1) اللُّغة العربيّة معناها ومبناها 320.

(2) البحث النَّحويُّ عند الأصوليِّين 8 – 9.

(3) كل الصِّيغ الَّتي للأسماء بأنواعها، والصِّفات، والأفعال؛ تندرج تحت مباني التَّقسيم، وتكون فروعاً على هذه الأقسام، وتشبهها في ذلك صور الضَّمائر، والإشارات والموصولات، والظُّروف، والخوالف، والأدوات. واللُّغة تعمد عند اتفاق المباني إلى إيجاد أنواع المقابلات بينها، فيكون إيجاد المقابلات بواسطة مباني التَّصريف، فتسند الأفعال إسنادات مختلفة بحسب التَّكلُّم، والخطاب، والغيبة، وبحسب الإفراد، والتَّثنية، والجمع، والتَّعريف والتَّنكير، فتكون معاني التَّصريف على هذا مجالاً للقيم الخلافيَّة تفترق الصِّيغ على أساسها، فالتَّكلُّم والخطاب والغيبة تولِّد القيم الخلافيَّة بين الضَّمائر والأفعال، فتكون أساس اختلاف صور هذه وإسناد تلك.

صرفيّة.[1]

ولّلغة العربيّة الفصحى أنظمة لُغويّة هي: النّظام الصّوتيّ، والنّظام الصّرفيّ، والنّظام النّحويّ، ولكل نظام مبانيه ومعانيه.

وما يهمّنا هنا هو النّظام النّحويّ.

(1) اللّغة العربيّة معناها ومبناها 178.

الفصل الثَّاني

النِّظام النَّحويّ

النَّحو: هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التَّراكيب العربيَّة من الإعراب والبناء وغيرهما.

وقيل: علم بأصول يعرف بها صحيح الكلام وفساده". [1]

وقيل: "علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم في التَّركيب. والتَّركيب: إما بنسبة إسناديَّة؛ فجملة، أو: غير إسناديَّة؛ فتقييديّ، أو: بلا نسبة؛ فمزجيّ". [2]

وينبني هذا النِّظام على الأسس الآتية:

1- طائفة من المعاني النَّحويَّة العامَّة؛ كالخبر والإنشاء، والإثبات والنفي والتَّأكيد...

2- مجموعة من المعاني النَّحويَّة الخاصَّة؛ أو معاني الأبواب المفردة؛ كالفاعليَّة، والمفعوليَّة والحاليَّة...

3- مجموعة من العلاقات الَّتي تربط بين المعاني الخاصَّة، وتكون قرائن معنويَّة عليها حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها؛ كعلاقة الإسناد، والتَّخصيص والنِّسبة والتَّبعيَّة.

4- ما يقدمه علما الصَّرف والصَّوتيات لعلم النَّحو من المباني الصَّالحة للتَّعبير عن معاني الأبواب، وتلك الصَّالحة للتَّعبير عن العلاقات؛ فليس للنَّحو من المباني إلاّ

(1) التَّعريفات 259، 260.

(2) الموفي في النَّحو الكوفيّ 10.

ما يقدِّمه له الصَّرف.

5- القيم الخلافيّة أو المقابلات بين أحد أفراد كلِّ عنصر مما سبق، وبين بقيّة أفراده؛ كأن نرى الخبر في مقابل الإنشاء، أو المدح في مقابل الذَّم، أو المتقدِّم رتبة في مقابل المتأخِّر، أو الاسم المرفوع في مقابل الاسم المنصوب، أو المتعدِّي في مقابل الَّلازم، وهلمَّ جَرّا.

هذه المقابلات "القيم الخلافيّة" ضروريَّة لفهم المعنى و "أمن اللَّبس"، ولا يمكن أن نتصوَّر أداء اللُّغة لوظيفتها بدونها، وهي أهمّ بكثير من العلاقات الرَّابطة؛ وأنَّ هذه العلاقات تعبِّر عن تشابه، و"خوف الَّلبس" يأتي عند التَّشابه.(1)

وإنَّني أرى أنَّ العلامة الإعرابيَّة يتفرد بها النِّظام النَّحويّ عن باقي الأنظمة؛ لأنَّها تميز المرفوعات من المنصوبات، ومن المجرورات، وهي معاني الأبواب النَّحويَّة الخاصَّة، وهي في الأصل ما يقدمه علم الصَّوتيات للنَّحو؛ لأنَّ الحركات (ـَ ، ـُ ، ـِ) الفتحة، والضَّمة، والكسرة، وعدمها (ـْ) السُّكون، وهي أبعاض الحروف (ا، و، ي) الألف، والواو، والياء؛ كما يرى الخليل بن أحمد الفراهيديّ، والعلامة الإعرابيَّة لا تظهر إلاّ في أواخر الكلم في التَّركيب، وهي تتضافر مع قرائن أخرى لتعيين الباب النَّحويّ.

يقول ابن مالك مثلا:

وَتَــــاءُ تَأْنِيـــــثٍ تَــــلِي المَـــــاضِي إذَا   كَـــانَ لأُنْثَـــى كَأَبَـــتْ هِنـــدُ الأَذَى

وهذا الكلام يفهم على وجهين: أحدهما: صرفيّ، والآخر: نحويّ، ويمكن لنا أن نضع خطة الفهم الصَّرفيّ على النْحو الآتي:

(1) اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها36 – 37، 178 – 189. والرُّخصة النَّحويَّة169 – 170.

المعنى	المبنى	العلامة
التَّأنيث	التَّاء على إطلاقها	التَّاء في أَبَتْ.

فالتَّأنيث معنى صرفيّ من معاني التَّصريف.

ولكننا نستطيع أن نفهم هذا البيت أيضاً من زاوية النَّحو، وهي زاوية العلاقات السِّياقيَّة، ويكون ذلك كما يأتي:

المعنى	المبنى	العلامة
المطابقة في التأنيث بين الفعل والفاعل	التَّاء على إطلاقها	التَّاء في أبت". (1)

ويقول الأستاذ الدُّكتور تمّام حسّان: "والذّي يبدو من هذا التَّصوير للصِّلة بين المعنى النَّحويّ، والمعنى الصَّرفيّ، والعلامة المنطوقة أو المكتوبة ما يأتي:

1- أنّ جميع ما نسميه المعاني النَّحويَّة هو وظائف للمباني التَّي يتكوَّن منها المبنى الأكبر للسِّياق.

2- أنَّ المباني المتعدِّدة في السِّياق هي مفاهيم صرفيَّة لا نحويَّة.

3- أنَّ العلامة المنطوقة أو المكتوبة ليست جزءاً من نظام الصَّرف، أو نظام النَّحو؛ ولكنها جزء من الكلام، ويمكن توضيح ذلك كما يأتي:

المعنى	المبنى	العلامة
وظيفة المبنى.	شكل مطلق.	نطق بعينه، أو كتابة بعينها.

والفهم هو الغاية التي يسعى النَّاطق (المتكلِّم) إليها، وكذلك الكاتب أو القارئ، ولا يجد أيّ منهم صعوبة في العلامة وانتمائها إلى المبنى، فإذا وُضِعَ المبنى في تركيب تأتت الصعوبة عند إرادة تعيين المعنى بواسطة المبنى؛ لأنَّ المعنى الوظيفيّ متعدِّد بالنِّسبة للمبنى الواحد،

(1) اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها 178 – 179.

(3) المرجع نفسه 179 – 180.

وذلك أنَّ قائلاً لو قال: مَا أَحْسَنْ زَيْدْ، غير معرب، لم يوقف على مراده، لأنَّ "ما" على إطلاقها تصلح: للموصوليَّة، والشَّرط، والنَّفي، والتَّعجب، والاستفهام، إلخ. فإذا أعربنا، وقلنا: مَا أَحْسَنَ زَيْداً!، أو: مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ. ، أو: مَا أَحْسَنَ زَيْدٍ؟ تعينت "ما"؛ ففي الجملة الأولى: تعجبيَّة، وفي الثَّانية: نافية، وفي الثَّالثة: استفهامية".[1] "وإن كانوا اتَّفقوا على أنَّها اسم، وأنَّها مبتدأ. والمغزى من وراء كل ذلك أنَّ ما يتَّسم به المعنى الوظيفيّ للمبنى الواحد من التَّعدُّد والاحتمال يجعل النَّاظر في النَّص يسعى دائماً وراء القرائن اللَّفظيَّة، والمعنويَّة، والحاليَّة؛ ليرى أيّ المعاني المتعدِّدة لهذا المبنى هو المقصود".[2]

وإن سبيل فهم نصِّ أن ينظر الإنسان في العلاقات المنطوقة أو المكتوبة، وإنَّ العلاقة بين المباني المكوِّنة للتَّركيب تلعب الدَّور الأهمَّ في تأدية المعنى، وإنَّ هذه العلاقات يمكن أن نقسمها على علاقات مقاليَّة، وعلاقات مقاميَّة؛ فالعلاقات المقاليَّة تعتمد المقال الَّتي تنظِّم العلائق فيه (القرائن المعنويَّة، والقرائن اللَّفظيَّة)، ولوضوح القرائن اللَّفظيَّة فإنَّ من السَّهل على المعرب أن يلحظها داخل النَّصِّ، وإن التبست عليه وهي مفردات، وعند استعمال المفردة في جملة يُلاحظ أنَّ معنى بنيتها قد تحدَّد، وقد ساعد على تحديد ذلك السِّياق، فالعلاقات السِّياقيَّة إذن قرائن معنويَّة تفيد في تعيين المعنى النَّحويّ الخاصّ (كالفاعليَّة، والمفعوليَّة، إلخ).
فما هي القرائن المعنويَّة؟

(1) الرُّخصة النَّحويَّة 201 و 219.

(2) اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها 180 – 181.

الفصل الثّالث
القرائن المعنويّة

القرائن المعنويّة: هي العلاقات التي تقوم بين الأبواب في السّياق من حيث المعنى الوظيفيّ الصّرفيّ، والنّحويّ، وإنّ اتّضاح العلاقة بين باب وباب في السّياق ليعتبر بذاته قرينة على المعنى، ومن هنا كانت العلاقات الواضحة خير دليل من أدلّة الفهم للسّامع، ومن أدلة التّحليل للمعرب.

وهي:

- **أوّلاً: الإسناد:** معنى، وهو العلاقة الرّابطة بين مسند (محكوم به)، ومسند إليه (محكوم عليه).
- **ثانياً: التّخصيص:** معنى نحويّ، أي: إنّه علاقة (أو: قيد) نحويّة تربط بين المعنى الإسناديّ المستفاد من المسند وبين متمّمات الجملة الفعليّة.
- وهذه القرينة تصدق على المنصوبات التاليّة: المفاعيل الخمسة (المفعول به، والمفعول لأجله، والمفعول معه، والمفعول فيه، والمفعول المطلق)، والحال، والتّمييز، والاستثناء.
- **ثالثاً: النّسبة:** وهي القرينة المعنويّة الدّالة على المجرورات (بالحرف والإضافة).
- رابعاً: **التّبعيّة:** وهي القرينة المعنويّة الدّالة على التّوابع، وهي: عطف النّسق، وعطف البيان، والتّوكيد، والنّعت، والبدل.
- خامساً: **المخالفة:** وهي القرينة المعنويّة الدّالة على طائفة من المنصوبات، وتظهر

جليَّة في أسلوب الاختصاص، وأسلوب التَّعجب، وتمييز كم الخبريَّة، والمصادر المنصوبة لمخالفتها للمبتدآت من نوعها، والمنصوب بعد الجملة الإسميَّة، وبعض الأسماء في أساليب الإنشاء.

الفصل الرَّابع
القرائن اللَّفظيَّة

يمكن إجمال القرائن اللَّفظيَّة بـ:

أوّلاً: العلامة الإعرابيَّة:

بنى النُّحاة العرب النَّحو على العلامة الإعرابيَّة، وجعلوا الإعراب عبارة عن اختلاف أواخر الكلمات لإبانة معناها.

ثانياً: الرُّتبة:

قرينة لفظيَّة، وعلاقة بين جزأين مرتبين من أجزاء السِّياق، يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه. والرُّتبة بكونها قرينة لفظيَّة تخضع لمطالب أمن اللَّبس، وقد يؤدي ذلك إلى أن تنعكس الرُّتبة بين الجزأين المرتَّبين بها.

ثالثاً: البنية:

باب صرفيّ؛ وكما أسلفت فليس للنَّحو مبانٍ خاصة، فإذا نظرنا إلى الكلام العربيِّ نجده يشتمل على بنيات تركيبيَّة، وبنيات اشتقاقيَّة؛ وهذه البنيات بنوعيها تكوِّن مباني التقسيم (الاسم، والصِّفة، والفعل، والضَّمير، والخالفة، والظَّرف، والأداة) ومن هذا التَّقسيم للكلمة نجد أنَّ الضَّمير وأكثر الخوالف والظُّروف والأدوات مبانيها هي صورها المجرَّدة، إذ لا بنيات صرفيَّة لها، وأمّا الأسماء، والصِّفات، والأفعال؛ فمبانيها اشتقاقيَّة؛ لذلك تلحق مبانيها لواصق وزوائد؛ لتدلَّ على المعاني التَّالية: الشَّخص، والعدد، والنَّوع، والتَّعيين.

رابعاً: المطابقة:

تتم المطابقة في اللُّغة العربيَّة بين المبتدأ والخبر، وما كان أصله المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، والتَّوابع – باستثناء عطف النَّسق؛ فإنه يعتمد الأداة – وأنواع من البدل، والحال المفرد وصاحبه، ويمكننا القول: إنَّ المطابقة تتمُّ في حالة الإسناد بين المسند والمسند إليه، وكذلك تتمُّ بين الواقع عليهما حكم واحد، وفي حالة واحدة من حالات التَّخصيص. وما دام الضَّمير يلعب نفس دور الاسم في الجملة العربيَّة فيقع مبتدأ، وفاعلاً، واسم إنَّ، ومفعولاً به، إلخ. ولا يكون إلاّ معرفة، فقد كان له دور فعَّال في المطابقة.

وأخصُّ الضَّمائر أعرفها؛ فضمير المتكلِّم أخصُّ من ضمير الغائب، وضمير المخاطب أخصُّ من ضمير الغائب؛ وذلك لقلة الاشتراك، وإذا اجتمع الأخصّ وغيره غلّب الأخصّ تقدم أو تأخر، فيقال: أَنا وأنتَ، أو: أنتَ وأنا فَعَلْنَا، ولا يقال: فَعَلْتُما. وأنتَ وهُوَ. أو: هُوَ وأنتَ فَعَلْتُما، ولا يقال: فَعَلا. ومتى أمكن اتِّصال الضَّمير لم يعدل إلى المنفصل؛ لقصد الاختصار الموضوع لأجله الضَّمير.

وتتم المطابقة في الحالات التالية:

1- الشَّخص: ويعبر عنها بـ "التَّكلُّم، والخطاب، والغيبة".
2- العدد: ويعبر عنها بـ "الإفراد، والتَّثنية، والجمع".
3- النَّوع: ويعبر عنها بـ "التَّذكير، والتَّأنيث".
4- التَّعيين: ويعبر عنها بـ "التَّعريف، والتَّنكير".
5- العلامة الإعرابيَّة.(1)

- **فبالنسبة للشَّخص:** فيعبَّر عنها ضمائر الرَّفع المتَّصلة في الفعل الماضي، وحروف

(1) اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها 211 – 212، والرُّخصة النَّحويَّة 220.

المضارعة في المضارع، أمّا فعل الأمر فللمخاطب فقط.

- **أمّا العدد:** فيعبَّر عنها دلالة الضَّمائر في الأفعال، وعلامات تثنية الأسماء والصِّفات وجمعها؛ ففي الماضي يتبين العدد في إسناد الفعل إلى تاء المتكلِّم المضمومة، وتاء المخاطبة المفتوحة والمكسورة، والاستتار في الغيبة للمذكَّر، وإلحاق تاء التَّأنيث السَّاكنة للمؤنث؛ هذا في الإفراد؛ أما في التَّثنية فيتبيَّن في إسناد الفعل إلى (نا) للمتكلِّم، و(تُما) للمذكَّر والمؤنث في الخطاب، وألف الاثنين في الغيبة. وأمّا في الجمع فيتبيَّن في إسناد الفعل إلى (نَا) للمتكلِّم، و(تُم) للمذكَّر، و(تُنَّ) للمؤنث في الخطاب، وواو الجماعة ونون النِّسوة في الغيبة.
- **أمّا بالنِّسبة للمضارع،** فإن حروف المضارعة هي الّتي تحدِّد العدد.
- **أمّا في الأسماء والصِّفات فيتحدَّد بالألف والنُّون، أو:** الياء والنُّون للمثنَّى، والواو والنُّون، أو: الياء والنُّون لجمع المذكَّر السَّالم، أو: الألف والتَّاء لجمع المؤنث السَّالم.
- **أمّا النَّوع:** فيظهر بعلامات التَّأنيث في الأسماء والصِّفات؛ كتاء التَّأنيث، والألف المقصورة، والهمزة بعد الألف القائمة، ويخلو المذكَّر من هذه العلامات.
- أمّا في الأفعال فيظهر في تاء التَّأنيث ونون النِّسوة.
- **أمّا التَّعيين:** فللأسماء فقط دون الصِّفات والأفعال: لأنَّ (أل) لا تلحق بالفعل، وإذا لحقت الصِّفة الصَّريحة فهي ضمير موصول وليست أداة تعريف، فالفرق بين النَّكرة والمعرفة هي (أل) على أنَّ معاني (أل) تتعدَّد بين التَّعريف والموصوليَّة.
- **أمّا العلامة الإعرابيَّة:** فتظهر جلية في التَّوابع.
- ولا شكَّ أنَّ المطابقة في أيِّ واحدة من هذه المجالات الخمسة تقوِّي الصِّلة بين المتطابقين فتكون هي نفسها قرينة على ما بينهما من ارتباط في المعنى، وتكون قرينة لفظيَّة على الباب الَّذي يقع فيه ويعبر عن كلٍّ منهما، فبالمطابقة تتوثَّق الصِّلة بين أجزاء التَّركيب الَّتي تتطلبها.

خامساً: الرَّبط:

إنَّ اللُّغة العربيَّة لغة الرَّبط بما فيها من وسائطه، ويتمُّ الرَّبط بالضَّمير، أو: بالحرف، أو: بإعادة اللَّفظ، أو: بإعادة المعنى، أو: دخول أحد المترابطين في عموم الآخر، أو: بأل.

سادساً: التَّضام:

التَّضام: أن تستدعي إحدى الكلمتين الكلمة الأخرى، أو تنفيها؛ ويتم التَّضام بين الفعل والفاعل، وفي الصِّلة، وفي المبتدأ وخبره، وإلخ. وأمّا التَّنافي فهو سلب التَّضام، ومثاله: قولهم: "لا يُنعت الضَّمير، ولا يكون مضافاً، ولا يكون مدخول حرف الجرِّ فعلاً، وإلخ.

سابعاً: الأداة:

الأدوات لا معاني معجميَّة لها؛ بل معانيها معانٍ وظيفيَّة، وهي لا تفيد بمفردها (ببنيتها التَّركيبيَّة) شيئاً، فحروف الجرِّ لا تفيد إلاّ مع مجرورها، وحروف العطف إلاّ مع المعطوف، إلخ.

ثامناً: النَّغمة:

بنيت العربيَّة على تناسق حروفها في المخارج والصِّفات، حتى إنَّنا نلحظ تحول مخرج الحرف في النُّطق في كثير من الأحيان ليتناسب مع مخرج الحرف الَّذي يليه، فالنَّغمة تختلف بين أسلوب الاستفهام وأسلوب العرض، وأسلوب الإثبات؛ وهذه النَّغمات تساعد على الكشف عن معناها النَّحويّ، ومن الممكن تعويض النَّغمة بعلامات التَّرقيم، فإن جاز ذلك في الكتابة فإنَّه لا يغني في حالة الكلام شيئاً إلاّ إذا نغّم القارئ كلامه، وأعطى كل كلمة حقها من النُّطق.(1)

وسنرى في بحثنا – الالتفات نحوياً في القراءات القرآنيَّة – أنَّ القرآن الكريم عدل فيه – عزَّ وجلَّ – عن المطابقة لفوائد سنبيِّنها – إن شاء الله – في مواقعها.

(1) للاستزادة: راجع اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها؛ 177 – 240. والرُّخصة النَّحويَّة؛ 186 – 243.

الباب الثَّالث

أنواعِ الالتفات

الفصل الأوَّل

من الغيبة إلى الخطاب

الفصل الأوّل
من الغيبة إلى الخطاب

1- **قال – تعالى – :**

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ① ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ② ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ③ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ
④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ ﴾ [الفاتحة 1: 1 – 5]

بلاغيًا

الالتفات في الآيات الكريمات: الانتقال من الغيبة في قوله – تعالى–:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ② ﴾ إلى الخطاب في قوله – تعالى– : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . إذ لو جرى الكلام على نسق واحد؛ لكان حقه أن يقول: "إيّاه".

والانتقال من فنون البلاغة، وهو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، أو التّكلُّم، ومن الخطاب إلى الغيبة أو التّكلُّم، ومن التّكلُّم إلى الغيبة أو الخطاب؛ والغيبة تارة تكون بالظّاهر، وتارة بالمضمر.

وشرطه: أن يكون المدلول واحداً؛ ألا ترى أنَّ المخاطب بـ﴿ إِيَّاكَ ﴾ هو الله – تعالى–.

وفائدته:

– إظهار الملكة في الكلام، والاقتدار على التّصرف فيه.

– التّطرية لنشاط ذهن السّامع، وإيقاظ للإصغاء إليه، جرياً على أساليبهم.

– إظهاره فائدة تخص كل موضع.

وفائدته في قوله – تعالى– : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ ﴾ أنّه لما ذكر أنَّ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ المتّصف بتلك الصّفات العظيمة: بالرُّبوبيّة، وبالرّحمة، وبالملك، وبالملك لليوم الآخر، والّتي كل صفة منها تبعث على شدّة الإقبال، يجد من نفسه حاملاً لا يقدر على دفعه

على خطاب من هذه صفاته بتخصيصه لغاية الخضوع والاستعانة في المهمّات.

وقيل: إنّه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه ربَّ العالمين، ورحماناً، ورحيماً، ومالكاً ليوم الدِّين تعلق العلم بمعلوم عظيم الشَّأن، حقيق بأن يكون معبوداً دون غيره، مستعاناً به، فخوطب بذلك لتميّزه بالصِّفات المذكورة؛ تعظيماً لشأنه حتّى كأنّه قيل: إيَّاك يا مَنْ هذه صفاته نخصُّ بالعبادة والاستعانة لا غيرك.

وقيل:ومن لطائفه التَّنبيه على أنَّ مبتدأ الخلق الغيبة منهم عنه – سبحانه– ، وقصورهم عن محاضرته ومخاطبته، وقيام حجاب العظمة عليهم، فإذا عرفوه بما هو له، وتوسَّلوا للقرب بالثَّناء عليه، وأقرُّوا بالمحامد له، وتعبَّدوا له بما يليق بهم، تأهلوا لمخاطبته ومناجاته، فقالوا:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ .

وبما أنَّ الكلام كلَّه للغيبة؛ حسن التَّوجُّه بالخطاب إليه – سبحانه وتعالى– ، وتخصيصه بالعبادة والاستعانة، ولأنَّه لمَّا أثنى على الله فكأنَّه اقترب وحضر بين يدي الله – تعالى– ، فلهذا قال:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ . وفي هذا دليل على أنَّ أوّل السُّورة خبر من الله – تعالى– بالثَّناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى، وإرشاده لعباده بأن يثنوا عليه بذلك؛ لذا أقبل الحامد مخبراً بأثر ذكر ﴿ ٱلْحَمْدُ ﴾ المستقرِّ له منه ومن غيره، أنَّه وغيره يعبده ويخضع له، وساغ له أن يطلب الاستعانة منه بعد أن مهَّد لذلك بما يبرر المطالبة وهو – تعالى– خليق بالاستجابة، وللإشعار بأنَّ أولى ما يلجأ إليه العباد لطلب ما يحتاجون إليه هو عبادته – تعالى– والاعتراف بصفات الألوهيَّة البالغة.[1]

ونظير هذا أنَّك تذكر شخصاً متَّصفاً بأوصاف جليلة مخبراً عنه إخبار الغائب،

(1) البحر المحيط 1 / 24، والنَّهر المادّ 1 / 24، وإعراب القرآن وبيانه1 / 16 – 18، وإعراب القرآن للدُّرة 1 / 16، وتفسير ابن كثير 1 / 25، والدُّر المصون 1 / 57، والقرطبيّ 1 / 126، ومعترك الأقران 1 / 381 – 382.

ويكون ذلك الشخص حاضراً معك، فتقول له: إيَّاك أَقْصِدُ، فيكون في هذا الخطاب من التَّلطُّف على بلوغ المقصود ما لا يكون في لفظ "إيَّاه"؛ ولأنَّه ذكر ذلك توطئة للدُّعاء في قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ﴾.(1)

ونخلص إلى أنَّ العدول (الالتفات) في الآيات الكريمات كان على النَّحو التَّالي:

(1) الرُّجوع من الغيبة إلى الخطاب، وبما يختص به هذا الكلام من الفوائد؛ قوله –تعالى–: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ بعد قوله – سبحانه وتعالى – : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ، فإنَّه قيل: إنَّما اختير لفظ الغيبة للحمد، وللعبادة الخطاب؛ للإشارة إلى أنَّ الحمد دون العبادة، ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده، فلمّا كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد مع الغيبة، ولفظ العبادة مع الخطاب، لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ما هو أعلى رتبة، وذلك عن طريق التَّأدب، لتوسُّطه مع الغيبة في الخبر، فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ولم يقل: الحمد لك.

(2) ولمّا صار إلى العبادة الَّتي هي أقصى الطَّاعات، قال –سبحانه–: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فخاطب بالعبادة إصراحاً بها، وَتَقرُّباً منه – عزَّ اسمه – بالانتهاء إلى محدود.(2)

نحويًّا

قال – تعالى – :

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة 1: 1 – 5].

يقول ابن مالك:

الْمَصْدَرُ اسْمُ مَا سِوَى الزَّمَانِ مِنْ   مَدْلُولَي الفِعْلِ كَأَمْنٍ مِنْ أَمِنْ

(1) البحر المحيط 1 / 24.

(2) المثل السّائر 2 / 4– 5، ومعترك الأقران 1 / 381، وإعراب القرآن وبيانه 1/ 16– 18.

المعنى الصَّرفيّ:

المصدر: اسم الحدث، وهو كلُّ اسم دلَّ على حدث وزمان مجهول، وهو وفعله من لفظ واحد، والفعل مشتقّ من المصدر.[1] ويقول الكفراوي: المصدر: اسم ما فعله الفاعل.[2]

الفعل: يدل على شيئين الحدث والزمان، فحَمِدَ يدل على حَمْد في زمن ماضٍ، ويَحْمَدُ يدل على حَمْدٍ في الحال أو الاستقبال، وأَحْمَدُ يدل على حَمْدٍ في الاستقبال.

بين المصدر والفعل: فالحمد هو الحدث وهو أحد مدلولي الفعل وهو المصدر، وهذا معنى قول: ما سوى الزَّمان من مدلوليّ الفعل، فكأنّه قال: المصدر اسم الحدث؛ كَأَمْنٍ فإنه أحد مدلولي أَمِنَ.[3]

ألا ترى أنَّك تقول: "الضَّرْبُ" فيدلك على وجود الحدث في زمن ما، من غير تعيين له؛ فإذا قلت: "ضَرَبَ" حصل الفعل أنَّ الزَّمان ماضٍ مع دلالته على مثل ما دلَّ عليه الضَّرب.

وقال أبو علي: المصدر أعمُّ، والأفعال أخصُّ؛ لأَنَّ الضَّرْبَ يصلح للأزمنة الثَّلاثة، فـ"ضَرَبَ، وَيَضْرِبُ، وسَيَضْرِبُ" كل واحد منها ليس يصلح للأزمنة الثَّلاثة، والمصدر لعمومه بمنزلة الجنس، وهذه بمنزلة الأنواع، فكما تكون الأنواع فروعاً للجنس، تكون الأفعال فروعاً للمصدر.[4]

والمصدر أقوى وأثبت من الفعل، ثمَّ إنَّ المصدر هو الحدث المجرَّد، والفعل هو الحدث المقترن بالزَّمن، فأنت حين تأمر بالمصدر فقد أمرت بالحدث المجرد، وهو آكد من

(1) اللُّمع / 48.

(2) الموفي في النَّحو الكوفيّ / 31.

(3) شرح ابن عقيل على الألفيَّة / 79، والبهجة الرَّضيَّة في شرح الألفيَّة / 79.

(4) شرح اللُّمع 1 / 101 – 102.

الفعل لمجيئنا بالحدث وحده. وذكر الرَّضيُّ: "أنَّه حذف إبانة لقصد الدَّوام واللُّزوم بحذف ما هو موضوع للحدث والتَّجدُّد أي الفعل؛ في نحو: حمداً لك، وشكراً لك، وعجباً منك، ومعاذَ الله، وسبحانَ الله"، ولعله يقصد إلى أنَّه أدوم من الفعل، وأثبت منه. أمّا الرَّفع فإنَّه أدوم منهما وأثبت.[1]

المصدر والعلامة الإعرابيَّة: وأمَّا رفع المصادر فللدَّلالة على الثُّبوت والاستقرار: تقول "صَبْراً جَمِيلاً" إذا أمرت بالصبر؛ فإن قلت: "صَبْرٌ جَمِيلٌ" كان أمراً بالصبر الدَّائم الطَّويل؛ وهو بمعنى المصدر المنصوب؛ إلاّ أنَّه أثبت وأدوم.[2]

وجاء في (المقتضب): وإنَّما تنظر في هذه المصادر إلى معانيها، فإن كان الموضع بعدها أمراً أو دعاء لم يكن إلاّ نصباً، وإن كان لما قد استقرَّ لم يكن إلاّ رفعاً، وإن كان يقع لهما جميعاً كان النَّصب والرَّفع.[3]

وكذلك أتي بالنون في: "نَعْبُدُ ونَسْتَعِينُ" الَّتي تكون له ولغيره، فكما أنَّ الحمد يستغرق الحامدين، كذلك العبادة والاستعانة تستغرق المتكلِّم وغيرة.[4]

المعنى النَّحويّ

هو العلاقة بين المباني الصَّرفيَّة[5] داخل التَّركيب اللُّغويّ؛ لإبراز معنى السِّياق.

وهذه العلاقات (الرَّبط بين المباني) تتشكَّل منها قواعد تؤدي وظائف أساسيَّة للنَّحو،

(1) الرَّضيّ على الشَّافية 1 / 125، ومعاني النَّحو 2 / 592.

(2) معاني النَّحو 2 / 593.

(3) المقتضب 3 / 221 – 222، ومعاني النَّحو 2 / 594.

(4) البحر المحيط 1 / 24.

(5) لأنَّ النَّحو لا يتَّخذ لمعانيه مباني من أيِّ نوع إلا ما يقدمه له الصَّرف من المباني، والصَّرف يستعين بالأصوات أيضاً، ثم يقدم العناصر الصَّوتيَّة إلى النَّحو باعتبارها عناصر صرفيَّة. اللُّغة العربيَّة/ 178.

هي تحديد العلامة الإعرابيَّة، ونظام تركيب الجملة من حيث المطابقة والتَّضام، والرُّتبة، والبنية، والرَّبط والأداة، والنَّغمة، ليسلم اللِّسانان من الخطأ. وغاية ما يسعى إليه فهم كلام الله – سبحانه وتعالى – ورسوله سيدنا محمَّد – ﷺ – والفهم والإفهام بشكل عام.

الإعراب

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة 1: 2]

قراءة المصحف الإمام[1]: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾

- قرأ الجمهور: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ؛ برفع الدَّال وكسر لام الجرِّ. ورفعه على الابتداء، والخبر الجارُّ والمجرور بعده، متعلقان بمحذوف هو الخبر في الحقيقة، ثم ذلك المحذوف إن شئت قدَّرته اسماً وهو المختار، وإن شئت قدَّرته فعلاً؛ أي: الحَمْدُ مُسْتَقِرٌّ للهِ، أو: اسْتَقَرَّ للهِ.
- وقرئ شاذاً بنصب الدَّال من "الْحَمْدَ"[2] وفيه وجهان:

أظهرهما: أنَّه منصوب على المصدريَّة؛ أي: إن "الحَمْدَ" ليس باسم؛ إنما هو مصدر، ثم حذف العامل، وناب المصدر مَنَابَهُ، فينصب على المصدر، وذلك أنَّ أصل الكلام عنده قوله: "حَمْداً للهِ" يجعله بدلاً من اللفظ بالفعل، كأنَّه جعله مكان "أَحْمَدُ" ثم أدخل

(1) برواية حفص عن عاصم.

(2) وهي قراءة سفيان بن عيينة، ورؤبة بن العجَّاج، وهارون العتكيّ (هارون بن موسى؛ كما في الألوسي 1/ 75، وهما شخص واحد.

إعراب القرآن للنَّحاس 1 / 119، وإملاء ما من به الرَّحمن للعُكبريّ 1 / 3، والبحر المحيط لأبي حيَّان 1/ 18، والتِّبيان للطُّوسيّ 1/ 30، والجامع لأحكام القرآن للقرطبيِّ / 118، والكشَّاف للزَّمخشريّ 1/ 53، ومجمع البيان للطَّبريّ 1 / 21، ومعاني القرآن للفرَّاء 1/ 3، معجم القراءات القرآنيَّة 1 / 5.

الألف واللام على هذه.[1] كقولهم في الإخبار: "حَمْداً وشُكْراً لا كُفْراً" والتقدير: أَحْمَدُ اللهَ حَمْداً. فهو مصدر ناب عن جملة خبرية. فإذا صلح مكان المصدر (فَعَلَ أو يَفْعَلُ) – يريد: الماضي أو المضارع، والأمر عند الكوفيِّين قطعة من المضارع – جاز فيه النَّصب، من ذلك قوله – تعالى-: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمَّد 47: 4] يصلح مكانها في مثله من الكلام أن يقول: فاضربوا الرِّقاب.

ومن ذلك قوله – تعالى- : ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يوسف:12/ 79] يصلح أن نقول في مثله من الكلام؛ نَعُوذُ بالله. ومنه قول العرب: سَقياً لك، ورَعْياً لَكَ؛ يجوز مكانه: سَقَاكَ اللهُ، ورَعَاكَ اللهُ.[2]

وقال الطَّبريُّ: إنَّ في ضمنه أَمْرَ عباده أن يُثْنوا به عليه، فكأنَّه قال: قولوا الحَمْدُ لله، وعلى هذا يجيء: "قولوا إِيَّاكَ" فعلى هذه العبارة يكون – أي: الحَمْدُ؛ على قراءة النَّصب – من المصادر النائبة عن الطَّلب لا الخبر، وهو محتمل للوجهين، ولكن كونه خبريّاً أو من كونه طلبيًّا، ولا يجوز إظهار هذا النَّاصب لئلا يُجمَع بين البدلِ والمُبْدَل منه.

والثاني: أنَّه منصوب على المفعول به؛ أي: اقْرَؤوا الحَمْدَ، أو: اتْلُوا الحَمْدَ. كقولهم: "اللّهُمَّ ضَبُعاً وذِئْباً" أي: اجْمَعْ ضَبُعاً. والأوَّل أحسن للدّلالة اللَّفظيَّة.

وقراءة الرَّفع أمكن وأبلغ من قراءة النَّصب، لأنَّ الرَّفع في باب المصادر الَّتي أصلُها النِّيابة عن أفعالها يَدُلُّ على الثُّبوت والاستقرار؛ بخلاف النَّصب فإنَّه يدل على التَّجدُّدِ والحدوث، ولذلك قال العلماء: إنَّ جواب خليل الرَّحمن –عليه السَّلام – في قوله – تعالى–

(1) معاني الأخفش 1 / 9.

(2) معاني الفرّاء 1 / 3.

حكاية عنه: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ [هود 11: 69][1] أحسن من قول الملائكة: ﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾، امتثالاً لقوله – تعالى– : ﴿ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾ [النِّساء 4: 86].[2]

والألف واللّام في "الحَمْدُ" قيل: للاستغراق، وقيل: لتعريف الجنس، واختاره الزَّمخشريُّ، وقيل: للعهد، ومنع الزَّمخشريُّ كونها للاستغراق، ولم يبيِّن وجه ذلك، ويُشْبِه أن يقال: إنَّ المطلوب من العبد إنشاء الحمد لا الإخبار به، وحين إذن يستحيل كونها للاستغراق، إذ لا يمكن العبد أن ينشئ جميع المحامد منه ومن غيره بخلاف كونها للجنس.[3]

قوله – تعالى– :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [الفاتحة 1: 5].

﴿ إِيَّاكَ ﴾ : مفعول مقدَّم على ﴿ نَعْبُدُ ﴾ "نَعْبُدُ" قُدِّم للاختصاص، وهو واجب الانفصال.

﴿ نَعْبُدُ ﴾ : فعل مضارع مرفوع لتجرّده من النَّاصب والجازم وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره نحن.

والكلام في ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ كالكلام في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ والواو عاطفة، وهي من المُشَرِّكَةِ في الإعراب والمعنى، ولا تقتضي ترتيباً على قول الجمهور.[4]

عدل القرآن الكريم عن المطابقة (الاتِّساق)، إذ لو جرى الكلام على نسق واحد متطابقاً، لكان حقُّه أن يقول: "إِيَّاهُ".فحرست القرائن التَّالية المعنى:

(1) ووجه تفضيل "سلام" أنَّ المحذوف اسم، أي: سَلامِي سَلامٌ؛ وهذا يفيد الثُّبوت، أما "سَلاماً" فالمحذوف فعل، أي: أُسَلِّمُ سَلاماً؛ وهذا يفيد التجدُّد والانقطاع.

(2) الدُّر المصون 1 / 39 – 40.

(3) الدُّر المصون 1 / 37 – 38.

(4) الدُّر المصون 1 / 55 – 59.

1- البنية: المصدر (الحَمْدُ)، والفعل المضارع مع النُّون (نَعْبُدُ، نَسْتَعِينُ).

2- العلامة الإعرابيَّة: الضَّمة للمصدر.

3- التَّضام: تقدم (إِيَّاكَ) المفعول به.

4- الرَّبط: عود الضَّميرين (الحَمْدُ لله) و (إِيَّاكَ) لله – عزَّ وجلَّ – .

5- الرُّتبة: قدم "إِيَّاكَ" للأهمِّيَّة. علماً بأنَّ رتبة المفعول به غير محفوظة.

فاختيار المصدر (الحَمْدُ) ودلالته على حَمْدِ الله – سبحانه وتعالى – على ما أنعم به على الإنسان (في الماضي)، لأنَّ الظَّاهر دائماً في قوة الغائب – كما قالوا – .

واختيار الضَّمير (إِيَّاك) في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ ، واستحضار الاسم الظَّاهر (الله) في القلب، ولم يقل: "إِيَّاه".

واختيار "نَعْبُدُ، نَسْتَعِينُ"، وسيأتي بيان ذلك في المعنى.

المعنى

الحَمْدُ: معناه الثَّناء الكامل على الجميل سواء كان نعمة مسداة إلى أحد أم لا، يقال: حَمِدْتُ الرَّجُلَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيَّ، وحَمِدْتُهُ عَلَى شَجَاعَتِهِ. ويكون باللِّسان وحدَه دون عمل الجوارح؛ إذ لا يقال: حَمِدْتُ زَيْداً. أي: عملت له بيدي عملاً حسناً.

والألف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد، فهو – سبحانه – يستحقُّ الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى، والصِّفات العلا. وهو أعم من الشُّكر، لأنَّ الشُّكر إنَّما يكون على فعل جميل يسدى إلى الشَّاكر، وشكره حمد ما. يقال: شَكَرْتُهُ عَلَى مَا أَعْطَانِي. ولا يقال: شَكَرْتُهُ عَلَى شَجَاعَتِه. ويكون بالقلب واللِّسان والجوارح. قال– تعالى– :﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ34: 13].

وقال الشّاعر:(1)

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلاثَةً ... يَدِي وَلِسَانِي والضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود من غير أن يسدي شيئاً، فالحامد من النّاس قسمان: الشّاكر، والمُثني بالصِّفات الجميلة. وحكى الطّبريُّ عن بعض النّاس أنّه قال: "الشُّكر ثناء على الله بأفعاله وإنعامه، والحمد ثناء بأوصافه"(2) فيكون بين الحمد والشُّكر عموم وخصوص من وجه، وقيل: الحَمْدُ هو الشُّكر بدليل قولهم: "الحَمْدُ لله شُكراً". وعلق عليه ابن عطيّة بقوله: "لأنَّ قولك "شُكْراً" إنَّما خصصت به الحمد أنَّه على نعمة من النّعم".(3)

وقيل: بينهما عموم وخصوص مطلق، والحمد أعمُّ من الشُّكر. وقيل: الحمد: الثّناء عليه -تعالى- بأوصافه، والشُّكر: الثّناء عليه بأفعاله.

وقال الرّاغب:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الثّناء عليه بالفضيلة، وهو أخصُّ من المدح، وأعمُّ من الشُّكر. أي: إنَّ المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره، وبما يكون منه وفيه بالتّسخير، فقد يُمدح الإنسان بطول قامته، وصباحة وجهه؛ كما يمدح ببذل ماله وشجاعته وعلمه، والحمد يكون في الثّاني دون الأوّل. والشُّكر لا يقال إلاّ في مقابلة نعمة، فكلُّ شكرٍ حَمْدٌ، وليس كلُّ حَمْدٍ شُكراً، وكلُّ حَمْدٍ مَدْحٌ، وليس كلُّ مَدْحٍ حَمْداً، ويقال: فُلانٌ مَحْمُودٌ؛ إذا حُمِدَ؛ ومُحَمَّدٌ وُجِدَ مَحْمُوداً، ومُحَمَّدٌ كثرت خصاله المحمودة؛ وأَحْمَدُ أي: إنَّه يفوق غيره في الحمد.(4)

والحمد نقيض الذَّم، تقول: حَمِدْتُ الرَّجُلَ أَحْمَدُهُ حَمْداً. فهو حَمِيدٌ ومَحْمُودٌ، والتَّحميد أبلغ من الحمد، والحمد أعمُّ من الشُّكر، والمُحَمَّدُ: الذي كثرت خصاله المحمودة؛ وبذلك

(1) وهو في الكشّاف 1/ 52، وشرح شواهد الكشّاف 348. أي: أنا أشكر نعماءكم بالقلب واللّسان.

(2) المحرَّر الوجيز 1/ 63.

(3) المحرَّر الوجيز 1/ 63.

(4) المفردات/ 130، والدُّر المصون 1/ 36 - 37.

سُمِّي رسول الله - ﷺ - .(1)

قال الطَّبريُّ: "الحَمْدُ للهِّ" ثناء أثنى به على نفسه، وفي ضمنه أَمْرُ عباده أن يُثنوا به عليه، فكأنه قال: "قُولُوا الحَمْدُ للهِّ" وعلى هذا يجيء: "قُولُوا إِيَّاكَ" قال: وهذا من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه.(2)

وقوله - تعالى- : "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" نطق المؤمن به إقرار بالرُّبوبيَّة، وتذلّل وتحقيق لعبادة الله، إذ سائر النَّاس (أي: باقيهم، يعبدون سواه من أصنام وغير ذلك) وقدَّم المفعول به اهتماماً، وشأن العرب تقديم الأهم. نَعْبُدُ: معناه نقيم الشَّرع والأوامر مع تذلّل واستكانة.(3)

والعبادة غاية التَّذلُّل، ولا يستحقها إلاّ من له غاية الإفضال، وهو - الباري تعالى- ، فهي أبلغ في العبوديَّة، لأنَّ العبوديَّة إظهار التَّذلُّل، ويقال: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ. أي: مذلَّل بالوطء. ومنه العبد لِذِلَّتِهِ. وبَعِيرٌ مُعَبَّدٌ. أي: مذلَّل بالقَطِران. وقيل: العبادة: التَّجرُّدُ. ويقال: "عَبَدْتُ اللهَ" بالتخفيف فقط. وَعَبَّدْتُ الرَّجُلَ. بالتَّشديد فقط. أي: ذلَّلته، أو: اتخذته عبداً.(4)

نَسْتَعِينُ: معناه: نطلب العون منك في جميع أمورنا، وهذا كله تبرُّؤ من الأصنام، والسِّين فيه معناها: الطَّلب. أي: نطلب منك العون على العبادة، والاستعانة: طلب العَوْنِ، وهي المُظَاهَرَةُ والنُّصْرَةُ.

وقدَّم العبادة على الاستعانة لأنَّها وَصْلَةٌ لطلب الحاجة، وأطلق كُلاً من فِعْلَي العبادة والاستعانة فلم يذكر لها مفعولاً؛ ليتناولا كلَّ معبودٍ به، وكلَّ مُستعانٍ عليه، أو يكون المراد وقوع الفعل من غير نظر إلى مفعول. نحو: ﴿ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ ﴾ [البقرة2: 60] أي: أوقعوا هذين الفعلين.

---

(1) القرطبيّ 1 / 116 - 117.

(2) المحرَّر الوجيز 1 / 64، والقرطبيّ 1 / 117 - 118.

(3) المحرَّر الوجيز 1 / 75 - 76.

(4) الدرُّ المصون 1 / 57.

والنُّون في "نَعْبُدُ ونَسْتَعِينُ" تفيد الجمع، مع أنَّ المتكلم واحد، لأنَّه ورد في الشَّريعة أنَّه من باع أجناساً مختلفة صفقة واحدة ثم ظهر للمشتري في بعضها عيب فهو مخيَّر بين ردِّ الجميع أو إمساكه، وليس له تبعيض الصَّفقة بردِّ المعيب وإبقاء السَّليم، وهذا لما رأى العابد أنَّ عبادته ناقصة معيبة لم يعرضها على الله مفردة؛ بل جنح إلى ضمِّ عبادة جميع العابدين إليها، وعرض الجميع صفقة كاملة راجياً قبول عبادته في ضمنها، لأنَّ الجميع لا يُردُّ البتَّة، إذ بعضه مقبول، وردُّ المعيب وإبقاء السليم تبعيض للصفقة، وقد نهى – سبحانه – عباده عنه، وهو لا يليق بكرمه العظيم، وفضله العميم، فبقي قبول الجميع.(1)

وقد أورد البخاريُّ في (كتاب الدعوات) حديث أبي هُرَيْرَةَ قالَ: قالَ رَسُولُ الله – ﷺ – : إنَّ للهِ مَلائِكَةً يَطوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ. قالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ – وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ – مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قال: فَيَقولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قالَ: فَيَقُولُونَ: لا، وَالله ما رَأَوْك. قالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قالَ: يَقُولُون: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وأَشَدَّ لَكَ تَمْجيداً وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً. قالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ. قالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْها؟ قالَ: يَقُولُونَ: لا، والله، يَا رَبِّ ما رَأَوْهَا. قالَ: يَقُول: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْها حِرْصاً، وأَشَدَّ لَها طَلَباً، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قالَ: يَقُولُون: مِنَ النَّارِ. قالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قالَ: يَقُولُون: لا، واللَّه، مَا رَأَوْها. قالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْها كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَاراً، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ؛ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.

(1) إعراب القرآن وبيانه 1 / 16 – 17 – 18.

وفيه أنَّ الصُّحبة لها تأثير عظيم، وأنَّ جُلساءَ السُّعداء سعداء، والتَّحريض على صحبة أهل الخير.(1)

وفي هذه العبارة – "هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِم جَلِيسُهُمْ" – مبالغة في نفي الشَّقاء عن جليس الذَّاكرين، فلو قيل: لسعد بهم جليسهم، لكان ذلك في غاية الفضل؛ لكن التَّصريح بنفي الشَّقاء أبلغ في حصول المقصود.

وفي الحديث فضل مجالس الذِّكر والذَّاكرين، وفضل الاجتماع على ذلك، وأنَّ جليسهمْ يندرج معهم في جميع ما يتفضَّل الله – تعالى– به عليهم إكراماً لهم، ولو لم يشاركهم في أصل الذِّكر.(2)

ويقولون: "المَوْتُ مَعَ الجَمَاعَةِ رَحْمَةٌ".

2. **قال – تعالى–:**

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ
۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ
أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ
يَكْذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ
ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ

(1) صحيح أبي عبد الله البخاريّ بشرح الكرمانيّ 22 / 187 – 188.

(2) فتح الباري بشرح البخاريّ 13 / 467 – 470.

شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ
ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ
ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ
لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

[البقرة 2: 1 – 21]

بلاغياً

التفات من الغيبة إلى الخطاب، لما عدَّد الله – تعالى– فرق المكلَّفين من المؤمنين والكفَّار والمنافقين، وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم، وما اختصت به كلُّ فرقة ممَّا يُسعدها ويُشقيها، ويُحظيها عند الله ويُرديها، أقبل عليهم بالخطاب، وهو من الالتفات المذكور عند قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ بعد قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة 1: 2 – 4] وهو فن من الكلام جزل، فيه هزّ وتحريك من السَّامع، كما أنَّك إذا قلت لصاحبك حاكياً عن ثالث لكما: إنَّ فلاناً من قصته كيت وكيت، فقصصت عليه ما فرط منه، ثم عدلت بخطابك إلى الثَّالث فقلت: يا فلان من حقك أن تلزم الطَّريقة الحميدة في مجاري أمورك، وتستوي على جادَّة السَّداد في مصادرك ومواردك. نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه، واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء.(1)

(1) الكشَّاف 1 / 120 – 121، والبحر المحيط 1 / 93.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة والاتّساق، ووجه مناسبة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة 2: 21] لما قبلها هو أنّه –تعالى– لَمّا ذكر المكّلفين من المؤمنين والكفّار والـمنافقين، وصفاتـهم وأحوالـهم، وما يؤول إليه حال كلٍّ منهم بصيغة الماضي والغيبة الّتي تفيد التّحقُّق والإخبار عنهم، عدل إلى خطاب النِّداء الّذي يفيد الحضور والمواجهة؛ والّذي افتتحه بحرف النِّداء – يا – "وعلى كثرة وقوع النِّداء في القرآن لم يقع نداء إلاّ بها؛ وهي أعمُّ حروف النِّداء إذ ينادى بها القريب والبعيد والمستغاث والمندوب"[1] و– ها – الّتي تفيد التّنبيه والإشارة إلى المقصود.

ففي العدول عن الغيبة إلى الخطاب والمواجهة، هزٌّ للتّفكير، ووقفة للتّفكُّر في أمر مقصود مطلوب، وهو ما لا يجده السّامع المخاطَب إذا استمرَّ على لفظ الغيبة؛ فلمّا واجه – تعالى – النّاس بالنِّداء أمرهم بالعبادة، وقد تقدم تفسيرها في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة 1: 5].[2]

"واختلف المتأوّلون مَنِ المخاطب بهذه الآية؛ فقال جماعة من المفسِّرين.المخاطب جميع المشركين؛ فقوله على هذا: ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة 2: 22] يريد العلم الخاص في أنّه – تعالى – خلق وأنزل الماء وأخرج الرِّزق، ولم تَنْفِ الآية الجهالة عن الكفّار: وقيل: المراد كفّار بني إسرائيل، فالمعنى: تعلمون من الكتب الّتي عندكم أنَّ الله لا نِدَّ له.

وقال ابن فورك: يحتمل أن تتناول الآية المؤمنين، فالمعنى: لا ترتدُّوا أيُّها المؤمنون، وتجعلوا لله أنداداً بعد علمكم الّذي هو نفي الجهل بأنَّ الله واحد، وهذه الآية تعطي أنَّ الله –تعالى– أغنى الإنسان بنعمه هذه عن كل مخلوق، فمن أحوج نفسه إلى بشر مثله بسبب الحرص والأمل والرَّغبة في زخرف الدُّنيا فقد أخذ بطرق من جعل نِدّاً. عصمنا الله –تعالى– بفضله، وقصر آمالنا عليه بمنّه، وطوله؛ لا ربَّ غيره".[3]

---

(1) البحر المحيط 1 / 92 – 93.

(2) راجع رقم – 7 – من الغيبة إلى الخطاب.

(3) المحرَّر الوجيز 1/ 143، والبحر المحيط 93 – 94.

3. قال– تعالى–:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة2: 26:28].

– قرأ يحي بن يعمر، وابن محيصن، ومجاهد، وابن أبي إسحاق، والفياض بن غزوان، وسلام بن يعقوب: تَرْجِعُونَ.

– وقرأ الجمهور: ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾.(1)

بلاغياً

"قوله: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ هو من باب (الالتفات) للتّوبيخ والتّقريع، فقد كان الكلام بصيغة الغيبة، ثمَّ التفت فخاطبهم بصيغة الحضور".(2)

نحوياً

عدل الكتاب الكريم من الغيبة التّي تفيد التَّحقُّق في قوله – تعالى–: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ إلى الخطاب الّذي يفيد المواجهة في قوله – تعالى–: ﴿ تَكْفُرُونَ ﴾ و﴿ وَكُنتُمْ ﴾.

(1) إتحاف 131–132، والبحر1/ 132 (وفيه: سلام ويعقوب) ، والقرطبيّ1/ 214، والنّشر 2/ 208، ومعجم القراءات القرآنيّة 1/ 40.

(2) صفوة التّفاسير 1/ 32.

وفائدته: أنّ الإنكار إذا توجّه إلى المخاطب كان أبلغ، وجاء ﴿ تَكْفُرُونَ ﴾ مضارعاً لا ماضياً لأنّ المُنكَرَ الدَّوامُ على الكفر، والمضارع هو المُشْعِرُ بذلك، ولئلاَّ يكون ذلك توبيخاً لمن آمَنَ بعد كُفْر". [1]

والزَّمخشريّ يرى أنّ ﴿ كَيْفَ ﴾ للإنكار يقول: " فإن قلت: فقد تبيّن أمر الهمزة وأنّها لإنكار الفعل والإيذان باستحالته في نفسه، أو لقوة الصَّارِف عنه، فما تقول في ﴿ كَيْفَ ﴾ حيث كان إنكاراً للحال الّتي يقع عليها كفرهم؟ قلت: حال الشَّيء تابعة لذاته، فإذا امتنع ثبوت الذّات تبعه امتناع ثبوت الحال، فكان إنكار حال الكفّار لأنّها تبيع ذات الكفر ورديفها إنكاراً لذات الكفر، وثباتها على طريق الكناية، وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ. وتحريره: أنّه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها.

وقد علم أنّ كلّ موجود لا ينفكُّ عن حالٍ وصفةٍ عند وجوده، ومحال أن يوجد بغير صفة من الصِّفات كان إنكاراً لوجوده على الطَّريق البرهانيّ". [2]

"والواقع أنَّ كلَّ لفظ استفهام ورد في كتاب الله – تعالى– لا يخلو من أحد الوجوه السِّتَّة الآتية:

1. التّوبيخ.
2. التّعجب.
3. التَّسوية.
4. الإيجاب.
5. الأمر.
6. التَّقرير.

---

(1) الدّر المصون 1/ 238.

(2) الكشَّاف 1/ 150.

أما الاستفهام الصَّريح فلا يقع من الله – تعالى – في القرآن الكريم لأنّ المستفهِمَ متعلِّم ما ليس عنده، والله عالم بالأشياء قبل كونها.

فالتَّوبيخ نحو: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ (1) [الاحقاف 46: 20]، والتّقرير: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة 5: 116]، والتّسوية نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة2:6]، والإيجاب نحو: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة 2: 30]، والأمر نحو: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران 3: 20] فعلى هذا يعرف ما جاء في كتاب الله". (2)

" والجمهور على قراءة " تُرْجَعُونَ" مبنيًّا للمفعول، وقُرِئَ مبنيًّا للفاعل حيث جاء(3)، ووجه القراءتين أنّ "رَجَعَ" يكون قاصراً ومتعدِّياً، فقراءة الجمهور من المتعدِّي، وهي أرجح، لأنّ أصلها: "ثُمَّ إليْه يُرْجِعُكُمْ" لأنّ الإسناد في الأفعال السّابقة لله – تعالى–، فيناسبُ أن يكونَ هذا كذا ولكنّه بُنِي للمفعول لأجل الفواصل والقواطع"(4)

(1) أ. "أَأَذْهَبْتُمْ" بتحقيق الأولى وتسهيل الثّانية، قرأبها: ابن عامر، وابن كثير، والدّاجونيّ، وهشام، والنّهروانيّ، ورويس، وأبو جعفر، والحسن، ونصر، وأبو العالية، ويعقوب.

ب. "آذهَبْتُم" قرأ بها: ابن كثير، وقتادة، ومجاهد، وابن وثّاب، والحسن، وأبو جعفر، والأعرج، وأبو حيوة، وهشام.

معجم القراءات القرآنيّة 6/ 170-171.

(2) إعراب القرآن وبيانه1/ 78.

(3) قراءة مجاهد، ويحيى بن يعمر، وابن أبي اسحاق، وابن محيصن، والفّياض بن غزوان، وسلام، ويعقوب مبنيّاً للفاعل حيث وقع في القرآن من "رَجَعَ" اللاّزم" لأنّ "رَجَعَ" يكون لازماً ومتعدّياً. البحر المحيط 1/ 132. ومعجم القراءات القرآنيّة 1/ 40 (وفيه: سلام بن يعقوب).

(4) البحر المحيط 1/ 132.

ويقول أبو حيّان: " وقراءة الجمهور أفصح لأنَّ الإسناد في الأفعال السّابقه هو إلى الله– تعالى– ﴿فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ فكان سياق هذا الإسناد أن يكون الفعل في الرّجوع مسنداً إليه، لكنّه كان يفوت تناسب الفواصل والمقاطع إذ كان يكون التّرتيب" ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ" فحذف الفاعل للعلم به، وبنى الفعل للمفعول حتّى لا يفوِّت التّناسب اللّفظيّ، وقد حصل التّناسب المعنويّ بحذف الفاعل إذ هو قبل البناء للمفعول مبني للفاعل.

وأمّا قراءة مجاهد و من ذكر معه فإنّه يفوِّت التّناسب المعنويّ إذ لا يلزم من رجوع الشّخص إلى شيءٍ أنَّ غيره رجعه إليه، إذ قد يرجع بنفسه من غير رادٍّ والمقصود هنا إظهار القدرة والتّصرف التّامّ بنسبة الإحياء والإماتة، والإحياء والرّجوع إليه – تعالى– وإن كنّا نعلم أنَّ الله – تعالى – هو فاعل الأشياء جميعها، وفي قوله – تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ من التّرهيب والتّرغيب ما يزيد المسيء خشية، ويردّه عن بعض ما يرتكبه، ويزيد المحسن رغبة في الخير ويدعوه رجاؤه إلى الازدياد من الإحسان وفيها ردّ على الدّهريّة والمعطّلة ومنكري البعث؛ إذ هو بيده الإحياء والإماتة، والبعث وإليه يرجع الأمر كلّه.(1)

4. **قال – تعالى – :**

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة 2: 83]

(1) المرجع نفسه 1/ 132.

بلاغيًّا

قوله – تعالى – ﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ قرئ بالياء، لأنَّه غيب، أي: معنى الغيبة[1]، والتَّاء؛ حكاية لما خوطبوا به؛ لأنَّ مجرى الكلام على لفظ المواجهة. أي: مواجهة الخطاب؛ فيكون أخذ الميثاق قولاً لهم.[2]

فمن قرأ بالغيبة؛ فلأن الأسماء الظَّاهرة حكمها الغيبة، فإجراء الكلام على ما ابتدئ به أوَّل الآية، وافتتح به الكلام أولى وأشبه من الانصراف عنه إلى الخطاب.[3]

ومن قرأ بالخطاب فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله –تعالى–: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ ومن خطاب بني إسرائيل القدامى إلى خطاب الحاضرين منهم في زمن النَّبيِّ – ﷺ –، وحكمته أنَّه أدْعى لقبول المخاطب الأمرَ والنهيَ الواردين عليه.[4]

وقوله – تعالى– : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ على طريقة الالتفات. أي: توليتم عن الميثاق ورفضتموه.[5]

حملوه على الخطاب، وعلى ما بعده من الخطاب في قوله: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾، وقوله – تعالى–: ﴿ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾، وقوله – تعالى– : ﴿ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ ﴾ [البقرة2: 85].[6]

---

(1) ﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾: قراءة ابن كثير، وحمزة، والكسائيّ، وابن محيص، والحسن، والأعمش. معجم القراءات القرآنيّة 1/ 78.

(2) الحجَّة 83.

(3) حجَّة القراءات102 –103.

(4) الدُّر المصون 1/ 458، وإعراب القرآن وبيانه 1/ 137، وإعراب القرآن للدُّرّة 1/ 143.

(5) الكشَّاف 1/ 178.

(6) الكشف عن وجوه القراءات السَّبع 1/ 249.

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فحرست القرائن التّالية المعنى:

- العلامة الإعرابيّة: ﴿تَعْبُدُونَ﴾.
- الرّبط: "الواو" في قوله –تعالى–: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فحكى ما خاطبهم به، فجرى الكلام على لفظ المواجهة.
- البنية: اتّساق الكلام وتطابقه على الخطاب؛ توليتم، أنتم، منكم.

قوله –تعالى–: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ إخبار في معنى النّهي. قال أحمد[1]: وجه الدّليل منه أنّ الأوّل لو لم يكن في معنى النّهي لما حَسُنَ عطف الأمر عليه، لما بين الأمر والخبر المحض من التّنافر، ولا كذلك الأمر والنّهي؛ لالتقائهما في معنى الطّلب".[2] كما تقول: تَذْهَبُ إِلى فُلانٍ تَقُولُ لَهُ كَذَا. تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنّهي، لأنّه كأنّه سورع إلى الإمتثال والإنتهاء، فهو يخبر عنه، وتنصره قراءة عبد الله، وأُبَيّ: "وَلاَتَعْبُدُوا" ولا بدّ من إرادة القول، ويدل عليه أيضاً قوله: ﴿وَقُولُوا﴾ وقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ "وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانا" إمّا أن يقدر: وتحسنون بالوالدين إحساناً. أو: وأحسنوا.

"وقيل هو جواب قوله – تعالى–: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إجراء له مجرى القسم؛ كأنّه قيل: وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون. وقيل: معناه: أنْ لا تعبدوا، فلما حذفت (أنْ) رفع. كقوله:

أَلا أَيُّهذا الزَّاجِرِي أَحْضُرُ الْوَغَى

" قال أحمد – رحمه الله – : لو قُدّر القسم مضافاً إلى المذكورين لكان أوجه، فيقول:

---

(1) الإمام ناصر الدّين أحمد بن محمّد بن المنير الإسكندريّ المالكيّ (ت: 683هـ)، صاحب كتاب الإنتصاف فيما تضمنه الكشّاف من الاعتزال، مطبوع في حاشية الكشّاف.

(2) الإنتصاف فيما تضمنه الكشّاف من الاعتزال؛ مطبوع في حاشية الكشّاف 1/ 186

(وإذ أقسمتم لا تعبدون إلاّ الله... إلخ)"[1]. ويدل عليه قراءة عبد الله "أَنْ لا تَعْبُدُوا". ويحتمل "أَنْ لا تَعْبُدُوا" أن تكون (أنْ) فيه مفسِّرة، وأن تكون أنْ مع الفعل بدلاً عن الميثاق، كأنَّه قيل: أخذنا ميثاق بني إسرائيل توحيدهم.[2]

قوله – تعالى – : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ الواو: حرف عطف على موضع (أنْ) المحذوفة في ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ فكان معنى الكلام: وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأن لا تعبدوا إلا الله وأحسنوا بالوالدين، وبالوالدين الجار والمجرور متعلقان بفعل المصدر. أي: وأحسنوا بالوالدين (إحساناً)[3]

وجعل أبو البقاء قراءة الخطاب على إضهار القول. قال: "يُقرأ بالتَّاء على تقدير: قلنا لهم: لا تعبدون إلَّا الله "[4]

ويعلق السَّمين الحلبيُّ على قول أبي البقاء بقوله: "وكونه التفاتاً أحسن. "[5] المعنى: واذكروا إذ أخذنا، وقال مكِّي – رحمه الله–: "هذا هو الميثاق الذي أُخذ عليهم حين أُخرجوا من صلب آدم – عليه السَّلام– كالذَّرِّ. وقال إبن عطيَّة: وهذا ضعيف، وإنَّما هو الميثاق الَّذي أُخذ عليهم وهم عقلاء في حياتهم على لسان موسى– عليه السَّلام– وغيره من أنبيائهم– عليهم السَّلام– وأخذ الميثاق قول، فالمعنى، قلنا لهم لا تعبدون. قال سيبويه:[6] لا تعبدون متعلق بقسم، والمعنى: وإذ استحلفناكم والله لا تعبدون، وقالت طائفة: تقدير الكلام: بأنْ لا

(1) نفسة 1/ 186.

(2) الكشَّاف 1 / 186 – 187.

(3) إعراب القرآن وبيانه 1/ 137.

(4) التّبيان في إعراب القرآن 1/ 83.

(5) الدُّار المصون 1/ 458.

(6) الكتاب 3/ 105 – 106:

تعبدوا إلا الله، ثمّ حذفت الباء، ثمّ حذفت أَنْ فارتفع الفعل لزوالها، فلا تعبدون على هذا معمول لحرف النَّصب، وحكي عن قطرب والمبرّد: أنَّ "لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ" في موضع الحال. أي:أخذنا ميثاقهم موحدين؛ وهذا إنَّما يتجه على قراءة ابن كثير وحمزة والكسائيّ – لا يَعْبُدُونَ– أي: جَعْلُه في موضع الحال، لا على أنَّه مقول، ولا على أنَّه نهي. وقال قوم: "لا تعبدون إلا الله" نهي في صيغة خبر، ويدل على ذلك أنَّ في قراءة أُبَيّ: "لا تعبدوا" وقال الفرَّاء وَالزَّجَّاج وجماعة: أخذنا ميثاقهم بألَّا يعبدوا إلَّا الله، وبأن يحسنوا للوالدين، وبأن لا يسفكوا الدِّماء، ثم حذفت أن والباء فارتفع لزوالها، وعليهما أنشد سيبويه:[1]

ألا أيُّهذا الزَّاجِرِي.

المعنى النَّحويّ

قال السَّمين الحلبيّ: وفي هذه الجملة المنفيَّة ثمانية أوجه:

- **أظهرها**: أنها مفسِّرة لأخذ الميثاق[2]، وذلك أنَّه لمّا ذكر – تعالى– أنَّه أخذ ميثاق بني إسرائيل كان في ذلك إبهام للميثاق ما هو؟ فأتى بهذه الجملة مفسِّرة له، ولا محل لها حينئذٍ من الإعراب.
- **الثَّاني**: أنَّها حالٌ مُقارِنَة بمعنى: أخذنا ميثاقهم ملتزمين الإقامة على التَّوحيد، قاله أبو البقاء[3]،– أو: أخذنا ميثاقهم موحدين.[4] – وسبَقَه إلى ذلك قطرب والمبّرد.
- **الثَّالث**: أن يكون جواباً لقسم محذوف دلَّ عليه لفظ الميثاق[5]. أي: اسْتَحْلَفناهم،

(1) المحرَّر الوجيز 1/ 276–277، والقرطبيّ 1/ 407–408 .

(2) الكشَّاف 1/ 186.

(3) الإملاء 1/ 46.

(4) مشكل إعراب القرآن 1/ 102.

(5) الكشَّاف 1/ 186

أو: قلنا لهم: بالله لا تعبدون. ونُسب هذا الوجه لسيبويه[1] ووافقه الكسائيّ والفرّاء[2] والمبرّد.

- الرَّابع: أن يكون على تقدير حرف الجرِّ، وحذف أن؛ والتقدير: أخذنا ميثاقهم على أن لا تعبدوا، أو: بأن لا تعبدوا. فحذف حرف الجرِّ؛ لأنَّ حذفه مطَّرد مع أَنَّ وأَنْ، ثم حذف (أَنْ) النَّاصبة فارتفع الفعل بعدها. ونظيره قول طرفة:

أَلا أَيُّهـذا الزَّاجِرِي أَحْـضُرُ الـوَغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِـدِي.[3]

وإذ حذفت (أَنْ) فالصَّحيح جواز النَّصب والرَّفع، وأيد الزَّمخشريُّ هذا الوجه الرَّابع بقراءة عبد الله، وأُبَيّ: "لا تعبدون" على النَّهي.[4]

- الخامس: أن يكون في محل نصب بالقول المحذوف، وذلك القول حال تقديره: قائلين لهم لا تعبدوا إلا الله. ويكون خبراً في معنى النَّهي، ويؤيده قراءة أُبَيّ المتقدِّمة، وبهذا يتَّضح عطف "وقولوا" عليه، وبه قال الفَرّاءُ.[5]

- السَّادس: أنَّ "أَنْ" النَّاصبة مضمرة، كما تقدم، ولكنَّها هي وما في حَيِّزها في محل نصب على أنَّها بدل من "ميثاق" كأنَّه قيل: أخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم[6]. وهذا قريب من القول الأوّل من حيث أنَّ هذه الجملة مفسِّرة للميثاق.

(1) الكتاب 3/ 106

(2) معاني القرآن 1/ 54.

(3) الكتاب 3/ 99 و 100.

(4) الكشَّاف 1/ 186.

(5) معاني القرآن 1/ 54.

(6) الكشَّاف 1/ 186 - 187

- السّابع: أن يكون منصوباً بقول محذوف، وذلك القول ليس حالاً، بل مجرَّد إخبار، والتَّقدير: وقلنا لهم ذلك. ويكون خبراً في معنى النَّهي. قال الزَّمخشريّ[1]: "كما تقول: تذهَبُ إلى فلان تقول له كذا. تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنَّهي؛ لأنَّه كأنَّه سُورِع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه، وتنصره قراءة أُبَيّ وعبدالله: "لا تعبدوا" ولا بدَّ من إرادة القول. "انتهى، وهو كلام حسن جدّاً.
- الثّامن: أن يكون التَّقدير: أن لا تعبدون، وهي "أنْ" المفسِّرة، لأنَّ في قوله: "أخذنا ميثاق بني اسرائيل" إبهاماً كما تقدم، وفيه معنى القول، ثم حُذِفَتْ "أنْ" المفسِّرة، ذكره الزَّمخشريّ[2] [3].

5. قال – تعالى –:

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

[البقرة 2:85]

بلاغيّاً:

قرأ الحسن وابن هرمز باختلاف عنهما "تُردّون" بالتَّاء، وهو مناسب لقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ﴾ ويحتمل أن يكون التفاتاً بالنِّسبة إلى قوله: "من يفعل ذلك". فيكون قد

(1) الكشّاف 1/ 186.

(2) الكشّاف 1/ 186 – 187.

(3) الدّر المصون 1/ 458-461.

خرج من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب.[1]

وقُرِئ: "يَردُّون" بالغيبة على المشهور، وفيه وجهان:

- أحدهما: أن يكون التفاتاً فيكون راجعاً إلى قوله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ ﴾ فخرج من ضمير الخطاب إلى الغيبة.
- والثّاني: أنّه لا التفات فيه، بل هو راجع إلى قوله:﴿ مَن يَفْعَلُ ﴾.
- وقرأه الحسن وابن هرمز: "تُردّون" بالخطاب، وفيه الوجهان المتقدمان.
- فالالتفات نظراً لقوله: ﴿ مَن يَفْعَلُ ﴾ .
- وعدم الالتفات نظراً لقوله:﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ ﴾[2]
- وكذلك: " ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ قُرِئ في المشهور بالغيبة والخطاب[3]، والكلام فيهما كما تقدّم.

نحوياً

قوله –تعالى– : يُرَدُّون.

من قرأ ﴿ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ ﴾. (تُردّون)، فقد انتقل من الغيبة إلى الخطاب. وفي هذا عدول عن المطابقة.

ومن قرأ ﴿ مَن يَفْعَلُ ﴾.. ﴿ يُرَدُّونَ ﴾، فإن الضّمائر متّسقة على نمط واحد من المطابقة.

ومن قرأ (تُرَدُّون).. مناسب لـ ﴿ تَقْتُلُونَ ﴾ و ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ ﴾ فيكون الكلام متّسقاً على نسق واحد من المطابقة في الضّمائر.

قوله: ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ أُوْلَٰئِكَ ﴾ .

---

(1) البحر المحيط 1/ 294. والنّهر المادّ 1/ 294.

(2) الدرّ المصون 1/ 490.

(3) قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر بالياء، والباقون بالتّاء. انظر السّبعة 160، البحر 1/ 294.

1- قرأه الحرميّان بالياء (يَعْمَلُونَ) ردّوه على قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ﴾، وقوله ﴿ عَنْهُمُ ﴾ و﴿ وَلَا هُمْ ﴾ فلمّا أتى كلّه بلفظ الغائب؛ حمل صدر الكلام عليه.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[البقرة 2: 86].

2- وقرأ الباقون بالتّاء ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ حملوه على ما تقدم من الخطاب في قوله: ﴿ يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ ﴾ و﴿ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ ، وقوله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ، وقوله: ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ ﴾، فلما تكرّر الخطاب حُمل عليه.

وهو الاختيار لكثرة ما قبله من الخطاب، ولأنَّ أكثر القراء عليه.

ويحتمل أن يكون لأمّة محمّد - ﷺ- فقد روي أنَّ سيدنا عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه- قال: إنَّ بني اسرائيل قد مضوا وأنتم الَّذين تعنون بهذا يا أمّة محمَّد، يريد وبما يجري مجراه.(1)

6. قال - تعالى- :

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [البقرة 2:96] بلاغيّاً

قرأ الجمهور ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ بالياء على نسق الكلام السّابق.

وقرأ الحسن وقتادة والأعرج ويعقوب "تَعْمَلُونَ" بالتّاء على سبيل الالتفات،

(1) الكشف 1/ 252-253، والمحرّر 1/ 285، والقرطبيّ 1/ 416، والتّبيان 1/ 87-88.

والخروج من الغيبة إلى الخطاب. وهذه الجملة تتضمن التّهديد والوعيد.(1)

نحويًا

نسق الآية الكريمة ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ ﴾ ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾ ﴿ لَوْ يُعَمَّرُ ﴾ ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ والتقدير: وما أحدهم بمزحزحه تعميره– سار على نسق واحد.

فختم على قراءة الجمهور ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾.

وختم على قراءة الحسن وغيره "تَعْمَلُونَ" فعدل عن المطابقة فانتقل من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب استحضاراً لخطاب المتوّعدين من بني اسرائيل، للفت النَّظر إلى بني اسرائيل المعايشين للنَّبيِّ – ﷺ– وإلى من سيأتي بعدُ منهم.

والعائد محذوف؛ أي: يعملونه، أو: تعملونه.

وأتى بصيغة المضارع للغائب – في قراءة الجماعة، وللمخاطب في قراءة الحسن، وقتاده، والأعرج ويعقوب– وإن كان علمه محيطاً بأعمالهم السَّالفة والحاضرة والمستقبلة؛ مراعاة لرؤوس الآي وختم الفواصل، والخطاب أوقع وآلم.

7ـ **قال – تعالى–** :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة 2:144]

- من قرأ بالياء ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ ؛ فالظَّاهر أنَّه عائد على أهل الكتاب لمجيء ذلك في نسق واحد من الغيبة. ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا

(1) البحر المحيط 1/ 316، والنَّهر المادّ 1/ 316، والدّر المصون 2/ 16، المحرَّر الوجيز 1/ 299، الزَّمخشريّ 1/ 193-194، القرطبيّ 1/ 427.

﴿ ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

• وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائيّ بالتّاء على الخطاب "تَعْمَلُونَ"[1] فيحتمل:

أ- أن يراد به المؤمنون، ويأتي متّسقاً مع قوله -تعالى-: ﴿ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ ﴾.

بلاغياً

ب- ويحتمل أن يراد به أهل الكتاب فتكون من باب الالتفات، ووجهه أنَّ في خطابهم بأنَّ الله لا يغفل عن أعمالهم تحريكاً بأن يعملوا بما عملوا من الحقّ لأنَّ المواجهة بالشّيء تقتضي شدّة الإنكار وعظم الشّيء الّذي ينكر.

وعلى كلتا القراءتين فهو إعلام بأنَّ الله -تعالى- لا يهمل أعمال العباد ولا يغفل عنها، وهو متضمن الوعيد.

نحوياً

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾.

ففي قراءة "تَعْمَلُونَ" خروج على نسق الغيبة إلى الخطاب؛ عدولاً به عن المطابقة.

8. **قال -تعالى-:**

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُوا۟ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾

[البقرة2: 196].

(1) المحرَّر الوجيز 2/ 11.

بلاغيًّا

﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ فيه التفات من الغائب إلى المخاطب.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن الغيبة في قوله – تعالى-: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ فجاء بضمير الغيبة عائداً على "مَنْ" فلوجاء الكلام متّسقاً متطابقاً لقيل: "إِذَا رَجَعَ" بضمير الغيبة.

9. **قال- تعالى-:**

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾ [البقرة 2: 243–244]

وقصّة هؤلاء أنّهم قوم من بني إسرائيل فرّوا من الجهاد لمّا أمرهم الله به على لسان حِزْقيل النّبيِّ – عليه السّلام – فخافوا الموت بالقتل في الجهاد، فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك، فأماتهم الله ليعرِّفهم أنّه لا ينجيهم من الموت شيء، ثمّ أحياهم وأمرهم بالجهاد بقوله- تعالى-: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

وفي قصّة هؤلاء روايات أخرى [(1)]

بلاغيًّا

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله – تعالى-: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

نحويًّا

عدل الكتاب العزيز عن الغيبة في قوله – تعالى: – ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا ﴾ إلى الخطاب في قوله – تعالى-: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.

(1) الكشّاف 1/ 318، والمحرَّر 2/ 245 –246 ، والقرطبيّ 2/ 1038.

"قال ابن عبّاس والضَّحاك: الأمر بالقتال هو للّذين أُحيوا من بني إسرائيل، فالواو على هذا عاطفة على الأمر المتقدِّم، وقال لهم: وَقَٰتِلُوا (1).

"هذه همزة الاستفهام دخلت على حرف النّفي، فَصَيَّرت النّفي تقريراً، وكذا كلّ استفهام دخل على نفي نحو: " ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾ [الشّرح94: 1].

و﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزّمر 39: 36] فيمكن أن يكون المُخاطبُ عَلِمَ بهذه القصَّة قبل نزول هذه الآية، فيكون التّقرير ظاهراً؛ أي: قد رأيتَ حالَ هؤلاء، ويمكن أنّه لم يَعْلَمْ بها إلّا مِنْ هذه الآية، فيكون معنى هذا الكلام التّنبيه والتُّعجبَ من حال هؤلاء. والمخاطَبُ رسولَ الله ﷺ- أو كلُّ سامع. ويجوز أن يكون المرادُ بهذا الاستفهام التَّعجب من حال هؤلاء، وأكثر ما يرد كذلك. ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا ﴾ [المجادلة58: 14]. و﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [الفرقان 25: 45].

والرّؤية هنا عِلميّة فكان من حقِّها أن تتعدّى لاثنين، ولكنَّها ضُمِّنتْ معنى ما يتعدّى بإلى، والمعنى: ألم ينته علمُك إلى كذا. وقال الرّاغب: "رأيت يتعدَّى بنفسه دون الجارّ، لكن لمّا استعير قولُهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ بمعنى: ألَمْ تَنْظُر عُدِّيَ تعديتَه، وَقَلَّمَا يُسْتَعْمَلُ ذلك في غير التَّقدير، لا يُقال: رأيت إلى كذا" (2)(3)

وفائدة العدول تشجيع للمسلمين على الجهاد والتّعرض للشّهادة، وأنّ الموت إذا لم يكن منه بدّ ولم ينفع منه مفرّ، فأولى أن يكون في سبيل الله. (4)

(1) المحرّر الوجيز 2/ 248.

(2) المفردات 188.

(3) الدّر 2/ 505 ، وراجع الكشّاف 1/ 318، والمحرّر 2/ 245، والقرطبي 2/ 1038.

(4) الكشّاف 1/ 318، والدّر 2/ 508.

10- قال – تعالى– :

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران 3:28]

بلاغيّاً

عدل عن الغيبة إلى الخطاب لأنَّ موالاة الكفَّار والأعداء وكلّ من يتآمر على سلامة الأوطان والمؤمنين أمر مستسمج مستقبح ينكرهُ الطَّبع السَّليم، والخلق القويم، والإيمان المستقيم، ولا يليق أن يخاطب به الأصفياء والأولياء فجاء به غائباً.

والتَّقِيَّة لا تجوز فيما فيه ضرر وتآمر على الوطن وأرواح المؤمنين، ومع الأعداء الَّذين لا همّ لهم سوى اغتصاب الأرض، وهتك العرض، وهدر دم المؤمنين، فهؤلاء لا تجوز معهم تقية ولا مهادنة، ولا عقد أي عهد معهم؛ لأنَّهم سينقضونه ويستغلّونه للانقضاض على من اطمأنوا إليهم وركنوا إلى عهودهم[1]. والتَّـقِيَّة لا تحلُّ إلاّ مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم.[2]

نحويّاً

لو جرى على اتِّساق الكلام الأوَّل ومطابقة الضَّمائر لجاء بالكلام غيبة؛ أي لقال: "إلاّ أَنْ يَتَّقُوا".

وإنّما خرج على المطابقة؛ عادلاً، وذلك أنَّ موالاة الكفَّار لما كانت مستقبحة لم يواجه اللهُ عبادَه بخطاب النَّهي، بل جاء به في كلام أُسنِدَ الفعل المنهيّ عنه لغيب، ولمّا كانت المجاملةُ في الظَّاهر والمحاسنةُ جائزة لعذرٍ؛ وهو اتقاء شرّهم حَسُنَ الإقبالُ إليهم وخطابُهم برفع الحرج عنهم في ذلك.[3]

(1) إعراب القرآن الكريم وبيانه؛ 1/ 489، التّبيان في إعراب القرآن 1/ 251.

(2) القرطبيّ 2/ 1299، المحرَّر الوجيز 2/ 55-56.

(3) الدُّر المصون 2/ 109.

11. قال –تعالى–:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران 3:81]

بلاغياً

الالتفات في: ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾ وهو خطاب؛ بعد قوله –تعالى–: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ وهو لفظ غائب.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فخرج من الغيبة إلى الخطاب في قوله –تعالى–: ﴿ ءَاتَيْتُكُم ﴾ لأنَّه قد تقدَّمه اسم ظاهر وهو ﴿ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، إذ لو جرى على مقتضى تقدُّم الجلالة والنَّبيّين لكان التَّرتيب: وإذ أخذ الله ميثاق النَّبيِّين لما آتاهم من كتاب كذا.[1]

12. قال –تعالى–:

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران 3:82-83]

- قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم: ﴿ يَبْغُونَ ﴾ بالياء من تحت نسقاً على قوله: ﴿ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ في الآية الكريمة: ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران 3:82]
- والباقون: بتاء الخطاب "تَبْغُوَنَ"

(1) الدُّر المصون 3/ 293.

بلاغياً

قراءة "تَبْغُونَ" على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.(1)

نحوياً

عدل عن المطابقة فخرج من الغيبة في قوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ إلى الخطاب في قوله: "تَبْغُوَن". والمطابقة مرعيّة في قراءة ﴿ يَبْغُونَ ﴾ ، ونسقها واضح.

وقرأ أبو عمرو: "يَبْغُون" بالياء مفتوحة، و"تُرْجَعُون" بالتَّاء مضمومة.

بلاغيّاً

الالتفات خروج من الغيبة ﴿ يَبْغُونَ ﴾ إلى الخطاب "تُرْجَعُون".

نحوياً

عدل عن المطابقة، فخرج من الغيبة في قوله ﴿ يَبْغُونَ ﴾ إلى الخطاب في قوله "تُرْجَعُونَ".

13- قال –تعالى–:

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [آل عمران 3:115]

- قرأ نافع وابن عامر وابن كثير وأبو بكر بالتَّاء "تَفْعَلُوا... تُكْفَرُوهُ" فيهما على الخطاب، واختلفوا في المخاطب؛

– فقال مكّي: هو مردود على الخطاب الذي قبله في قوله ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ في الآية الكريمة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران 3:110]–

(1) البحر المحيط 2/ 515، والدُّر المصون 2/ 296 و297.

وما تفعلوا من خير.[1] فيكون من تلوين الخطاب ومعدوله.

– وقال ابن عطيّة: "تَفْعَلُوا... و"تُكْفَرُوه" بالتّاء على مخاطبة هذه الأمّة[2] – أمّة محمّد– ﷺ–.

بلاغياً

والذي يظهر أنّها التفات إلى قوله – تعالى– : ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ في الآية الكريمة: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران 3:113– 114] لمّا وصفهم بأوصاف جليلة أقبل عليهم تأنيساً لهم واستعطافاً عليهم فخاطبهم بأنَّ ما تفعلون من الخير فلا تمنعون ثوابه ولذلك اقتصر على قوله: "من خير" لأنّه موضع عطف عليهم وترحُّم ولم يتعرض لذكر الشَّرِّ، ومعلوم أنَّ كل ما يفعل من خير وشرٍّ يترتب عليه موعوده، ويؤيّد هذا الالتفات وأنّه راجع إلى "أمّة قائمة" قراءة الياء؛ وهي قراءة ابن عباس وحمزة والكسائيّ وحفص وعبدالوارث عن أبي عمرو واختيار أبي عبيد[3] وباقي رواة أبي عمرو خير بين التّاء والياء.[4]

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات 1/ 354.

(2) المحرَّر الوجيز 2/ 203–204.

(3) الكشف عن وجوه القراءات 1/ 354، والبحر 3 / 36، والنّهر 3/ 35، والقرطبيّ 2/ 1419، والمحرَّر 3/ 203–204، والدُّر 3/ 385، والكشّاف 1/ 432.

(4) مصحف افريقيا، القرآن الكريم برواية الدُّوري عن أبي عمرو، الخرطوم- السُّودان؛ الآية: 115 "تَفعَلُواْ... تُكفَرُوهُ".

نحوياً

1– إنَّ الضَّمير في هذه القراءة قراءة الياء عائد على ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ كما عاد في قوله – تعالى– : ﴿ يَتْلُونَ ﴾ ﴿ يَسْجُدُونَ ﴾ ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ وَيَأْمُرُونَ ﴾ ﴿ وَيَنْهَوْنَ ﴾. وما يفعلوا؛ فذلك كله لفظ غيبة متصل به ليس بينهما حائل؛ فذلك أولى به من الخطاب الذي بعد عنه.

2– في قراءة التَّاء "تَفْعَلُوا– تُكْفَرُوهُ." على مخاطبة هذه الأمّة؛ وبهذا يكون قد عدل عن عود الضَّمير إلى ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾.

ثم اخبر تعالى عن أهل الكتاب على جهة التوبيخ المقرون بالنُّصح أنَّهم لو آمنوا لنجُّوا أنفسهم من عذاب الله.(1)

و"كَفَر" يتعدى لواحد، فكيف تعدَّى هنا لاثنين؛ اوَّلهما: قام مقام الفاعل، والثَّاني: الهاء في "يُكْفَرُوهُ"؛ فقيل: إنَّه ضُمِّن معنى فعل يتعدى لاثنين، وهو: "حَرَمَ"." فكأنَّه قيل: فلن تحرموه. و"حَرَمَ" يتعدَّى لاثنين.(2)

14ـ **قال – تعالى– :**

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران 3:180].

- قرأ ابن كثير وأبو عمرو "يَعْمَلُونَ" على الغيبة جرياً على ﴿ يَبْخَلُونَ ﴾ ﴿ سَيُطَوَّقُونَ ﴾.
- وقرأ الباقون بالتَّاء ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾.

(1) المحرَّر الوجيز 3/ 195.

(2) الدُّر المصون 3/ 358.

بلاغيّاً

الالتفات: فقد انتقل من الغيبة إلى الخطاب بقوله: ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ زيادة في النَّكال وتأكيداً للوعيد والإنذار، فيكون ذلك خطاباً للباخلين.

والالتفات في ﴿ أَنتُمْ ﴾ [(1)] إن كان خطاباً للمؤمنين؛ إذ لو جرى على لفظ المؤمنين لكان على ما هم عليه، وإن كان خطاباً لغيرهم كان من تلوين الخطاب. وفي﴿ تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ فيمن قرأ بتاء الخطاب.[(2)]

نحويّاً

1- قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "وَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ" بالياء من أسفل، متَّسقاً على ذكر الَّذين ﴿ يَبْخَلُونَ ﴾ ﴿ سَيُطَوَّقُونَ ﴾.

2- وقرأ البَّاقون بالتَّاء من فوق ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ .

قال ابن عطيّة: "وذلك على الرُّجوع من الغيبة إلى المخاطبة، لأنَّه قد تقدم ﴿ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا ﴾.[(3)]

فلا يكون على قوله التفاتاً، والأحسن الالتفات.[(4)] فيكون الكتاب العزيز قد عدل عن المطابقة، وهي أبلغ في الوعيد.

(1) في قوله – تعالى-: ﴿ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران 3:179].

(2) المحرَّر الوجيز 3/ 306، والبحر 3/ 129 ، وإعراب القرآن وبيانه 2/ 119.

(3) المحرَّر الوجيز 3/ 306، والكشف 1/ 369.

(4) البحر 3/ 129

15- **قال – تعالى–** :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [آل عمران 187:3]

قوله – تعالى– ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾.

- قرأ أبو بكر وأبو عمرو وابن كثير وعاصم في رواية ابن عيَّاش: بياء فيهما (لَيُبَيِّنُنَّه) (يَكْتُمُونَهُ) حملوه على لفظ الغيبة؛ لأنَّ المخبر عنه غائب، وردُّوه في الغيبة على ما تقدم من ذكر الغيبة القريبة منه، في قوله – تعالى– : ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وعلى ما أتى بعده من لفظ الغيبة؛ في قوله – تعالى– ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ فجاء كله بلفظ الغيبة، فحمل ما قبله عليه، ليتنظم الكلام على سَنَنٍ واحد، ويأتلف على طريقة واحدة في الغيبة.
- وقرأ الباقون بالتَّاء فيهما ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ ﴾ ﴿ تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ حملوه على الخطاب كما قال – تعالى– : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾ [آل عمران 81:3] فرجع إلى الخطاب. ولو حمل على ما قبله لقال: آتيتهم.

بلاغياً

الالتفات، فقد انتقل من الغيبة في قوله – تعالى– : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ إلى الخطاب في قوله – تعالى– : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ ﴾.

والفائدة من ذلك زيادة التَّسجيل المباشر عليهم.(1)

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، إذ لو جاء الكلام متَّسقاً لقال: "لَيُبَيِّنُنَّه" "يَكْتُمُونَه" كما في قراءة أبي بكر، وأبي عمرو، وابن كثير، وعاصم في رواية ابن عيَّاش.

(1) الكشف 1/ 371، وإعراب القرآن الكريم وبيانه 2/ 128.

وفي القراءة بالتَّاء معنى توكيد الأمر، لأنَّ التّاء للمواجهة، فتقديره: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ، فقال لهم: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ للنَّاس ﴿تَكْتُمُونَهُ﴾.

وقد قرَّر علماء العربيَّة أنَّك إذا أخبرت عن يمين حلف بها فلك في ذلك ثلاثة أوجه:

- أحدها: أن يكون بلفظ الغائب كأنَّك تخبر عن شيء كان. تقول: استحلفته ليقومنّ.
- والثّاني: أن تأتي بلفظ الحاضر تريد اللفظ الذي قيل له، فتقول: استحلفته لتقومنّ، كأنك قلت له: لتقومنّ. والثَّالث: أن تأتي بلفظ المتكلم فتقول: استحلفته لأقومنَّ، ومنه قوله –تعالى– : ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [النَّمل27: 49] بالنُّون والياء.[1]

16. قال –تعالى– :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النِّساء 4:77]

- قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائيّ، وأبو جعفر، وروح، وخلف، وابن محيصن، والأعمش، والحلوانيّ: "ولا يُظْلَمُونَ". بالغيبة بالياء.
- وقرأ الباقون: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالخطاب بالتَّاء.

بلاغيّاً

الالتفات من الغيبة في الافعال الماضية إلى ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالخطاب." أي: لا تنقصون من أجور أعمالكم ومشاقّ التَّكليف أدنى شيء، فلا ترغبوا عن الأجر."[2]

(1) روح المعاني 4/ 149.

(2) البحر 3/ 299، ومجمع البيان 2/ 163.

نحوياً

في قراءة "لاَ يُظْلَمُوَن" بالغيبة مطابقة للغائبين قبله، وفي قراءة ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ عدول عن المطابقة، إذ خرج من الغيبة قبله وما فيه من تحقّق إلى الخطاب وما فيه من مواجهة وحضور.

وقد جاء العدول عن المطابقة على سبيل التَّوبيخ والإنكار لمن سبق ذكرهم في الآية كأنّه يخاطب قوماً حاضرين.

17. قال – تعالى– :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [النِّساء4 :107– 109]

بلاغياً

في قوله – تعالى– :﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ ﴾ التفات، فقد انتقل من الغيبة إلى الخطاب.

نحوياً

عدل عن المطابقة، لأنَّ الخطاب أبلغ لمشافهتهم بالتَّوبيخ والإنكار.

18. قال –تعالى– :

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة 5:50]

1. قرأ الجمهور﴿ يَبْغُونَ ﴾ بالياء على نسق الغيبة المتقدمة.

2. وقرأ ابن عامر بالتَّاء على الخطاب "تَبْغُونَ".

بلاغياً

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.[1]

نحوياً

عدل عن المطابقة، وقراءة التاء على الخطاب فيها مواجهتهم بالإنكار والرَّدع والزَّجر، وليس ذلك من الغيبة، والخطاب ليهود قريظة وبني النَّضير.

19. قال –تعالى–:

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأنعام 6:6]

بلاغياً

الالتفات في قوله –تعالى–: ﴿ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ والسِّياق يقتضي ما لم نمكِّن لهم، لتخصيص المرسل إليهم الرَّسول محمَّد –ﷺ– بالمواجهة، فضلاً عن تطرية نشاط السَّامع.

والضَّمير في ﴿ يَرَوْا ﴾ عائد على من سبق من المكذِّبين المستهزئين، والخطاب في ﴿ لَّكُمْ ﴾ راجع إليهم أيضاً. فيكون على هذا التفاتاً فائدته التَّعريض بقلَّة تمكّن هؤلاء ونقص أحوالهم عن حال أولئك، ومع تمكينهم وكثرتهم فقد حلّ بهم الهلاك؛ فكيف وأنتم أقل منهم تمكيناً وعدداً.[2]

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، إذ لو جاء الكلام متَّسقاً لقال: مَا لَمْ نُمَكِّن لَهُمْ.

قال ابن عطيَّة: "والمخاطبة في ﴿ لَّكُمْ ﴾ هي للمؤمنين ولجميع المعاصرين لهم من

(1) البحر 3/ 505.

(2) البحر 4/ 75، والدّر المصون 4/ 538، وإعراب القرآن وبيانه 3/ 67.

سائر النَّاس – أي: لسائر النَّاس كافَّة– فكأنَّه قال: ما لم نمكن يا أهل هذا العصر لكم، فهذا أبين ما فيه، ويحتمل أن يقدَّر في الآية معنى القول لهؤلاء الكفرة؛ كأنَّه قال: يا محمَّد، قل لهم: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ وإذا أخبرت أنَّك قلت لغائب، أو قيل له، أو أمرت أن يقال له؛ فلك في فصيح كلام العرب أن تحكي الالفاظ المقولة بعينها فتجيء بلفظ المخاطبة، ولك أن تأتي بالمعنى في الألفاظ بذكر غائب دون مخاطبة."[1] ومثاله: قلت لزيد: ما أكرمك، أو ما أكرمه.[2]

والمعنى: لم نعط أهل مكّة نحو ما أعطينا عاداً وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام، والسَّعة في الأموال، والاستظهار بأسباب الدُّنيا ما لم يعط هؤلاء الَّذين حُضُّوا على الاعتبار بالأمم السَّالفة وما جرى لهم.

وفي هذا (العدول) تعريض بقلَّة تمكين هؤلاء ونقصهم عن أحوال من سبق، ومع تمكين أولئك في الأرض فقد حلّ بهم الهلاك، فكيف لا يحلّ بكم على قلتكم وضيق خطتكم، فالهلاك إليكم أسرع من الهلاك إليهم.[3]

20ـ قال – تعالى–:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأعراف 145:7]

بلاغياً

الالتفات في قوله –تعالى– ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾.

وفائدته: استرعاء الانتباه والاهتمام، وزيادة في التأكيد والمبالغة للأخذ بالأحسن.

(1) المحرَّر الوجيز 6/ 8.

(2) الدرّ المصون 4/ 538–539.

(3) الكشّاف 2/ 8، والبحر 4/ 75.

وفي "الحض على نهج سبيل الصالحين، والأصل أن يقال: سأُريهم".

نحويّاً

عدل عن بنية الفعل، وعن المطابقة، ولم يقل "وأريناكم".

قال ابن عطيّة: "وأمّا من قرأها ﴿ سَأُورِيكُمْ ﴾ فالمعنى عنده: سأعرض عليكم وأجعلكم تخشون لتعتبروا حال دار الفاسقين، والرّؤية هنا رؤية العين؛ إلاّ أنَّ المعنى يتضمن الوعد للمؤمنين، والوعيد للفاسقين، ويدلّ على أنّها رؤية العين تعدي فعلها؛ وقد عدّي بالهمزة إلى مفعولين".(1)

ولم يقل "وَأَرَيْنَاكُم" حتى لا تنتهي العبرة والعظة بالخبر من رؤية معاصري فرعون من المؤمنين، ولأنَّ السِّين تدل على الاستقبال – ونحن نرى الاكتشافات الأثريَّة الّتي تدلُّ على أحوال الفراعنة يومياً، فهي – والله أعلم– دالّة على دوام الاعتبار من أحوالهم وما كانوا عليه من قوة وعظمة وما آلوا إليه إلى يوم القيامة؛ وعداً للمؤمنين ووعيداً للفاسقين.

21. قال – تعالى–:

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [الأعراف 7:169]

أ. قرأ أبو عمرو وأهل مكة "يَعْقِلُونَ" بالياء جرياً على الغيبة في السَّابقة.

ب. وقرأ الجمهور بالخطاب ﴿ تَعۡقِلُونَ ﴾.

---

(1) المحرَّر الوجيز 7/ 161.

بلاغيّاً

قراءة الجمهور بالخطاب ﴿ تَعۡقِلُونَ ﴾ على طريقة الالتفاف إليهم، أو على طريق خطاب هذه الأمّة، كأنه قيل: أفلا تعقلون حال هؤلاء وما هم عليه من سوء العمل، ويتعجَّبون من تجارئهم على ذلك.[1] "زيادة في التوبيخ والتّأنيب"[2]

نحويّاً

أ– عدل عن المطابقة ﴿ تَعۡقِلُونَ ﴾ – الضّمائر تدلّ على شيء واحد– والعدول في الانتقال من ضمائر الغيبة إلى ضمير الخطاب.

ب– أنَّ الخطاب لهذه الأمّة، أي: أفلا تعقلون أنتم حال هؤلاء وما هم عليه، وتتعجَّبون من حالهم. وأمّا الغيبة "يَعْقِلُونَ" فجرى على ما تقدم من الضّمائر.

22ـ قال – تعالى–:

﴿ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤ ﴾ [الأنفال 8:14]

بلاغيّاً

الالتفات من الغيبة في الآية الكريمة: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣ ﴾ [الأنفال 8:13] إلى الخطاب: ﴿ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤ ﴾

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فالخطاب للكافرين، لأنَّ الضّمير في ﴿ بِأَنَّهُمۡ ﴾ عائد على ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ في الآية الكريمة: ﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ

(1) البحر المحيط 4/ 417. الدُّر المصون 5/ 506؛ وقرأ ابن عامر ونافع وحفص ﴿ تَعۡقِلُونَ ﴾ بالخطاب، والباقون بالغيبة.

(2) صفوة التّفاسير 4/ 51.

فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال8: 12].

23. قال- تعالى-:

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [التّوبة 9: 69].

بلاغيّاً

التفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله- تعالى-: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ وفائدته: زيادة التّقريع والعتاب.(1)

نحويًا

في قوله - تعالى: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ عدول من الغيبة الّتي تفيد التّحقّق إلى الخطاب الّذي يفيد المواجهة.

وفائدته: أن يَذُمَّ الأوّلين بالاستمتاع بما أوتوا ورضاهم بها عن النّظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة، وأن يُخَسِّسَ أمر الاستمتاع، ويُهَجِّن أمرَ الرّاضي به، ثمّ يشبّه حال المخاطبين بحالهم.(2)

24. قال - تعالى- :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ

(1) صفوة التّفاسير 5/ 35.

(2) الدّر المصون 6/ 84.

وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[التَّوبة 9:111]

بلاغيّاً

الالتفات في قوله: ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ ﴾ من الغيبة إلى الخطاب. وفي ذلك زيادة في سرورهم.

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، وخرج من ضمير الغائب إلى ضمير الخطاب، لأنَّ في خطابهم بعد مبايعتهم (الأنصار) لرسول الله – ﷺ– البيعة الثَّالثة، وهي بيعة العقبة الكبرى تشريفاً لهم.

واستفعل هنا (استبشروا) فعل جاء فيه: استفعل بمعنى أفعل كاسْتَوْقَدَ وَأَوْقَدَ، وليس هذا من معنى طلب الشَّيء؛ كما تقول: اسْتَوْقَدَ نَاراً واسْتَهْدَى مَالاً واسْتَدْعَى نَصْراً، بل هو كعَجِبَ واسْتَعْجَبَ.(1)

25ـ **قال –تعالى–:**

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يونس 10:21]

1– قرأ أبو عمرو في رواية هارون العَتَكي، والحسن وقتادة والأعرج ونافع في رواية: "يَمْكُرُونَ" بياء الغيبة جرياً على ما سَبَق.

2– وقرأ أبو رجاء وشيبة وأبو جعفر وابن أبي اسحق وعيسى وطلحة والأعمش والجحدريّ وأيوب بن المتوكل وابن محيصن وشبل وأهل مكَّة والسَّبعة بالتَّاء

(1) المحرَّر الوجيز 8/ 284، والبحر المحيط 5/ 103، والدّر المصون 6/ 129.

﴿ تَمْكُرُونَ ﴾ على الخطاب.[1]

بلاغياً

1– في قراءة "يَمْكُرُوَن" بياء الغيبة جرياً على ما سبق.

2– في قراءة ﴿ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ بتاء الخطاب، التفات لقوله –تعالى–: ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ إذ التقدير: قل لهم، فناسب الخطاب، وفائدته: مبالغة في الإعلام بمكرهم.

– وفي قوله: ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا ﴾ التفات أيضاً؛ إذ لو جرى على قوله: ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾، لقيل: إنَّ رسله.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، مع فائدة المواجهة في الخطاب.

26ـ **قال – تعالى–:**

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود 28:11]

قوله –تعالى–

1. فعُمِّيَت: قرأ بها: حمزة، والكسائي، وحفص؛ بضم العين، وتشديد الميم؛ بمعنى: أُخْفِيَتْ.
2. فَعَمِيَت: قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وشعبة، ويعقوب، وأبو جعفر؛ بمعنى: خَفِيَت.
3. فَعَمَّاها: قرأ بها: أُبَيّ، وعليّ، والسّلميّ، والحسن، والأعمش، وعبدالله بن مسعود.
4. وَعُمِّيَت: قرأ بها: الأعمش، وابن وثّاب، وأبو عمرو؛ بالواو دون الفاء.

(1) البحر 5/ 136–137، والدّر المصون 6/ 168، والقرطبيّ 4/ 3163، والكشّاف 2/ 322، والمحرَّر الوجيز 9/ 24.

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في: ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى الخطاب في: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانتقل من الغيبة الّتي تفيد التّحقّق، في قوله –تعالى–: ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى الخطاب الّذي يفيد المواجهة في قوله –تعالى–: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾.

ففي قراءة الأخوين (حمزة والكسائيّ)، وحفص: "فَعُمِّيَتْ" بضم العين وتشديد الميم؛ فأصلها "عمّاها الله عليكم". أي: أبهمها عقوبة لكم، ثم بنى الفعل لما لم يُسمّ فاعله، فحذف فاعله للعلم به وهو الله –تعالى– وأقيم المفعول وهو ضمير الرّحمة مقامه، ويدل على ذلك قراءة أُبيّ بهذا الأصل: "فَعَمَّاها اللهُ عَلَيْكُم"، ورُوي عنه أيضاً وعن الحسن وعليّ والسُّلَميّ "فعمّاها" من غير فاعل لفظي.(1)

أمّا قراءة "فَعَمِيَت" فإنّه اسند الفعل إليها مجازاً. قال الزّمخشريّ: "فإن قلت: ما حقيقته؟ قلت: حقيقته أنّ الحجّة كما جُعِلَتْ بصيرة ومبصرة جُعلت عمياء، لأنّ الأعمى لا يهتدي ولا يَهدي غيرَه، فمعنى "فعَمِيَت عليكم البيّنةُ": فلم تهدكم كما لو عَمِيَ على القوم دليلُهم في المفازة بَقُوا بغير هادٍ. فإن قلت: فما معنى قراءة أُبَيّ؟ قلت: المعنى أنّهم صمّموا على الإعراض عنها، فخلّاهم الله وتصميمهم، فجعلت تلك التّخلية تعمية منه، والدّليل عليه قوله: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ يعني: أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها، وأنتم تكرهونها ولا تختارونها، ولا إكراه في الدين؟"(2)

وقوله –تعالى–: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ أتى هنا بالضّميرين متّصلين، فقدّم المخاطب على الغيبة لأنّه أخصّ، لأنّ الأصل في الكلام البداية بالمتكلّم، ثم بالمخاطب، ثم بالغيبة. فبنوا على

(1) الدُّر المصون 6/ 313.

(2) الكشّاف 2/ 369، والبحر 5/ 216، والدُّر المصون 6/ 314.

ذلك فقالوا: أعطانيك، وأعطاكني لا يجوز، وأعطيتكها، وأعطيتكهوك؛ قبيح، ومع قبحه قول يونس، واحتجَّ في ذلك قارئهم بقول القُطامي:

أَبْلِغْ رَبِيعَةَ أَعْلاهَا وأَسْفَلَهَا ... أَنَّا وَقَيْساً تَوَاعَدْنَا لِمِيعَادِ

فأخبر عن المتكلِّم دون الغائب، وهو قيس.

والمبرّد يقوِّي قول يونس في القياس، ويجعل إضمار الغائب، والمتكلِّم، والمخاطب في التَّقديم والتَّأخير سواء، ويجيز: أعطاهوك، و: أعطاهوني، و:أعطاكني، ويستجيزه ويستحسنه في منحتني نفسي.

وسيبويه لا يجيز شيئاً من ذلك إلاّ بالانفصال، نحو: أعطاه ايَّاك، و:أعطاها إيَّاك، و:أعطاه إيَّاكما، و: "أعاطاها إيَّاكما، و: أعطاك إيَّاي."[1]

قال سيبويه: "فإذا كان المفعولان اللَّذان تعدّى إليهما فعلُ الفاعل مخاطباً وغائباً، فبدأت بالمخاطب قبل الغائب، فإنَّ علامة الغائب العلامة الَّتي لا تقع موقعها إيَّا، وذلك قوله: أعطيتُكَهُ وقد أعطاكَهُ، وقال – عزّ وجلّ– : ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [هود 11:28] فهذا كهذا إذا بدأت بالمخاطب قبل الغائب.

وإنَّما كان المخاطب أولى بأن يُبدأ به من قبَل أنَّ المخاطَب أقربُ إلى المتكلِّم من الغائب، فكما كان المتكلِّم أولى بأن يَبْدَأ بنفسه قبل المخاطَب، كان المخاطَب الَّذي هو أقرب من الغائب أولى بأن يُبدأ به من الغائب.

فإن بدأت بالغائب فقلت: أعطاهُوكَ، فهو في القبح وأنَّه لا يجوز، بمنزلة الغائب والمخاطَب إذا بُدئ بهما قبل المتكلِّم، ولكنَّك إذا بدأت بالغائب؛ قلتَ: قد أعطاه إيَّاك.

وأمّا قول النَّحويِّين: قد أعطاهُوكَ، وأعطاهُونِي، فإنَّما هو شيء قاسوه لم تكلَّمْ به

(1) إعراب القرآن المنسوب للزَّجّاج ق3/ 923-924، وراجع الدّر المصون 6/ 315.

العربُ، ووضعوا الكلام في غير موضعه، وكان قياس هذا لو تُكلِّمَ به كان هيناً."(1)

وقال الزَّمخشريُّ: "يجوز أن يكون الثَّاني منفصلاً كقوله: "أنلزمكم إيَّاها". ونحوه: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة 2:137]، ويجوز: فسيكفيك إيَّاهم."(2)

و"ألزم" يتعدّى لاثنين، أوّلها: ضمير الخطاب، والثّاني: ضمير الغيبة.

و﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ جملة حاليَّة، يجوز أن تكون للفاعل، أو: لأحد المفعولين، وقدَّم الجار لأجل الفواصل."(3)

27ـ **قال – تعالى–:**

﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الإسراء 17:63]

بلاغيّاً

الالتفات من الغيبة ﴿ فَمَن تَبِعَكَ ﴾ إلى الخطاب في ﴿ جَزَاؤُكُمْ ﴾ .

نحويّاً

عدول عن المطابقة، فإنَّ من حق الضَّمير في ﴿ جَزَاؤُكُمْ ﴾ أن يكون على لفظ الغيبة لتكون المطابقة، ونسق الكلام: فمن تبعك منهم فإنَّ جهنَّم جزاؤهم.

قال الزَّمخشريُّ: "فإن قلت: أما كان من حقِّ الضَّمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى: مَن تبعك؟" قلت: بلى، ولكنَّ التَّقدير: فإنَّ جهنَّم جزاؤهم وجزاؤك، ثم غُلِّب المخاطب على الغائب، فقيل: جزاؤكم."(4)

وفي هذا العدول من الغيبة إلى الخطاب إشعار بالوعيد والتَّحذير لإبليس ومن تبعه من

---

(1) الكتاب 2/ 364.

(2) الكّشاف 2/ 369.

(3) الدّر المصون 6/ 317.

(4) الكشّاف 2/ 633. وانظر: البحر المحيط 6/ 58، والبحر المادّ 6/ 56، والدُّر المصون 7/ 380.

البشر؛ لخروجه على أوامر الله في السُّجود لآدم –عليه السَّلام– .

28. قال – تعالى–:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف 110:18]

- قرأ أبو عمرو في رواية الجعفيّ عنه "ولا تُشْرِكْ" بالتَّاء من فوق.
- وقرأ الجمهور﴿ وَلَا يُشْرِكْ ﴾ بالياء من تحت.

بلاغياً

1– ففي قراءة أبي عمرو في رواية الجعفيّ عنه "وَلَا تُشْرِكْ " بالتَّاء خطاباً للسَّامع، والتفاتاً من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب وهو المأمور بالعمل الصَّالح.

2– ثم عاد إلى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله:﴿ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ ﴾ ولم يأت التَّركيب: بعبادة ربِّك، إيذاناً بأنَّ الضَّميرين لمدلول واحد، وهو "مَنْ" في قوله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ ﴾.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، لأنَّ الضَّميرين لواحد، فانتقل من ضمير الغيبة إلى الخطاب، للمواجهة وما فيها من تلقِّي الأمر مباشرة وهو العمل الصَّالح، وعدم الاشراك في عبادة الله.(1)

29. قال – تعالى–:

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم 71:19]

- قرأ ابن عباس وعكرمة "وإنْ مِنْهُم"

(1) راجع رقم (25) من الخطاب إلى الغيبة.

بلاغياً

الخطاب في قوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ يحتمل الالتفات وعدمه.

1- الالتفات، التفات إلى الإنسان، قال الزَّمخشريّ[1]: "التفات إلى الإنسان، ويعضُدُه قراءة[2] ابن عباس وعكرمة – رضي الله عنهما– "وإنْ مِنْهُم"، وهو مفرَّغ على إرادة العموم من الأوَّل فيكون المخاطبون أوَّلاً هم المخاطبون ثانياً إلاّ أنَّ الخطاب الأوَّل بلفظ الغيبة والثَّاني بلفظ الحضور.

2- وأمّا إذا بنينا على أنَّ الأوَّل إنّما أريد منه خصوص على التَّقديرين جميعاً، فالثَّاني ليس التفاتاً، وإنّما هو عدول إلى خطاب العامة. أي: خطاب للنَّاس عن خطاب خاص لقوم معيَّنين، والله أعلم.[3]

نحوياً

عدل عن المطابقة، ولو جاء الكلام متسقاً لقال: "وإنْ منهم" بالهاء للغيبة على ما تقدم من الضَّمائر في الآيات التي قبلها في الكفَّار؛ قوله – تعالى– : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم 19:68– 71].

(وَإِنْ مِنْهُمْ) وهي قراءة ابن عباس وعكرمة – رضي الله عنهما– وجماعة.

---

(1) الزَّمخشريّ 3/ 36.

(2) القرطبيّ 5/ 4177، والبحر 6/ 210.

(3) الانتصاف فيما تضمنه الكشّاف من الاعتزال/ مطبوع في حاشية الكشّاف 3/ 36.

30ـ قال –تعالى–:

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ ﴾ [مريم 19:88– 89]

بلاغياً

الالتفات من ضمير الغيبة في ﴿ وَقَالُوا ﴾ إلى ضمير الخطاب في ﴿ جِئْتُمْ ﴾.

فائدته: زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله – سبحانه وتعالى– والتَّعرض لسخطه وتنبيه على عظيم ما قالوا.(1)

نحوياً

انتقل من ضمير الغيبة في ﴿ وَقَالُوا ﴾ إلى ضمير الخطاب في ﴿ جِئْتُمْ ﴾ عدولاً به، كأنه يوجه الخطاب إلى قوم حاضرين بين يديه –والبرُّ والفاجر بين يديه دائماً وأبداً– منكراً عليهم وموبِّخاً لهم.

31ـ قال –تعالى–:

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [النُّور 24:10]

بلاغياً

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب. وفائدته: تسجيل المنّة على المخاطبين.

نحوياً

خاطبهم بعد الغيبة لأنَّ ضمير الخطاب يعني المواجهة بالحديث فبعد أن بيّن لهم حدوده – تعالى الله– خاطبهم مواجهة حتى لا تبقى لديهم أعذار يتشبثون بها إن هم تجاوزوا حدوده– تعالى–.

(1) البحر 6/ 218، النَّهر 6/ 215، المثل السَّائر 2/ 5.

32ـ قال – تعالى–:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النُّور 24:22]

قرأ أبو حيوة وابن قطيب وأبو البرهسم "أَنْ تُؤْتُوا" بالتَّاء.(1)

بلاغيّاً

قراءة "أَنْ تُؤْتُوا" بالتَّاء على الالتفات من الغيبة ﴿ يَأْتَلِ ﴾ إلى الخطاب "تُؤْتُوا".

نحويّاً

في قراءة "أَنْ تُؤْتُوا" عدول عن المطابقة، ويتّسق معها ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾. والمخاطبة فيها المودَّة والرَّحمة، والقرب من المخاطب.

"ويروى أنَّها نزلت في شأن مِسْطَح وكان ابن خالة سيدنا أبي بكر الصِّدِّيق – رضي الله عنهما– وكان فقيراً من فقراء المهاجرين، وكان سيدنا أبو بكر – رضي الله عنه– ينفق عليه، فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه، وكفى به داعياً إلى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء. ويروى: أنَّ سيدنا رسول الله – ﷺ– قرأها على سيدنا أبي بكر – رضي الله عنه– فقال: بلى، أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مِسْطَح نفقته وقال: والله، لا أنزعها أبداً".(2)

33ـ قال – تعالى–:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ [الفرقان 25:68– 69]

(1) البحر 6/ 440، والدُّر 8/ 395، ومعجم القرءات القرآنيّة 4/ 148.

(2) الكشَّاف 3/ 226-227.

- قرأ طلحة بن سليمان "وتخلُدْ" بتاء الخطاب.(1)

بلاغيّاً

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، أي: وتخلد أيُّها الكافر.

نحويّاً

عدل عن المطابقة، فانتقل من ضمير الغيبة إلى ضمير المخاطب مخاطباً ومواجهاً الكافر بقوله: وتخلد أيها الكافر.

34ـ قال – تعالى–:

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الشُّعراء 26:10– 11]

– قرأ الجمهور ﴿ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ بالياء على الغيبة.

– وقرأ عبدالله بن مسلم بن يسار، وشقيق بن سلمة، وحماد بن سلمة، وأبو قلابة، بتاء الخطاب "ألا تَتَّقُونَ".(2)

بلاغيّاً

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب؛ وفائدته: الإنكار والغضب عليهم.

نحويّاً

عدل عن المطابقة، فخاطبهم كأنَّهم حاضرون؛ لأنَّه مبلغهم ذلك. و"فائدة هذا العدول (الالتفات) والخطاب مع موسى –عليه السَّلام– في وقت المناجاة والملتفت إليهم غُيَّب، أنَّ إجراء الخطاب مع موسى –عليه السَّلام– في معنى إجرائه بحضرتهم، وإلقائه إلى مسامعهم؛ لأنَّه (أي: موسى) مبلِّغ عن الله، وناشر ما يصدر عنه بين النَّاس، وفيه لطف وحثٌّ

(1) البحر 6/ 515، الدُّر 8/ 503.

(2) البحر 7/ 7، والدُّر 8/ 513، والكشَّاف 3/ 308.

على زيادة التّقوى". (1)

35. قال – تعالى–:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ ﴾ [السّجدة 32: 7–8–9].

بلاغيّاً

﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ﴾ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، والأصل: (وَجَعل لَهُ).

نحويّاً:

عدل الكتاب العزيز من ضمير غائب الّذي يفيد التّحقّق في قوله: ﴿ نَسۡلَهُۥ ﴾ و﴿ سَوَّىٰهُ ﴾ و ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ ﴾ إلى خطاب جماعة الّذي يفيد المواجهة في قوله – تعالى–: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ﴾ "وتعديد للنّعم وهي شاملة لآدم، كما أنَّ التّسوية ونفخ الرّوح شامل له ولذريّته". (2)

"والنُّكتة أنّ الخطاب إنّما يكون مع الحيّ؛ فلمّا نفخ – تعالى– الرّوح فيه حسن خطابه مع ذريّته". (3)

36. قال – تعالى–:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ

(1) البحر 7/ 7، والدُّر 8/ 513، والكشّاف 3/ 308.

(2) البحر المحيط 7/ 199، والدّر المصون 9/ 83.

(3) صفوة التّفاسير 12/ 43.

قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأحزاب 50:33][1]

بلاغياً

الالتفات

1- من الخطاب في قوله – تعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ ﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ﴾.

2- من الغيبة في قوله –تعالى-: ﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ ﴾ إلى الخطاب في قوله – تعالى-: ﴿ خَالِصَةً لَكَ ﴾.

وفائدته في قوله – تعالى-: ﴿ خَالِصَةً لَكَ ﴾ للإيذان بأنّه مما خُصّ به وأوثر، وأنّ هذا الاختصاص تكرمة من أجل النّبوّة. "وتكريره تفخيم له، وتقريره لاستحقاقه الكرامة لنبوّته."[2]

نحوياً

1- جملة ﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ﴾ حال؛ لأنّ الحال متمّم للجملة الفعليّة، ويدل على هيئة صاحبه عند حدوث الفعل، فإنّ هبتها نفسها منه لا توجب له حلّها إلاّ بإرادته نكاحها؛ كأنّه قال: أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها، لأنّ إرادته هي قبول وما به تتمّ.

2- قوله: ﴿ خَالِصَةً ﴾ العامّة على النّصب. وفيه أوجه:

- أحدها: يجوز أنّه منصوب على الحال من فاعل ﴿ وَهَبَتْ ﴾. أي: حال كونها خالصة لك دون غيرك.

(1) انظر رقم (31) من الخطاب إلى الغيبة.

(2) الكشّاف 3/ 559.

- **الثّاني**: واختار الزَّجّاج وأبو البقاء أنها حال من ﴿ وَٱمۡرَأَةً ﴾ لأنّها وصفت فتخصّصت، وهو بمعنى الأوّل.
- **الثّالث**: أنها نعتُ مصدر مقدَّر. أي: هبة خالصة، فنصبها بوَهَبَتْ.
- **الرّابع**: ويجوز أن تكون مصدراً مؤكداً لفعل محذوف. أي: خلصت لك خالصة. أو: أي: خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصةً، بمعنى خلوصاً، وقال الزّمخشريّ: "والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج القاعد، والعافية والكاذبة." يريد "بالخارج" ما في قول الفرزدق:

عَلَى حِلْفَةٍ لا أَشْتُمُ الدَّهرَ مُسلِماً ولا خارجاً مِنْ فِيَّ زُورُ كَلامِ.[1]

و"بالقاعد" ما في قولهم: "أقاعِداً وقد سارَ الرَّكبُ". و"بالكاذبة" ما في قوله -تعالى- : ﴿ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ ﴾ [الواقعة56: 2]. وقد أنكر الشيخ[2] عليه قوله: "غير عزيزين" وقال: "بل هما عزيزان، وما ورد متأوّل".[3]

- وقرئ "خَالِصَةٌ" بالرَّفع[4]، والرَّفع يعني أنّها جملة اسميّة، والجملة الاسميَّة تعني

(1) الكتاب 1/ 346، وشرح المفصَّل 2/ 59، والخزانة 1/ 223.

قال ابن يعيش: "الشّاهد فيه نصب خارجاً من فيّ زور كلام؛ ونصبه لوقوعه موقع المصدر الموضوع موضع الفعل، والتَّقدير: عاهدت ربِّي لا يخرج من فيّ زور كلام خروجاً، ويجوز أن يكون قوله: ولا خارجاً، حالاً، والمراد عاهدت ربِّي غير شاتم ولا خارج. أي: عاهدته صادقاً. والمعنى: أنّه تاب عن الهجاء وقذف المحصنات وعاهد الله على ذلك بين رتاج الكعبة وهو بابها ومقام ابراهيم صلوات الله عليه".

(2) البحر 7/ 242.

(3) الدُّر المصون 9/ 135-136.

(4) الكشّاف 3/ 560، والبحر 7/ 242.

الثَّبات والاستقرار، أي: ذاك خلوص لك، وخصوص من دون المؤمنين، أي: إن الأمر خاصّ للنَّبيّ – ﷺ – . ومن جعل خالصة نعتاً للمرأة فعلى مذهبه: هذه المرأة خالصة لك من دونهم.(1)

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، وحفظت قرينة الرَّبط بإعادة اللَّفظ "النَّبيّ" المعنى، فإعادة المرجع بلفظه رابط أقوى من إعادة ضميره عليه؛ لأنَّ لفظه أقوى من الكناية عنه.

وفائدته: مجيئه على لفظ النَّبيّ للدلالة على أنَّ الاختصاص تكرمة له لأجل النّبوَّة، وتكريره تفخيم له، وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوَّته.

37_ **قال – تعالى–:**

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ 34:34–37]

بلاغياً

التفات من الغيبة ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

إلى الخطاب ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾.

وفائدته: المبالغة في تحقيق الخبر.

والمعنى: إنَّ ذلك الذي تسرُّون به وتحبرون من كثرة الأموال والأولاد لن يجديكم شيئاً منَّا فتيلاً ما دمتم مصرِّين على أعمال الغيّ و الضَّلال.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة والاتِّساق، وانتقل من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب ليخاطبهم مواجهة، وهذا أوقع في النَّفس وأشدّ مبالغة في تحقيق الحقّ.

---

(1) التّبيان 2/ 1059، الكشّاف / 559، والدُّر المصون 9/ 134، إعراب القرآن وبيانه 8/ 35.

38. قال –تعالى–:

﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الصّافات 37:36– 38]

بلاغياً

الالتفات؛ التفت من الغيبة ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ إلى الخطاب ﴿ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، وواجههم بقوله: ﴿ إِنَّكُمۡ ﴾ إمعاناً في التّهديد وتبياناً لغضبه –جلَّ وعزَّ شأنه– الّذي بلغ أبعد الآماد وأقصى الحدود.

والأصل: إنّهم لَذَائِقُو العَذاب. وإنّما عَدَل لزيادة التقبيح، والتشنيع عليهمَ.

39. قال – تعالى–:

﴿ ۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ﴾ [غافر 40:21]

- قرأ الجمهور ﴿ مِنۡهُمۡ ﴾ بضمير الغيبة؛ مطابقاً مع ما سبق من الضّمائر الغائبة.
- وقرأ ابن عامر "مِنْكُم" بضمير الخطاب.(1)

بلاغياً

الالتفات في قراءة ابن عامر "مِنْكُم" حيث انتقل من ضمائر الغيبة إلى ضمير الخطاب.

نحوياً

في قراءة ابن عامر عدل عن المطابقة، حيث انتقل من الإخبار في الماضي إلى مواجهتهم

(1) البحر 8/ 457، الدُّر 9/ 470، والكشّاف 4/ 164.

في "مِنْكُم" وذلك لإحراجهم.

40. قال – تعالى– :

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزُّخرف 71:43]

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في قوله –تعالى–: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم ﴾ إلى الخطاب في قوله –تعالى–: ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانتقل من الغيبة في قوله –تعالى– ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم ﴾ مع ما في الغيبة من تحقُّق، إلى الخطاب في قوله –تعالى– : ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ مع ما في الخطاب من مواجهة وحضور. وما تحدثه هذه المواجهة في نفس المؤمن من الشَّوق إلى الجنَّة ونعيمها، ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ولو جاء الكلام متَّسقاً متطابقاً لقال: وهم فيها خالدون.

41. قال –تعالى– :

﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزُّخرف 72:43]

بلاغياً

التفت من الغيبة إلى الخطاب.

نحوياً

مطابقة ﴿ أُورِثْتُمُوهَا ﴾ أن يقول (وَتِلْكُم)، والخطاب للتَّشريف، والمخاطب كلّ واحد ممَّن دخل الجنَّة ولذلك أفرد الكاف للإيذان بأنَّ كلَّ واحد من أهل الجنَّة مقصود بالذِّكر لذاته.

42. قال – تعالى– :

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمّد – ﷺ – 47: 20 – 22].

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في ﴿ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ إلى الخطاب في ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ ليكون أبلغ في التّوكيد.[1]

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانتقل من الغيبة في﴿ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ إلى الخطاب في قوله – تعالى– :﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾.

وفائدته: مواجهتهم بالخطاب "لتأكيد التّوبيخ و تشديد التّقريع"[2] وتوقيفهم على سوء مرتكبهم.

قال الزّمخشريّ: "فإن قلت: ما معنى:﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ؟ قلت: معناه: هل يتوقع منكم الإفساد؟ فإن قلت: فكيف يصح هذا في كلام الله – عزّ وجلّ – وهو عالم بما كان وبما يكون؟ قلت: معناه إنّكم – لما عهد منكم – أحقّاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان: يا هؤلاء، ما ترون؟ هل يتوقع منكم إن تولّيتم أمور النّاس وتأمّرتم عليهم لما تبيّن منكم من الشّواهد ولاح من المخايل ﴿ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ تناحراً على الملك وتهالكاً على

(1) الكشّاف 4 / 327، والبحر 8 / 82.

(2) صفوة التّفاسير 16/ 29.

الدُّنيا؟ وقيل: إن أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله - ﷺ - وسنَّته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض: بالتَّغاور والتَّناهب، وقطع الأرحام: بمقاتلة بعض الأقارب بعضاً ووأد البنات؟[1]

43. قال - تعالى-:

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴾[الفتح 48: 18-19-20].

- قرأ الحسن ونوح القارئ:" وآتاهُم" أي: أَعْطَاهُم.[2]
- وقرأ الجمهور: ﴿ وَأَثَٰبَهُمْ ﴾.
- وقرأ الجمهور: ﴿ يَأْخُذُونَهَا ﴾ بالياء على الغيبة، وفي ﴿ وَأَثَٰبَهُمْ ﴾ وما قبله من ضمير الغيبة.
- وقرأ الأعمش، وطلحة، ورويس عن يعقوب، ودلبة عن يونس عن ورش، وأبودحية، وسقلاب عن نافع، والأنطاكيّ عن أبي جعفر ﴿ تَأْخُذُونَهَا ﴾ بالتَّاء على الخطاب؛ كما جاء بعد: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً ﴾ بالخطاب.

"وهذه المغانم الموعود بها هي المغانم الّتي كانت بعد هذه- بيعة الرِّضوان- وتكون إلى يوم القيامة، قاله: ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسّرين... وقيل: الخطاب لأهل البيعة، وإنّهم سيغنمون مغانم كثيرة".[3]

(1) الكشّاف 4 / 327 - 328.

(2) البحر المحيط 8/ 96، والكشّاف 4/ 342، والدّر 9/ 714.

(3) البحر المحيط 8/ 96-97.

بلاغياً

الالتفات من ضمير الغائب إلى الخطاب " ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ ﴾ بعد قوله – تعالى–: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾.

وفائدته: " تشريف المؤمنين في مقام الامتنان". (1)

نحوياً

في قراءة الجمهور عدل الكتاب العزيز من الغيبة الّتي تفيد التّحقّق، في قوله – تعالى–: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾. إلى الخطاب الّذي يفيد المواجهة في قوله – تعالى–: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾.

وفائدته: التحنن والعطف.

في قراءة " ﴿ تَأْخُذُونَهَا ﴾ بالتّاء على الخطاب، اتّساق ومطابقة، كما جاء بعد: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾

وفيها عدول من الغيبة ﴿ يُبَايِعُونَكَ ﴾ ﴿ قُلُوبِهِمْ ﴾ ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿ وَأَثَٰبَهُمْ ﴾ إلى الخطاب ﴿ تَأْخُذُونَهَا ﴾.

"قوله: ﴿ مَغَانِمَ كَثِيرَةً ﴾ أي: وآتاكم مَغَانِمَ، أَو: آتَاهُمْ مَغَانِم، أَو: أَثَابَهُم مَغَانِم: أَو أَثَابَكُم مَغَانِم؛ وإنّما قَدّرْتُ الخطاب والغيبة لأنّه يُقرأ ﴿ يَأْخُذُونَهَا ﴾ بالغيبة – وهي قراءة العامّة–، و﴿ تَأْخُذُونَهَا ﴾ بالخطاب. وهي قراءة الأعمش، وطلحة، ونافع في رواية سقلاب". (2)

(1) صفوة التّفاسير 16/ 43.

(2) الدّر المصون 9/ 714.

44. قال – تعالى–:

﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الطّور 52: 39].

بلاغياً

﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التّوبيخ والتّقريع لهم.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن الغيبة في الآيات السّابقة ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الطّور 52: 30–38] إلى الخطاب ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

وفائدته: مواجهتهم بالخطاب على سبيل التّوبيخ، وتوقيفهم على سوء معتقدهم.

45. قال – تعالى–:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطّلاق 65: 1].

بلاغياً

التفات من الغيبة في ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ إلى الخطاب في ﴿ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾

فائدته: مزيد الاهتمام بالزّجر عن التّعدي.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الغيبة ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ ﴾ إلى الخطاب ﴿ لَا تَدْرِى ﴾ والفائدة منه: مواجهة المتعدِّي بالخطاب لزجره عن التَّعدي.

والأصل: لاَ يَدْرِي.

وقد تورط بعضهم فحسب أنَّ الخطاب للنَّبيِّ – ﷺ – .

"والمعنى: ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه وأضرَّ بها، فأنت لا تدري أيها المتعدّي مغبَّة الأمر وما عسى أن يسفر عنه؛ لعلَّ الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي أقدمت عليه من التَّعدّي أمراً يقتضي خلاف ما فعلت فيبدِّل ببغضها محبَّة، وبالإعراض عنها إقبالاً عليها، وبالصُّدود رضا". [1]

46. قال – تعالى– :

﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [التَّحريم 66: 4]

بلاغيّاً

الالتفات: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ انتقال من غيبة الى خطاب. والمراد أُمَّا المؤمنين بنتا الشَّيخين عائشة وحفصة – رضي الله عنهما وعن أبويهما – .

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة.

﴿ إِن تَتُوبَآ ﴾ : شرط وفي جوابه وجهان:

(1) إعراب القرآن وبيانه 10 / 121.

- أحدهما: هو قوله: ﴿ فَقَدْ صَغَتْ ﴾ والمعنى: إن تتوبا فقد وجد منكم ما يوجب التَّوبة، وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالفة رسول الله – ﷺ – في حبِّ ما يحبُّه وكراهية ما يكرهه.
- والثَّاني: أنَّ الجواب محذوف تقديره: فذلك واجب عليكما، أو: فتاب الله عليكما. قاله أبو البقاء[1] وقال: ودلَّ على المحذوف ﴿ فَقَدْ صَغَتْ ﴾ ؛ لأنَّ إصغاء القلب إلى ذلك ذنب".[2]

وفائدته: زيادة في اللّوم والعتاب.

47. قال– تعالى–:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾[المزَّمّل 73: 15].

بلاغيّاً

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا ﴾ ، ولو جرى على الأصل لقال: إنَّا أرْسَلْنا إِلَيْهم.

والغرض من الالتفات التَّقريع والتَّوبيخ على عدم الايمان"[3].

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن الغيبة إلى الخطاب " ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا ﴾ ، ولو جاء متّسقاً متطابقاً لقال: إنَّا أرْسَلْنا إِلَيْهم.

وفائدته: التّوكيد على التّوبيخ وتشديد التَّقريع على عدم الايمان.

---

(1) التّبيان 2 / 1229، والدُّر 1 / 365.

(2) إملاء ما من به الرَّحمن 2 / 264.

(3) صفوة التَّفاسير 19/ 620.

48- قال – تعالى-:

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾

[القيامة 75: 31–34].

"قيل: نزلت في أبي جهل، و:﴿ أَوْلَىٰ لَكَ ﴾: ويل لك". (1)

بلاغيّاً

﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ فيه التفات من الغيبة إلى المخاطب تقبيحاً له وتشنيعاً"(2)

نحويّاً

عدل عن الغيبة الّتي تفيد التّحقّق في ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ ﴿ كَذَّبَ ﴾ ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ ﴿ ذَهَبَ ﴾ ﴿ يَتَمَطَّىٰ ﴾- إلى الخطاب الّذي يفيد المواجهة في ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ ،

وفائدته: مواجهته بالدّعاء عليه بأن يليه ما يكره.

وفي ﴿ أَوْلَىٰ ﴾ قولان:

الأوّل: قال أبو البقاء هنا: "وزن﴿ أَوْلَىٰ ﴾ فيه قولان:

- **أحدهما:** فَعْلى، والألف فيه للإلحاق لا للتّأنيث.
- **والثّاني:** هو أَفْعَلُ، وهو على القولين هنا علم – والعلميّة هنا للوعيد فصار كرجل اسمه أحمد – ولذلك لم يُنَوَّنْ، ويَدُلُّ عليه ما حكى أبو زيد في النّوادر: "هي أَوْلاةٌ" بالتّاء غير مصروف، فعلى هذا يكون﴿ أَوْلَىٰ ﴾ مبتدأً، و﴿ لَكَ ﴾ الخبرُ.

والثّاني: أن يكون اسماً للفعل مبنيّاً ومعناه" وَليكَ شَرٌّ بَعْدَ شَرٍّ، و ﴿ لَكَ ﴾ تبيينٌ"(3)

(1) الكشاف 4/ 664–665.

(2) صفوة التّفاسير 19/ 80) .

(3) الدّر المصون 10/ 583–584.

49. وقال – تعالى– :

﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان 76: 21 – 22].

بلاغياً

الالتفات من الغيبة الى الخطاب في قوله – تعالى– : ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً ﴾.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة. فانتقل من الغيبة ﴿ وَسَقَىٰهُمْ ﴾ إلى الخطابه ﴿ لَكُمْ ﴾ ولم يقل: وسقاهم... لهم. وفائدته: تعظيم شأن المخاطبين.

50. قال– تعالى–:

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النبأ 78: 21–30].

بلاغياً:

﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة في التوبيخ والإهانة.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن الغيبة الّتي تفيد التّحقّق في " لِّلطَّٰغِينَ – لَّٰبِثِينَ – لَّا يَذُوقُونَ – إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ إلى الخطاب الّذي يفيد المواجهة في ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾.

وفائدته: مواجهتهم بأنّ الغضب قد تبالغ،" وناهيك "بـ ﴿ فَلَن نَّزِيدَكُمْ ﴾ وبدلالته على أنّ ترك الزّيادة كالمُحال الّذي لا يدخل تحت الصّحة:[1]

51. **قال- تعالى-:**

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ [عبس 80-1-3]

بلاغياً:

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة في العتاب: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾.

ثم قال: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾.

فالتفت: تنبيهاً للرّسول- ﷺ - إلى العناية بشأن الأعمى.[2]

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن الغيبة الّتي تفيد التّحقّق في ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾. إلى الخطاب الّذي يفيد المواجهة - وهي هنا للتّنبيه- ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾.

"قال الصّاوي: إنّما أتى بضمائر الغيبة " ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ تلطُّفاً به- ﷺ - وإجلالاً له، لما في المشافهة بتاء الخطاب ما لا يخفى من الشّدّة والصّعوبة".[3]

52. **قال- تعالى-:**

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر 89: 15-25].

(1) الكشّاف 4/ 69.

(2) صفوة التّفاسير 20/ 21.

(3) صفوة التّفاسير 20/ 81.

- قرأ الحسن، ومجاهد، وأبو رجاء، وقتادة، والجحدريّ، وأبو عمرو: لا يُكْرِمُونَ، وَلا يَحَاضُّونَ، وَيَأْكُلُونَ، وَيُحِبُّونَ: بياء الغيبة فيها.
- وقرأ باقي السَّبعة بتاء الخطاب.[1]

بلاغيّاً

- في قراءة ياء الغيبة" لا يُكرِمُونَ- وَلايَحاضُّونَ- ويأْكُلُونَ- ويُحِبُّون" لا التفات.
- في قراءة تاء الخطاب: ﴿لَّا تُكۡرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ﴾ التفات من ضمير الغائب إلى الخطاب

فائدته: زيادة في التَّوبيخ والعتاب.

نحويّاً:

في قراءة الياء: " لا يُكرِمُونَ- وَلايَحاضُّونَ- ويأْكُلُونَ- ويُحِبُّون".

تطابق واتِّساق " حملاً على معنى الإنسان المُتَقَدِّم إذ المَرادُ بِهِ الجنسُ، والجنسُ في معنى الجمع.[2]

في قراءة التّاء: ﴿لَّا تُكۡرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ﴾

عدل الكتاب العزيز عن الغيبة الّتي تفيد التّحقّق في ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ و"الإنسان المرا به الجنس"[3] إلى الخطاب الّذي يفيد المواجهة في "لَّا تُكۡرِمُونَ " والثّلاثة بعده.

وفائدته شدّة التّقريع والعتاب.

---

(1) البحر 8/ 471، والدّر 10/ 789.

(2) الدّر 10/ 789.

(3) الدّر المصون 10/ 789.

53. **قال – تعالى–:**

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ ﴾ [التِّين 95: 4–7].

بلاغيّاً

الالتفات من الغيبة في قوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ ﴾ الى الخطاب في قوله: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾ .

نحويّاً

عدل عن المطابقة، فانتقل من الغيبة في: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ ﴾، الى مخاطبته في ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾ .

المعنى: خاطبه مواجهة سائلاً: "فما يجعلك كاذباً بسبب الدِّين وإنكاره بعد هذا الدَّليل، يعني: أنك تُكذِّب إذا كذَّبت بالجزاء؛ لأنَّ كل مكذِّب بالحقِّ فهو كاذب فأي شيء يضطرُّك إلى أن تكون كاذباً بسبب الجزاء.(1)

54. **وقال – تعالى–:**

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ ﴾ [التِّين 95: 4–7].

بلاغيّاً

الالتفات انتقل من الغيبة في ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ و ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ إلى الخطاب في قوله – تعالى–: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾ بمعنى: من يقدر على تكذيبك بالثَّواب والعقاب بعدما تبين له من خلقنا الإنسان على ما وصفنا: والخطاب للكفَّار زيادة في التَّوبيخ والعتاب.(2)

---

(1) الدُّر المصون 11 / 53.

(2) فيض من القويِّ المتين في تفسير سورتي الشَّرح والتِّين 48.

نحويًا

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فخرج من الغيبة في ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [الآية: 4] و﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ ﴾ [الآية: 5] وهذا محقق مؤكّد، لأنَّ الغيبة تفيد التَّحقُّق، إلى الخطاب الّذي يفيد الحضور والمواجهة بالتَّوبيخ في ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾.

"ما الاستفهامية في محل رفع بالابتداء، والخبر الفعل بعدها، والمخاطب الإنسان، وقيل: المخاطب رسول الله – ﷺ – . فعلى الأوّل (الإنسان) يكون المعنى: فما يجعلك كاذباً بسبب الدِّين وإنكاره بعد هذا الدَّليل، يعني: أنَّك تُكذِّبُ إذا كَذَّبْتَ بالجزاء – لأنَّ كل مكذِّب بالحقِّ فهو كاذب – فأي شيء يضطرُّك إلى أن تكون كاذباً بسبب الجزاء؟

وعلى الثَّاني (الرَّسول – ﷺ –) فماذا الَّذي يكذّبك فيما تخبر به من الجزاء والبعث، وهو الدِّين بعد هذه العبر الَّتي يوجب النَّظر فيها صحّة ما قلت؟ قاله الفرَّاء[1] والأخفش[2]". [3]

55. **قال – تعالى– :**

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝٨ ﴾ [العلق 96: 6–8].

بلاغيًا

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝٨ ﴾ واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان، تهديداً له وتحذيراً من عاقبة الطُّغيان". [4]

(1) معاني القرآن له 3 / 277.

(2) معاني القرآن له 2 / 540 ومذهبه أنَّ المخاطب الإنسان.

(3) الدر 11/ 53.

(4) الكشّاف 4 / 783.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة؛ فانتقل من الغيبة في ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ مع ما في الغيبة من التَّحقُّق، إلى الخطاب في ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾ مع ما فيه من مواجهة.

ولو أراد المطابقة والمساوقة لقال: كلّا إنَّ الإنسن ليطغى. أن رأى نفسه استغنى. إنَّ الى ربِّه الرُّجعى.

"يقال في أفعال القلوب: رأيتني وعلمتني، وذلك بعض خصائصها. ومعنى الرؤية: العلم، ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضَّميرين. و﴿ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ هو المفعول الثّاني". [1]

(1) الكشّاف 4 / 783.

الفصل الثّاني
من الغيبة إلى التّكلُّم

1. قال – تعالى:–

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾ [آل عمران 3: 10–11].

بلاغياً:

الالتفات من الغيبة ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ إلى التّكلُّم ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾.

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن الغيبة الّتي تفيد التّحقّق ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾، وهو اسم ظاهر؛ –والاسم الظاهر حكمه حكم الغيبة – إلى التّكلُّم في" بِـَٔايَٰتِنَا " وهو يفيد المواجهة.

2. قال – تعالى– :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [آل عمران 3: 44 – 48].

– قرأ نافع وعاصم ويعقوب وسهل: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾. بياء الغيبة.

- والباقون بنون المتكلّم المعظّم نفسه: "ونُعَلِّمُه"[1] بلفظ الجمع المتكلّم.

بلاغيّاً

في قراءة النُّون "ونُعَلِّمُهُ" يكون من باب الالتفات، لأنَّه خرج من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلِّم لما في ذلك من الفخامة.

نحويّاً

عدل عن المطابقة في قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائيّ ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ [الآية: 48] بالنُّون يردُّونه على قوله: ﴿ نُوحِيهِ ﴾ [الآية: 44] ويرى النَّحاس أنَّ الياء أَوْلَى لقوله: ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [الآية: 47] فالياء أقرب.[2]

وعلى كلتا القراءتين ففي محل هذه الجملة أوجه:

- أحدهما: أنَّها معطوفة على ﴿ يُبَشِّرُكِ ﴾ [الآية: 45]. أي: إنَّ الله يبشرِّك بكلمة (أي: بمولود) ويعلِّم ذلك المولود المعبَّر عنه بالكلمة.
- الثّاني: أنَّها معطوفة على ﴿ يَخْلُقُ ﴾ [الآية: 47]. أي: يخلق ما يشاء ويعلِّمه.

وهذان الوجهان متسقان على قراءة الياء، ولا عدول فيهما.

فأما على قراءة النُّون "ونعلّمه" فلا يظهر هذان الوجهان عليها إلا بتأويل العدول من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلِّم إيذاناً بالتَّعظيم للخالق الواحد.

والجملة من ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ "نُعَلِّمُهُ" في الوجهين المتقدمين مرفوعة المحل لرفع محل ما عطفت عليه. لأنَّ جملة ﴿ يُبَشِّرُكِ ﴾ في محل رفع خبر إنَّ، وجملة ﴿ يَخْلُقُ ﴾ في محل رفع خبر.

(1) البحر 2 / 463، والدُّر 3 / 182، والكشَّاف 1 / 391.

(2) إعراب القرآن 1 / 334.

- الثّالث: أن يعطف على ﴿ وَيُكَلِّمُ ﴾ [الآية: 46] فيكون منصوباً على الحال؛ أي: يُبَشِّرُكِ بكلمةٍ مكلِّماً ومعلِّماً الكتاب.(1)

- الرّابع: أن يكون معطوفاً على ﴿ وَجِيهًا ﴾ [الآية: 45] لأنّه في تأويل اسم منصوب على الحال من ﴿ بِكَلِمَةٍ ﴾ [الآية: 45].

والحال من الصّفات؛ أي: يبشّرك به موصوفاً بهذه الصّفات: ﴿ وَجِيهًا ﴾ [الآية: 45] وكذلك قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الآية: 45] ﴿ وَيُكَلِّمُ ﴾ [الآية: 46] ﴿ وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الآية: 46]. وصحَّ انتصاب الحال من النّكرة لكونها موصوفة.(2)

واستبعد أبو حيّان الأندلسيّ الوجهين الثّالث والرّابع؛ قال: "لطول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، ومثله لا يوجد في لسان العرب".(3)

- الخامس: أن يكون معطوفاً على الجملة المحكيّة بالقول، وهي ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ ﴾ [الآية: 47] قال أبو حيّان الأندلسيّ: وعلى كلتا القراءتين هي معطوفة على الجملة المقولة، وذلك أنّ الضّمير في قوله: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ ﴾ [الآية: 47] لله تعالى، والجملة بعده هي المقولة، وسواءٌ كان لفظ ﴿ ٱللَّهُ ﴾ مبتدأ خبره ما قبله أم مبتدأ وخبره ﴿ يَخْلُقُ ﴾. فيكون هذا من المقول لمريم على سبيل الاغتباط والتّبشير بهذا الولد الذي يوجده الله منها.(4)

(1) المحرَّر الوجيز 3 / 91.

(2) الكشّاف 1 / 391.

(3) البحر 2 / 643.

(4) الدُّر المصون 3 / 183.

- السّادس: أن يكون مستأنفاً لا محل له من الإعراب، قال الزّمخشريُّ بعد أن ذكر فيه أنّه يجوز أن يكون معطوفاً على ﴿ يُبَشِّرُكِ ﴾ [الآية: 45] أو ﴿ يَخْلُقُ ﴾ [الآية: 47] أو ﴿ وَجِيهًا ﴾ [الآية: 45]: "أو هو كلام مبتدأ" يعني: مستأنفاً. قال الشيخ[1]: "فإن عنى أنّه استئنافُ إخبار من الله أو عن الله على اختلاف القراءتين، فمن حيث ثبوت الواو لا بدَّ أن يكون معطوفاً على شيء قبله، فلا يكون ابتداء كلام، إلاّ أن يُدَّعَى زيادة الواو في ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ فحينئذ يصح أن يكون ابتداء كلام، وإن عنى أنّه ليس معطوفاً على ما ذكر فكان ينبغي أن يبيِّن ما عطف عليه، وأن يكون الّذي عطف عليه ابتداء كلام حتى يكون المعطوف كذلك"[2] قال السَّمين الحلبيّ: "وهذا الاعتراض غير لازم لأنّه لا يلزم من جعله كلاماً مستأنفاً أن يُدَّعَى زيادة الواو، ولا أنّه لا بدَّ من معطوف عليه، لأنَّ النَّحويِّين وأهل البيان نصُّوا على أنَّ الواو تكون للاستئناف، بدليل أنَّ الشُّعراء يأتون بها في أوائل أشعارهم من غير تقدم شيء يكون ما بعدها معطوفاً عليه، والأشعار مشحونة بذلك، ويسمونها واو الاستئناف".[3]

وقال أبو البقاء[4]: "ويقرأ بالنُّون حملاً على قوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [الآية: 44]، ويقرأ بالياء حملاً على ﴿ يُبَشِّرُكِ ﴾ [الآية: 45] وموضعُه حالٌ معطوفة على ﴿ وَجِيهًا ﴾ [الآية: 45]. قال الشَّيخ[5]: "وقال بعضهم: "ونُعَلِّمُه" بالنُّون حملاً على ﴿ نُوحِيهِ ﴾ إن عنى بالحمل العطف فلا شيء أبعد من هذا التقدير، وإن عنى بالحمل أنَّه من

(1) البحر 2 / 643.

(2) البحر 2 / 643.

(3) الدُّر المصون 3 / 184.

(4) التِّبيان 1 / 261.

(5) البحر 2 / 463.

باب الالتفات فهو صحيح" قال (السَّمين الحلبيّ): يتعيَّن أن يعني بقوله "حملاً" الالتفات ليس إلاّ، ولا يجوز أن يعني به العطف لقوله: "وموضعه حال معطوفة على وجيهاً" كيف يستقيم أن يريد عطفه على "يبشِّرك" أو ﴿ وَجِيهًا ﴾ مع حكمه عليه بأنَّه معطوف على ﴿وَجِيهًا ﴾ ؟ هذا لا يستقيم أبداً".[1]

في الوجهين الأوَّل والثَّاني، نرى أن ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ أو "نُعَلِّمُهُ" جملة معطوفة، والمعطوف بالواو شريك المعطوف عليه، فالواو "العاطفة، ومعناها مطلق الجمع، فتعطف الشَّيء على صاحبه، وعلى سابقه، وعلى لاحقه؛ فعلى هذا إذا قيل "قَامَ زَيْدٌ وعَمْرٌو" احتمل ثلاثة معانٍ، قال ابن مالك: وكونها للمعيَّة راجحٌ، وللتَّرتيب كثير، ولعكسه قليل، إهـ. ويجوز أن يكون بين متعاطفيها تقارب أو تراخٍ".[2] وهذا بيِّن وقد أوضحناه.

وفي الوجهين الثَّالث والرَّابع ما مرَّ من فائدة العطف، – المعطوف بالواو شريك المعطوف عليه– نرى هنا عطف حال على حال، والحال كما أسلفت من الصِّفات؛ وهو زيادة في الخبر.

وفي الوجه الخامس استئناف.

ففي قراءة ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ إخبار عن الله – سبحانه وتعالى–.

وفي قراءة "ونُعَلِّمُهُ" إخبارمن الله – سبحانه وتعالى–.

(1) الدُّر المصون 3 / 185 – 186.

(2) مغني اللبيب / 463.

3. **قال – تعالى– :**

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران 3: 81].

- قراءة نافع وأبو جعفر والأعرج "لما آتيْنَاكُم" بلفظ الجمع المتكلّم.
- قراءة الباقين ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾.[1]

بلاغياً

في قوله – تعالى– : ﴿ ءَاتَيْتُكُم ﴾ أو "آتيْنَاكُم" على كلا القراءتين التفات من الغيبة الى التكلُّم في قوله آتينا أو آتيت، لأنَّ قبلة ذكر الجلالة المعظّمة في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ ﴾ .

نحوياً.

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الغيبة ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ ﴾ إلى التكلُّم في ﴿ ءَاتَيْتُكُم ﴾ بالتّاء، وفي "آتيْنَاكُمْ" بـ "نَا" للعظمة لما في المواجهة من اهتمام.

4. **قال – تعالى– :**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [آل عمران 3: 149 – 151].

- قرأ أيوب السّختيانيّ "سَيُلْقِي" [الآية: 151] بالغيبة جرياً على الأصل.
- وقرأ الجمهور ﴿ سَنُلْقِى ﴾ بنون العظمة.[1]

---

(1) معجم القراءات القرآنية 2 / 48-49.

بلاغيّاً

التفات من الغيبة في قوله: ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ [الآية: 150] الى التّكلّم في قوله: ﴿ سَنُلْقِي ﴾ [الآية: 151]. للاهتمام بما يلقيه الله في قلوبهم.

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فلو جاء الكلام متّسقاً لجاء على قراءة أيوب السّختيانيّ، فعدل عن ضمير الغيبة في ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ [الآية: 150] الى ضمير المتكلّم المعظّم نفسه ﴿ سَنُلْقِي ﴾ [الآية: 151].

وجاء بالسّين للدّلالة على الاستقبال، وفائدة ذلك أنّ الله – سبحانه وتعالى– بعد أن حذّر من إطاعة الّذين كفروا، أعلم أنّه مولى الّذين آمنوا، وأنّه خير النّاصرين وبشّر الّذين آمنوا أنّه سيلقي في قلوب الّذين كفروا الرُّعب إلى يوم القيامة، وتكلّم بنون العظمة للتّنبيه إلى هول ما سيلقيه ربُّ العزّة، وهذا مشاهد في أيامنا هذه.

5. **قال – تعالى–:**

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران 3: 195].

روي أنّ أُمّ سلمة – رضي الله عنها– قالت: يا رسول الله، قد ذكر الله تعالى الرّجال في

(1) البحر 3 / 77، والقرطبيّ 2 / 1474، والدُّر المصون3 / 434، والمحرَّر الوجيز3/ 259 والكشّاف 1/ 452، ومختصر في شواذّ القرآن 29.

الهجرة، ولم يذكر النِّساء في شيء من ذلك؛ فنزلت الآية.(1)

بلاغيّاً

الالتفات من الغيبة في قوله – تعالى– : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ إلى التَّكلُّم في قوله –تعالى– : ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ﴾ لإظهار كمال الاعتناء بصدد الاستجابة وتشريف الدَّاعين وتسوية الرِّجال والنِّساء، وشركة النِّساء مع الرِّجال في العمل والجزاء عليه بعد أن كانت المرأة مغموطة الحقِّ في الجاهليَّة.(2)

ويظهر أن الأستاذ محيي الدِّين الدَّرويش لم يطلع على سبب نزول الآية، أو أنَّه بنى شرحه على الآيات السَّابقة.

نحويّاً

الانتقال من ضمير الغيبة في ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ إلى التَّكلُّم ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ﴾ دليل على التَّعظيم والتَّفخيم، ووعد من الله – تعالى– للَّذين عملوا هذه الأعمال بحسن الثَّواب.

6. **قال – تعالى– :**

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء 4: 114].

- قرأ أبو عمرو وحمزة: "فَسَوْفَ يُؤْتِيهِ" بالياء.
- والباقون،﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ بالنُّون. بلفظ الجمع المتكلِّم.

(1) الكشّاف 1 / 485، والمحرَّر الوجيز 3 / 323.

(2) إعراب القرآن وبيانه 2 / 142.

بلاغياً

الالتفات في قراءة ﴿ نُؤۡتِيهِ ﴾ بالنُّون، التفات من الغيبة في ﴿ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ إلى التَّكلُّم في "نؤتيه".

نحوياً

1- من قرأ "فَسَوْفَ يُؤْتيهِ" ليتَّسق مع الاسم الغائب في قوله ﴿ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴾.

2- أ- ومن قرأ: "فسوف نؤتيه" انتقل من الغيبة إلى ضمير المتكلِّم العظيم وهو أبلغ من إسناده إلى ضمير الغائب.

ب- ومن قرأ: ﴿ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ ﴾ فرأه متَّسقاً مع قوله – تعالى- : ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ ﴾ بعد في قوله – تعالى- : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النِّساء 4: 115].

7. **قال – تعالى- :**

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ ﴾ [النِّساء 4: 152].

- قرأ حفص عن عاصم بالياء ﴿ يُؤۡتِيهِمۡ ﴾.
- وقرأ الجمهور "نُؤْتِيهِم" بنون العظمة.[1] بلفظ الجمع المتكلِّم.

بلاغياً

الالتفات في قراءة الجمهور بنون العظمة "نُؤْتِيهِم".

(1) البحر المحيط 3 / 386، الدُّر المصون 4 / 139.

نحوياً

1- في قراءة حفص عن عاصم طابق بين الضَّميرين في ﴿ يُؤْتِيهِمْ ﴾ و ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ ﴾ فأعاد الضَّمير في ﴿ يُؤْتِيهِمْ ﴾ على اسم الله – تعالى– في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ ﴾.

2- في قراءة الجمهور "نُؤْتِيهِم" عدل عن المطابقة فانتقل من الغيبة إلى الخطاب بنون العظمة، لإشعارهم أنَّ إيتاءها كائن لا محالة، وإن تأخر، فالفائدة منه توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخراً.

وفي قراءة الجمهور "نُؤْتِيهم" تطابق مع قوله – تعالى– : ﴿ وَأَعْتَدْنَا ﴾ في الآية الكريمة: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النِّساء4: 151].

8. **قال – تعالى–:**

﴿ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ [النِّساء 4: 162].

- قرأ حمزة "سَيُؤْتِيهِم" بالياء.
- وقرأ باقي السَّبعة ﴿ سَنُؤْتِيهِمْ ﴾ بنون العظمة.[1] بلفظ الجمع المتكلِّم.

بلاغياً

في قراءة ﴿ سَنُؤْتِيهِمْ ﴾ التفات من الغيبة الى التَّكلُّم.

نحوياً

- في قراءة حمزة "سَيُؤْتِيهِم" بالياء عود الضَّمير على قوله – تعالى– : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ وفيه تطابق.

(1) البحر المحيط 3 / 397، والدُّر المصون 4 / 156.

- في قراءة باقي السّبعة ﴿ سَنُؤْتِيهِمْ ﴾ عدول عن المطابقة في عود ضمير التّكلّم بنون العظمة إلى ضمير الغيبة.
- وفائدته موافاتهم بالأجر العظيم، وتوكيد الوعد وتثبيته.

وفي قراءة ﴿ سَنُؤْتِيهِمْ ﴾ مطابقة لقوله – تعالى– : ﴿ وَأَعْتَدْنَا ﴾ في الآية الكريمة:
﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النّساء 4: 161].

9. قال– تعالى–:

﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾ [المائدة 5: 12].

بلاغيًّا

الالتفات من الغيبة " ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ ﴾ إلى التّكلّم في ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ﴾ .

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن الغيبة الّتي تفيد التّحقّق في: ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ ﴾ وهو اسم ظاهر – والاسم الظّاهر حكمه حكم الغيبة، وفيه من العظمة والفخامة ما فيه – إلى التّكلّم وما فيه من مواجهة.

وفائدته:

اعتناء الله – تعالى– بشأن سيّدنا موسى– عليه السّلام–.

10- قال - تعالى-:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام 6: 33- 34].

بلاغياً

الالتفات من ضمير الغيبة في قوله - تعالى-: ﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الآية:33] إلى ضمير المتكلِّم في قوله - تعالى-: ﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ﴾.

وفائدته تطرية الكلام وتنويعه.

نحوياً

لو جاء الكلام متطابقاً لكان حَتّى أَتاهُم نَصْرُهُ، ولكنَّ الكتاب العزيز عدل عن المطابقة فأضاف النَّصر إلى ضمير العظمة المتنزِّل فيه الواحد منزلة الجمع، ليحثهم على المثابرة وتأدية ما كلِّفوا به لتحقيق الغاية المرجوَّة والمطلوبة.

11. قال - تعالى-:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام 6: 99].

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في قوله - تعالى-: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ﴾ الى التَّكلُّم في قوله - تعالى-: ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾ إظهاراً لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله.

نحوياً

عدل عن المطابقة، ولو جاء الكلام متطابقاً لقيل: وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرج، ولكنه في عدوله عن المطابقة بالانتقال من ضمير الغيبة في﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ﴾ إلى ضمير التَّكلُّم وبنون العظمة بلفظ الجمع المتكلِّم﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾، لإشعارهم بعظمة الله– سبحانه– وقدرته البالغة في إنزال الماء وإخراج نبات كل شيء والاعتناء بشأن المُخرِج والإشارة إلى أن نِعَمَه عظيمة.(1)

"واختيار ضمير العظمة دون ضمير المتكلِّم وحده لإظهار كمال العناية، أي: فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته".(2)

12. قال – تعالى–:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف 7: 57].

بلاغياً

الالتفات الخروج من ضمير الغائب في﴿ وَهُوَ ﴾ إلى ضمير التَّكلُّم في﴿ سُقْنَٰهُ ﴾ .

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فلو جرى الكلام متطابقاً لقال: يسوقه – فينزل به– فيخرج – يخرج. وذلك أنَّ "نون" التَّكلُّم تفيد الاختصاص وتدل عليه القدرة على إرسال الرِّياح مبشِّرة بالغيث بعد أن جفَّت مشاربه وعفت مزارعه.

(1) صفوة التفاسير 3/ 90.

(2) روح المعاني 8 / 238.

13. قال – تعالى–:

﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأعراف 7: 186].

- قرأ الحرميّان (نافع وابن كثير)، وابن عامر، وأبو جعفر، وأبو عبد الرَّحمن، والحسن، وقتادة، والأعرج، وابن محيصن، وشيبة، وعاصم في رواية أبي بكر؛ بالنُّون ورفع الرَّاء (وَنَذَرُهُم).
- وقرأ الباقون بالياء، ورفع الرَّاء ﴿ وَيَذَرُهُمْ ﴾. إلاّ:

– حمزة، والكسائي، وأبو عمرو؛ فيما ذكر أبو حاتم، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وخلف؛ بالياء والجزم (وَيَذَرْهُم).

- وقرأ نافع، وخارجة؛ بالنُّون والجزم (وَنَذَرْهُم).(1)

بلاغيّاً

- في قراءة "وَنَذَرْهُم" التفات؛ حيث خرج من الغيبة في ﴿ مَن يُضْلِلِ ﴾ إلى التَّكلُّم في "وَنَذَرُهُم" على الإخبار من الله – جلَّ ذكره– عن نفسه.

نحويّاً

- في قراءة ﴿ وَيَذَرُهُمْ ﴾ مطابقة مع ما قبلها من لفظ الغيبة في ﴿ مَن يُضْلِلِ ﴾ "فذلك حسن للمشاكلة، واتِّصال بعض الكلام ببعض".(2)

وقراءة ﴿ وَيَذَرُهُمْ ﴾ بالرَّفع؛ على القطع والاستئناف؛ على معنى "وَاللهُ يَذَرُهُم".

---

(1) إتحاف 233، وإعراب القرآن للنَّحاس 1 / 654، والبحر 4 / 433، والتَّيسير 115، والحجَّة 167، وحجّة 303، والكشَّاف 2 / 172، والنَّشر 2 / 273، والكشف 1 / 485، والمحرَّر 7 / 218 – 219، والقطع والائتناف 345 – 346.

(2) الكشف 1 / 485.

- في قراءة "وَنَذَرُهُم" عدول عن المطابقة؛ حيث خرج من ضمير الغيبة في ﴿ مَن يُضْلِلِ ﴾ الَّذي يفيد التَّحقُّق، إلى ضمير المتكلِّم المعظِّم نفسه في "وَنَذَرُهُم" الَّذي يفيد الحضور والمخاطبة والمواجهة.

وقراءة "وَنَذَرُهُم" بالرَّفع، أيضاً؛ على القطع والاستئناف على معنى: "ولَكِنْ نَذَرُهُم" أو: "نَحْنُ نَذَرُهُم".

- في قراءة الجزم "وَيَذَرْهُم" عطف على موضع الفاء وما بعدها؛ الَّتي هي جواب الشَّرط، في قوله –تعالى–: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾ ؛ لأنَّ موضع الفاء وما بعدها جزم؛ إذ هي جواب الشَّرط، فجعل الكلام "متَّصلاً بعضه ببعض، غير منقطع مما قبله".[1]

14. قال –تعالى–:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾ [يونس 10: 5].

- قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بالياء ﴿ يُفَصِّلُ ﴾.
- وقرأ باقي السَّبعة بالنُّون "نُفَصِّلُ"[2] الدَّالة على جمع المتكلِّم.

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في قوله: ﴿ هُوَ ﴾ الى التَّكلُّم في قوله –على قراءة باقي السَّبعة– نُفَصِّلُ.

(1) الكشف 1 / 485، والقطع والائتناف 345.

(2) البحر المحيط 5 / 126. والدُّر المصون 6 / 154، الكشَّاف 2 / 314.

نحويّاً

1- في قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحفص ﴿ يُفَصِّلُ ﴾ بالياء مطابقة في ضمائر الغيبة جرياً على لفظة ﴿ ٱللَّهُ ﴾.

2- في قراءة باقي السَّبعة "نُفَصِّلُ" بالنُّون عدول عن المطابقة حيث خرج من ضمير الغيبة في ﴿ هُوَ ﴾ إلى ضمير العظمة النُّون، مشعراً بها (العظمة) وخبراً، وخصَّ من يعلم بتفصيل الآيات لهم لأنَّهم الَّذين ينتفعون بتفصيل الآيات ويتدبَّرون بها في الاستدلال والنَّظر الصَّحيح.

15. **قال – تعالى–:**

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النَّحل 16: 1 – 2].

- قرأ عاصم وشعبة والجُعفيّ وابن أبي عبلة "نُنَزِّلُ الملائكة" بنونين وتشديد الزَّاي.
- وقرأ الباقون ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ﴾ بالياء.[1]
- وقرأ قتادة: "نُنْزِلُ" بالنُّون والتَّخفيف، والنُّون دالة على جمع المتكلِّم، والعظمة.

بلاغيّاً

- الالتفات من ضمير الغيبة في ﴿ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ إلى ضمير التَّكلُّم في قراءة "نُنَزِّلُ" وقراءة "نُنْزِلُ".
- ﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾ فهو خطاب للمستعجلين بطريق الالتفات"[2]

(1) البحر المحيط 5 / 473، القرطبيّ 5 / 3683، والدُّر المصون 7 / 188، ومعجم القراءات القرآنيّة 3/ 268، والمحرَّر الوجيز 10 / 159

(2) صفوة التَّفاسير 7/ 23.

نحويّاً

- في قراءة ﴿ يُنَزِّلُ ﴾ تطابق في الضَّمائر حيث جاء ما قبلها وما بعدها ضمائر غيبة.
- وفي قراءة عاصم وشعبة والجُعفيّ وابن أبي عبلة "نُنَزِّلُ" وقراءة قتادة "نُنْزِلُ" عدول عن المطابقة، حيث عدل في الانتقال من ضمير الغيبة في ﴿ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ إلى ضمير التَّكلُّم المعظِّم نفسه "نُنَزِّلُ – نُنْزِلُ" بالنُّون. وقال ابن عطيَّة: "وفيهما شذوذ كثير".[1] وقال أبو حيَّان: "وشذوذهما أنَّ ما قبله وما بعده ضمير غيبة ووجهه أنَّه التفات".[2]
- وفي ﴿ فَاتَّقُونِ ۝ ﴾ عدول من الغيبة – فالضمائر قبله وبعده ضمائر غيبة.
- وفائدته: الأمر بإعلام النَّاس قولي ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاتَّقُونِ ۝ ﴾ .

16. قال – تعالى–:

﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [النَّحل 16: 51].

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في قوله –تعالى–: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ إلى التَّكلُّم في قوله –تعالى–: ﴿ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ وفائدته أنَّه أبلغ في الرَّهبة.

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فلو طابق بين الضَّميرين: ضمير الغيبة وضمير التَّكلُّم؛ لقال: فإياه فارهبون؛ وفي هذا الخبر المتطابق يكون مجرَّد خبر، ولكن عندما جاء بضمير التَّكلُّم – الَّذي يفيد الحضور والمواجهة– ﴿ فَإِيَّٰيَ ﴾ وجعله مفعولاً به لفعل محذوف يفسره ﴿ فَٱرْهَبُونِ ﴾ ، وخاطبهم مواجهة فكان الكلام أوقع في النُّفوس وأبلغ في الرَّهبة.

(1) المحرَّر الوجيز 10 / 159.

(2) البحر المحيط 5 / 473. والدُّر المصون 7 / 188.

وانتصب "إيَّاي" بفعل محذوب مقدر التَّأخير عنه يدل عليه ﴿ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ وتقديره وإيَّاي ارْهَبوا.

وقول ابن عطيَّة: ﴿ فَإِيَّٰىَ ﴾ منصوب بفعل محذوف مضمر تقديره: فارهبوا إيَّاي فارهبون"[1] "ذهول عن القاعدة في النَّحو أنَّه إذا كان المفعول ضميراً منفصلاً والفعل متعدِّياً إلى واحد هو الضَّمير وجب تأخير الفعل؛ كقولك: "إيَّاكَ نَعْبُدُ"[2] ولا يجوز أن يتقدم إلاّ في ضرورة نحو قوله:

إلَيْكَ حِينَ بَلَغْتُ إيَّاكَا.[3]

ثم التفت من التَّكلُّم إلى ضمير الغيبة[4]، فأخبر – تعالى– أنَّ له ما في السَّماوات والأرض؛ لأنَّه لما كان هو الإله الواحد الواجب لذاته كان ما سواه موجوداً بإيجاده وخلقه وأخبر أنَّ له الدِّين واصباً.

الآية:﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢ ﴾ [النَّحل 16: 52].

17. قال – تعالى– :

﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٦ ﴾ [النَّحل 16: 96].

- قرأ ابن عامر، ونافع، وحمزة، والكسائيّ، وأبو عمرو، وابن ذكوان، وهشام، وخلف، ويعقوب: "وَلَيَجْزِيَنَّ"
- وقرأ الباقون:﴿ وَلَنَجۡزِيَنَّ ﴾.[5]

---

(1) المحرَّر الوجيز 10 / 195.

(2) الفاتحة 1 / 5.

(3) البحر المحيط 5 / 501، والنَّهر المادُّ 5 / 500.

(4) سيأتي مزيد تفصيل في الالتفات من التَّكلُّم إلى الغيبة. رقم (13)

(5) معجم القراءات القرآنيَّة 3 / 295.

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ ﴾ إلى التكلُّم في ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ﴾.

نحوياً

- في قراءة ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ﴾ عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، إذ انتقل من الغيبة في ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ ﴾ الَّتي تفيد التَّحقُّق؛ إلى التَّكلُّم بنون العظمة ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ﴾ الَّتي تفيد الحضور والإخبار والقدرة.

"وفائدة الالتفات – العدول– تكرير الوعد المستفاد من قوله – سبحانه– :
﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [النَّحل 16: 95] على نهج التَّوكيد القسميّ، مبالغة في الحمد على الثَّبات على العهد".[1]

- في قراءة "وَلَيَجْزِيَنَّ" جاء الكلام متَّسقاً متطابقاً بين غيبة في ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ ﴾، وغيبة في "وَلَيَجْزِيَنَّ".

18. قال – تعالى–:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾، [النَّحل 16: 120–122].

بلاغياً

"الالتفات ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ ﴾.

التفت من الغيبة إلى التَّكلُّم، إشارة إلى زيادة الاعتناء بشأنه وتفخيم أمره".[2]

(1) روح المعاني 14 / 225.

(2) صفوة التَّفاسير 7/ 48.

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن الغيبة الّتي تفيد التّحقُّق في ﴿ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَٰهُ ﴾ إلى التّكلُّم الّذي يفيد الحضور في ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ تعظيماً لمنزلته، وإجلالاً لِـمَحَلِّه.

19. **قال – تعالى–:**

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ [الإسراء 17: 1].

- قرأ الحسن "لِيُرِيَه" بالياء من تحت؛ أي: الله – تعالى–.
- وقرأ العامّة﴿ لِنُرِيَهُۥ ﴾.[1] بنون العظمة.

بلاغيّاً

- في قراءة العامة ﴿ لِنُرِيَهُۥ ﴾ بنون العظمة التفاتان:

1- مِنَ الغيبة في قوله – تعالى–: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ إلى التّكلُّم في قوله: ﴿ بَٰرَكْنَا ﴾، و﴿ لِنُرِيَهُۥ ﴾ .

2- من التّكلُّم في قوله – تعالى–: ﴿ بَٰرَكْنَا ﴾ و﴿ لِنُرِيَهُۥ ﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ﴾ إن أعدنا الضّميرَ على الله – تعالى– وهو الصَّحيح.

- وفي قراءة الحسن "لِيُرِيَهُ" بالياء من تحت أربعة إلتفاتات:

1- التفت أوّلاً من الغيبة في قوله – تعالى–: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ إلى التّكلُّم في ﴿ بَٰرَكْنَا ﴾.

2- ثم التفت ثانياً من التّكلُّم في ﴿ بَٰرَكْنَا ﴾ إلى الغيبة في "ليريه" على هذه القراءة.

3- ثم التفت ثالثاً بالياء من هذه الغيبة إلى التّكلُّم في ﴿ ءَايَٰتِنَآ ﴾ .

(1) البحر المحيط6 / 6، واتحاف 281، والكشّاف2/ 606، ومعجم القراءات القرآنيّة 3/ 305، والدُّر المصون 7 / 307 – 308.

4- ثم التفت رابعاً من هذا التّكلُّم إلى الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ على الصَّحيح في الضَّمير أنَّه لله.

وقال أبو البقاء: "والهاء في إنَّه لله – تعالى– ، وقيل للنَّبيّ – ﷺ– ؛ أي: إنَّه السَّميع لكلامنا البصير لذاتنا"[1] ويعلق السَّمين الحلبيّ فيقول: "فلا يجيء ذلك، ويكون في قراءة العامَّة التفات واحد، وفي قراءة الحسن ثلاثة.[2]

"ولو ادَّعى مُدَّعٍ أنَّ فيها خمسة التفاتات لاحتاج في دفعه إلى دليل واضح، والخامس: الالتفات من ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ إلى التَّكلُّم في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى﴾[3] [الآية: 2] في قوله – تعالى– : ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ [الإسراء 17: 2].

والفائدة منه فضلاً عن تطرية نشاط الذِّهن، واستحضاره واسترعائه لعرض الحقائق المملوءة بالعظات والعبر.

نحوياً

يقول أبو البقاء: ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ بالنُّون؛ لأنَّ قبله إخباراً عن المتكلِّم، وبالياء؛ لأنَّ أوَّل السُّورة عن الغيبة، وكذلك خاتمة الآية، وقد بدأ في الآية بالغيبة، وختم بها، ثم رجع في وسطها إلى الإخبار عن النَّفس؛ فقال: ﴿بَٰرَكْنَا﴾ و ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾.[4]

قال – تعالى– أوّلاً: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ بضمير المفرد الغائب، ثم قال – سبحانه– : ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ بضمير الجمع المتكلِّم فعدل عن المطابقة.

(1) التّبيان 2 / 811.

(2) الدُّر المصون 7 / 307.

(3) الدُّر المصون 7 / 308.

(4) التّبيان 2 / 811.

ثم قال – سبحانه وتعالى– : ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ بضمير المفرد الغائب عادلاً عن المطابقة.

ولو جاء الكلام متطابقاً لكان "سبحان الَّذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الَّذي بارك حوله ليريه من آياته إنَّه هو السَّميع البصير" وهذا جميعه متطابق مع أسرى، فلمّا خولف بين المردود والمردود عليه في الانتقال من صيغة إلى صيغة كان ذلك لمقصد معنويّ هو أعلى وأبلغ.

يقول ابن الأثير: "وسأذكر ما سنح فيه فأقول: لما بدأ الكلام بـ ﴿سُبْحَٰنَ﴾ ردفه بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ ، إذ لا يجوز أن يقال: الَّذي أسرينا، فلمّا جاء بلفظ الواحد، والله– تعالى– أعظم العظماء، وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الَّذي هو بلفظ الجمع استدرك الأَّول بالثَّاني، فقال: ﴿بَٰرَكْنَا﴾ ثم قال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ فجاء بذلك على نسق ﴿بَٰرَكْنَا﴾ ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ عطفاً على ﴿أَسْرَىٰ﴾ ، وذلك موضع متوسط الصِّفة؛ لأنَّ السَّمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره، وتلك حال متوسطة فخرج بها عن خطاب العظيم في نفسه إلى خطاب غائب".(1)

بدأ – ربُّ العزَّة – الآية بـ ﴿سُبْحَٰنَ﴾ مصدر، والمصدر لا يثنى ولا يجمع، ولا زمن له، فطابقه قوله –تعالى– : ﴿أَسْرَىٰ﴾ فعل ماض مسند إلى ضمير غيبة مفرد مستتر، ثم عدل عنه بإسناد الفعل ﴿بَٰرَكْنَا﴾ إلى ضمير الجمع المتكلِّم المعظِّم نفسه، وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه، لأنَّه – عزَّ وجلَّ– هو وحده الَّذي يمنح البركة للزَّمان والمكان وأنَّ الإنسان يشرف بالزَّمان والمكان، فمثلاً يشرف الإنسان بمكَّة المكرَّمة – مكان– على غيره من الأمكنة، ويشرف في شهر رمضان – زمان– على غيره من الأزمنة، ثم طابق معه ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ بنون المضارعة الدَّالة على الجمع، و"في آياتنا" الدَّالة على الجمع والتَّعظيم، ثمَّ

(1) المثل السَّائر 2 / 5 – 6.

خرج من المطابقة إلى الغيبة في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ مؤكَّداً بـ "إنَّ" ليحقِّق الخبر ويؤكده.[1]

20. قال – تعالى:–

﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[الإسراء 17: 97].

بلاغيًا

الالتفات من الغيبة إلى التَّكلُّم،﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

اهتماماً بأمر الحشر.[2]

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن الغيبة الَّتي تفيد التَّحقُّق في ﴿يَهْدِ اللَّهُ﴾ – ﴿يُضْلِلْ﴾ إلى التَّكلُّم الَّذي يفيد المواجهة والاعتناء بالأمر في ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

وفائدته:

العناية بأمر الحشر والاهتمام به.

21. قال – تعالى–:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [طه 20: 53].

بلاغيّاً

"لما ذكر سيِّدنا موسى –عليه السَّلام– دلالته على ربوبيَّة الله –تعالى–، وتمَّ كلامه عند قوله –تعالى–: "وَلا يَنْسَى" في الآية الكريمة:﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ

(1) انظر رقم (15) من التَّكلُّم إلى الغيبة.

(2) صفوة التَّفاسير/ 79.

﴿ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه 20: 52]، ذكر – تعالى– ما نبَّه به على قدرته ووحدانيته، فأخبر عن نفسه بأنَّه هو الَّذي صنع كيت وكيت، وإنَّما ذهبنا إلى أنَّ هذا هو من كلام الله – تعالى– لقوله – تعالى–: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ ﴾ [الآية: 53] وقوله – تعالى–: ﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ﴾ في الآية الكريمة ﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الآية: 54] وقوله – تعالى–: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ﴾ في الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ [الآية: 56] فيكون قوله – سبحانه وتعالى– : ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾ [الآية: 53] و ﴿ أَرَيْنَـٰهُ ﴾ [الآية: 56] التفاتاً من ضمير الغائب في ﴿ جَعَلَ ﴾ و ﴿ وَسَلَكَ ﴾ إلى ضمير المتكلِّم المعظِّم نفسه، ولا يكون الالتفات من قائلين". (1)

نحوياً

في ﴿ ٱلَّذِى ﴾ وجهان:

- **أحدهما:** أنَّه خبر مبتدأ مضمر، أو منصوب بإضمار "أمدح" وهو على هذين التَّقديرين من كلام الله – تعالى– لا من كلام سيدنا موسى – عليه السَّلام– وذلك لأنَّ قوله: "فأخرجنا به" [الآية: 53] وقوله – تعالى– : ﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ﴾ [الآية: 54] وقوله –تعالى–: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ ﴾ [الآية: 55] إلى قوله – تعالى–: ﴿ أَرَيْنَـٰهُ ﴾ [الآية: 56] لا يتأتَّى أن يكون من كلام سيدنا موسى – عليه السَّلام– فلذلك جعلناه من كلام – الباري تعالى– ويكون فيه عدول عن المطابقة بالانتقال من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلِّم المعظِّم نفسه، وفائدته أنَّه – جلَّ وعلا– أسند الضَّمير إلى ذاته، وأنَّه صانع كيت وكيت، وتأكيد اختصاص فعل الصُّنع بذاته – تعالى–.

(1) البحر المحيط 6 / 250– 251، والنَّهر المادّ 6 / 249، وإعراب القرآن وبيانه 6/ 202.

- والثاني: أنَّ ﴿ ٱلَّذِى ﴾ صفة لـ ﴿ رَبِّى ﴾ فيكون في محل رفع أو نصب على حسب إعراب ﴿ رَبِّى ﴾ ، و﴿ رَبِّى ﴾ فاعل يضلّ، على تقدير: في كتاب لا يَضِلُّهُ ربِّي.(1) أو: لا يَضِلُّ حِفْظَه ربِّي؛ فيكون في ﴿ يَضِلُّ ﴾ ضمير يعود على ﴿ كِتَٰبٍ ﴾ ، وربِّي منصوب على التَّعظيم.(2)

22. قال – تعالى–:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الفرقان25: 48]

بلاغيّاً

الالتفات من الغيبة ﴿ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ إلى التَّكلُّم ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾.

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن الغيبة الّتي تفيد التَّحقُّق، إلى التَّكلُّم بـ "نا" التَّعظيم والّتي تفيد الحضور والمواجهة في " ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ".

وفائدته: إظهار عظمة الله – سبحانه – وقدرته.

23. قال –تعالى–:

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النَّمل 27: 60].

بلاغيّاً

الالتفات في قوله – تعالى– : ﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ ؛ بعد قوله – تعالى– : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ فقد انتقل في

(1) معاني القرآن للفرّاء 2 / 181.

(2) الدُّر المصون 8 / 49 – 50 – 51.

الإخبار من الغيبة إلى التّكلُّم عن ذاته – سبحانه– في قوله: ﴿ فَأَنبَتْنَا ﴾ بنون العظمة لتأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته، والإنذار بأنَّ إنبات الحدائق المختلفة الألوان والطُّعوم مع سقيها بماء واحد لا يقدر عليه إلاّ هو وحده؛ ولذلك رشَّحه بقوله – تعالى– : ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾.[1]

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الإخبار بالغيبة إلى المتكلِّم بنون العظمة، ليدلِّل على اختصاصه بذلك، وأنَّه لم ينبت تلك الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطُّعوم والرَّوائح بماء واحد إلاّ هو – تعالى–، وقد رشَّح هذا الاختصاص بقوله: ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾ ، ولمّا كان خلق السّماوات والأرض وإنزال الماء من السَّماء لا شبهة للعاقل في أنَّ ذلك لا يكون إلاّ لله، وكان الإنبات ممّا قد يتسبب فيه الإنسان بالبذر والسَّقي والتَّهيئة، ويسوغ لفاعل السَّبب نسبة فعل المسبّب إليه بيَّن – تعالى– اختصاصه بذلك بطريق العدول، وتأكيد ذلك بقوله – تعالى– :

﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾ ألا ترى أنَّ المتسبِّب لذلك قد لا يأتي على وفق مراده، ولو أتى فهو جاهل بطبعه ومقداره وكيفيته، فكيف يكون فاعلاً لها.[2]

24. **قال – تعالى–:**

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [العنكبوت 29: 23]

(1) البحر 7/ 89، والنَّهر 7/ 87، إعراب القرآن وبيانه 7/ 240، والكشّاف 3/ 380، والدّر 8/ 630 – 631.

(2) البحر 7/ 89.

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في قوله –تعالى– : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ ﴾ إلى التَّكلُّم في قوله – تعالى– :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي ﴾ .

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة حيث خرج من الغيبة الَّتي تفيد التَّحقُّق في قوله –تعالى– : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ إلى التَّكلُّم الَّذي يفيد الحضور والإخبار في قوله –تعالى– :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي ﴾

ولو جاء على أصل المطابقة بلفظ الغيبة قبله لقال: "من رحمته".

25. **قال – تعالى:**

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [لقمان 31: 10]

بلاغياً

" الالتفات من الغيبة إلى التَّكلُّم ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ بعد قوله : ﴿ خَلَقَ ﴾ ﴿ وَأَلۡقَىٰ ﴾ ﴿ وَبَثَّ ﴾ وكلّها بضمير الغائب، ثمّ التفت فقال﴿ وَأَنزَلۡنَا ﴾ تعظيماً لشأن الرّحمن، وتوفيةً لمقام الامتنان". [1]

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن الغيبة الّتي تفيد التَّحقُّق في قوله – تعالى–: ﴿ خَلَقَ ﴾ ﴿ وَأَلۡقَىٰ ﴾ ، ﴿ وَبَثَّ ﴾ إلى التَّكلُّم في قوله– تعالى–: ﴿ وَأَنزَلۡنَا ﴾ : بـ "نا" العظمة، وكذلك﴿ فَأَنۢبَتۡنَا ﴾بـ "نا" العظمة، مواجهاً معظّماً نفسه – سبحانه وتعالى–.

(1) صفوة التّفاسير 12/ 25.

26. **قال – تعالى–:**

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ [فاطر35: 9].

بلاغياً

الالتفات من الغيبة (ضمير الغائب في ﴿ أَرْسَلَ ﴾) إلى التكلّم (ضمير المتكلّم في: ﴿ فَسُقْنَٰهُ ﴾ و﴿ فَأَحْيَيْنَا ﴾) للاشعار بالعظمة.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، ولو طابق في الكلام لقال: فساق وأحيا، ولكنَّه عدل عن المطابقة من لفظ الغيبة﴿ أَرْسَلَ ﴾ إلى التكلّم ﴿ فَسُقْنَٰهُ ﴾ و ﴿ فَأَحْيَيْنَا ﴾ لأنَّه أدخل في الاختصاص وأدّل عليه، وبخاصة ضمير المتكلّم المعظّم لنفسه.

وعبر بالماضيين ﴿ فَسُقْنَٰهُ ﴾ ﴿ فَأَحْيَيْنَا ﴾ بعد المضارع ﴿ فَتُثِيرُ ﴾ للدّلالة على التحقّق.

27. **قال – تعالى–:**

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [فاطر 35: 27].

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في﴿ أَنزَلَ ﴾ إلى التكلّم في ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾ .

بدل (فأخرَج) لما في ذلك من الفخامة ولبيان كمال العناية بالفعل، لما فيه من الصُّنع البديع المنبئ عن كمال قدرة الله وحكمته" (1)؛لأنَّ المنّة بالإخراج أبلغ من إنزال الماء.

(1) صفوة التّفاسير 13/ 36.

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فخرج من ضمير الغيبة ﴿ أَنزَلَ ﴾ الّذي يفيد التّحقُّق، إلى ضمير المتكلِّم في قوله ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾ فأسنده للمعظِّم نفسه، لما في ذلك من الفخامة، ولأنَّ نعمة الإخراج أتمُّ من نعمة الإنزال؛ لفائدة الإخراج؛ فأسند الأتمَّ إلى ذاته بضمير المتكلِّم، وما دونه بضمير الغائب.

28. قال – تعالى– :

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [فصّلت 41: 11 – 12].

بلاغيّاً

الالتفات من الغيبة في ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ ﴾ [الآية: 11] وقوله: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ ﴾ [الآية: 12] وقوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ ﴾ [الآية: 12] إلى الخطاب في قوله: ﴿ وَزَيَّنَّا ﴾ [الآية: 12]. فقد خاطبهم بإسناد التّزيين إلى ذاته – سبحانه– وبنون العظمة لإبراز مزيد الاهتمام بالتّزيين.

نحويّاً

أخبر – ربُّ العزّة– بضمائر الغيبة في– ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ ﴾[الآية: 11]و﴿ فَقَضَىٰهُنَّ ﴾ [الآية: 12] و﴿ وَأَوْحَىٰ ﴾[الآية: 12] على سبيل التّحقُّق بإسناد الأفعال الماضية إلى ضمائر الغيبة، ثم عدل عن المطابقة، فرجع إلى إسناد الفعل الماضي إلى ضمير المتكلِّم المعظِّم نفسه. والفائدة في ذلك أنَّ طائفة من النّاس غير المتشرِّعين يعتقدون أنَّ النُّجوم ليست في سماء الدُّنيا، وأنّها ليست حفظاً ولا رجوماً، فلمّا صار الكلام إلى ههنا عدل فيه عن خطاب الغائب المُتحقِّق إلى خطاب التّكلُّم لأنّه مهم من مهمات الاعتقاد، وفيه تكذيب للفرقة المكذِّبة المعتقدة بطلانه.

29. قال – تعالى– :

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الزُّخرف 43: 11].

بلاغيّاً

الالتفات من الغيبة في ﴿ نَزَّلَ ﴾ إلى التَّكلُّم في ﴿ فَأَنشَرْنَا ﴾. افتناناً في أفانين البلاغة ولتسجيل المنَّة على عباده وقرع أسماعهم بها.(1)

نحويّاً

عدل عن المطابقة فأسند الفعل الماضي ﴿ نَزَّلَ ﴾ إلى ضمير الغائب الَّذي أفاد التَّحقُّق، ثم عدل فأسند الفعل الماضي "أَنْشَرَ" إلى "نا" ليواجههم به، وأنَّه لا أحد يقدر على الإنشاء غيره – سبحانه وتعالى– .

30. قال تعالى–:

﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾[الفتح 48: 17].

- قرأ الجمهور: ﴿ يُدْخِلْهُ ﴾ – ﴿ يُعَذِّبْهُ ﴾. بالياء.
- وقرأ: الحسن، وقتادة، وأبو جعفر، والأعرج، وشيبة، وابن عامر ونافع: نُدْخِلْهُ بالنون، وكذلك، نُعَذِّبْهُ.(2)

(1) إعراب القرآن وبيانه 9/ 69.

(2) المحرَّر الوجيز 15/ 104، والكشَّاف 4/ 341.

بلاغياً

في قراءة: نُدْخِلْهُ–نُعَذِّبْهُ، التفات من الغيبة إلى التّكلُّم.

نحوياً:

- في قراءة الجمهور: ﴿ يُدْخِلْهُ ﴾ تطابق واتّساق مع ما قبله من غيبة في: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ ﴿ وَمَن يُطِعِ ﴾ و ﴿ يُدْخِلْهُ ﴾ وكذلك في "وَمَن يَتَوَلَّ" تطابق واتّساق مع ﴿ يُعَذِّبْهُ ﴾.
- في قراءة: الحسن، وقتادة، وأبو جعفر، إلخ. عدول عن الغيبة الّتي تفيد التّحقُّق في: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ ﴿ وَمَن يُطِعِ ﴾ " إلى التّكلُّم الّذي يفيد المواجهة والتّهديد والوعيد في "نُدْخِلْهُ".

وكذلك في "نُعذِّبْهُ" حيث عدل عن الغيبة في ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ إلى التّكلُّم في "نُعذِّبْهُ" وجاء الفعلان: " نُدْخِلْهُ" – نُعَذِّبْهُ" بنون العظمة. دلالة على التّعظيم والقدرة.

الفصل الثَّالث
من الخطاب إلى الغيبة

1. قال – تعالى – :

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة1 : 5]

وقرئ شاذاً : "إِيَّاكَ يُعْبَدُ " على بنائه للمفعول الغائب[1].

بلاغياً

ووجهها على إشكالها أنّ فيها استعارة والتفاتاً: أمَّا الاستعارة فإنَّه استعير فيها ضمير النَّصب لضمير الرَّفع إذ الأصل أنت تُعْبَدُ، وهو شائع كقولهم: عساك، وعساه، وعساني في أحد الأقوال.

وقول الآخر[2]:

يَا بْنَ الزُّبَيْرِ طَالَمَا عَصَيْكَا　　وَطَالَمَا عَنَّيْتَنَا إِلَيْكَا

لَنَضْرِبَنْ بِسَيْفِنَا قَفَيْكَا

فالكاف في " عَصَيْكَا " نائبة عن التَّاء، والأصل "عَصَيْتَ"، قال ابن جنِّيّ في "سرّ صناعة الإعراب؛ جـ1/ 281" "أبدل الكاف من التَّاء لأنَّها أختها في الهمس، وكان سُحَيْمٌ إذا أنشد شعراً قال: أَحْسَنَكَ والله، يريد أَحْسَنْتَ".

وقال أبو علي (في المسائل العسكريَّة): "قال أبو الحسن الأخفس: إن شئت قلت أبدل من التَّاء الكاف لاجتماعها معها في الهمس، وإن شئت قلت أوقع الكاف موقعها، وإن

(1) قراءة الحسن البصري وأبي مجلز وأبي المتوكِّل. إتحاف/ 122، والبحر المحيط 1/ 23، ومختصر في شواذّ القرآن/ 9، ومعجم القراءات 1/ 10.

(2) الخزانة 4/ 429.

كان في أكثر الاستعمال للمفعول لا للفاعل، لإقامة القافية، ألا تراهم يقولون: رأيتك أنت، ومررت به هو، فيجعل علامات الضَّمير المُخْتَصّ بها بعض الأنواع في أكثر الأمر، موقع الآخر. ومن ثم جاء: لولاك. وإنَّما ذلك لأنَّ الاسم لا يصاغ معرباً، وإنَّما يستحق الإعراب بالعامل".

قال ابن هشام (في المغني): "ليس هذا من استعارة ضمير النَّصب مكان ضمير الرَّفع كما زعم الأخفش وابن مالك، وإنَّما الكاف بدل من التَّاء بدلاً تصريفيًّا".

"وَعَنَيْتَنَا إِلَيْكَا" بمعنى: أتعبتنا بالمسير إليك(1).

وأمَّا الالتفات فكان من حق هذا القارئ أن يقرأ: "إِيَّاكَ تُعْبَدُ" بالخطاب، ولكنَّه التفت من الخطاب في ﴿إِيَّاكَ﴾ إلى الغيبة في "يُعبَدُ" إلا أنّ هذا التفات غريب لكونه في جملة واحدة، بخلاف الالتفات المتقدِّم، ونظير هذا الالتفات، قوله:

أَأَنْتَ الهِلاليُّ الَّذِي كُنْتَ مَرَّةً ... سَمِعْنَا بِهِ وَالأَرْحَبِيُّ المُغَلَّبُ

فقال: "بِهِ" بعد قوله: "أَنْتَ وكُنْتَ"(2).

نحوياً:

﴿إِيَّاكَ﴾: ضمير خطاب، مفعول به مقدَّم، قدِّم للأهمية، "يُعبَد": فعل مضارع، مبنيّ للمجهول، ونائب فاعله معلوم وهو "الله"، وانتقل في هذه الآية من ضمير الخطاب الَّذي يفيد المواجهة والحضور، إلى الغيبة الَّتي تفيد التَّحقُّق. أي: إنَّه لا يستحقُّ العبادة بحقٍّ إلاّ أنت. وحذف نائب الفاعل للدَّلالة على العظمة.

ولو جاء على المطابقة والاتساق لقال: إيّاكَ تُعبَدُ.

(1) الخزانة 4/ 429-430، وشرح الأشموني 1/ 267.

(2) الدُّر المصون 1/ 58-59.

2. **قال – تعالى–:**

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾ [الفاتحة 1: 7].

بلاغيّاً:

الالتفات من الخطاب في ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ فأصرح الخطاب لما ذكر النِّعمة، ثم قال: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ عطفاً على الأوَّل، لأنَّ الأوَّل موضع التَّقرب من الله بذكر نعمه، فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب، فأسند النِّعمة إليه لفظاً، وزوى عنه لفظ الغضب تحنناً ولطفاً، فانظر إلى هذا الموضع، وتناسب هذه المواضع الشَّريفة الَّتي الأَقْدَامُ لا تكاد تطؤها، والأفهام مع قربها صافحة عنها، وهذه السُّورة قد انتقل في أوَّلها من الغيبة إلى الخطاب[1] لتعظيم شأن المخاطب، ثم انتقل في آخرها من الخطاب إلى الغيبة، لتلك العلَّة بعينها، وهي تعظيم شأن المخاطب أيضاً؛ لأنَّ مخاطبة الرَّبّ – تبارك وتعالى – بإسناد النِّعمة إليه تعظيم لخطابه، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه، فانبغى أن يكون صاحب هذا الفن من الفصاحة والبلاغة عالماً بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهها[2].

نحويّاً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فأسند أوَّلاً ضمير المخاطب لـ ﴿ أَنۡعَمۡتَ ﴾، لما فيه من المواجهة والتَّعظيم إن كان الأمر خيراً، والنِّعمة خير، ثم فكَّ هذه المطابقة وأسند "الغضب" للغيبة لتحقُّقه، ووقوعه عليهم لا محالة لبعدهم عن الصِّراط المستقيم.

---

(1) راجع رقم (1) من الغيبة إلى الخطاب.

(2) المثل السَّائر 2/ 5.

3. **قال – تعالى–:**

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة 2: 74].

- قرأ الجمهور "تَعْمَلُونَ" بالتَّاء.
- وقرأ ابن كثير "يَعْمَلُونَ" بالياء.

بلاغيّاً:

الالتفات من الخطاب في قوله – تعالى–: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ إلى الغيبة في قوله – تعالى: "يَعْمَلُونَ "– على قراءة ابن كثير، وحكمة هذا الالتفات أنّه أعرض عن مخاطبتهم وأبرزهم في صورة من لا يقبل عليهم بالخطاب، وجعلهم كالغائبين عنه، لأنَّ مخاطبة الشَّخص ومواجهته بالكلام إقبال من المخاطب عليه، وتأنيس له فقطع عنهم مواجهته لهم بالخطاب لكثرة ما صدر عنهم من المخالفات.

نحويّاً:

– في قراءة الجمهور ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ مطابقة مع ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾.

– وفي قراءة ابن كثير "يَعْمَلُونَ" عدل عن الخطاب إلى الغيبة، ففي مخاطبتهم ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ خطاب فيه تقريع على شنيع صنائعهم، ثم بخطاب الغائب "يَعْمَلُونَ" لأنَّ في الغيبة تحقيقاً، وتأكيداً على عدم الغفلة.

4. **قال – تعالى–:**

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ

فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَـٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

[البقرة 2: 85 – 86].

– قوله تعالى – ﴿ يُرَدُّونَ ﴾ [الآية: 85].

- قرأ الجمهور ﴿ يُرَدُّونَ ﴾ بالياء، وهو مناسب لما قبله ﴿ مَن يَفْعَلُ ﴾.
- وقرأ الحسن وابن هرمز باختلاف عنهما "تُرَدّونَ" وهو مناسب لقوله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ ﴾.

– قوله: ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ [الآية: 85]. ﴿ أُولَـٰٓئِكَ ﴾ [الآية: 86].

- قرأه الحرميّان (نافع وابن كثير) وأبو بكر بالياء (يَعْمَلُونَ) ردّوه على قوله: ﴿ أُولَـٰٓئِكَ الَّذِينَ ﴾ [الآية: 86] وقوله ﴿ عَنْهُمُ ﴾ [الآية: 86] و ﴿ وَلَا هُمْ ﴾ [الآية: 86] فلما أتى كله بلفظ الغائب حمل صدر الكلام عليه.
- وقرأ الباقون بالتّاء ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ حملوه على ما تقدم من الخطاب في قوله: ﴿ يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ ﴾ و ﴿ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ وقوله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾" وقوله: ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ ﴾ [الآية: 85] فلما تكرّر الخطاب حُمل عليه[1].

بلاغياً:

الالتفات من ضمير الخطاب في قوله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ ﴾ إلى ضمير الغيبة في قوله: ﴿ يُرَدُّونَ ﴾

(1) الكشف عن وجوه القراءات 1/ 252-253. والتّبيان 1/ 87-88. والبحر 1/ 294. والقرطبيّ 1/ 416.

وفي قراءة الحسن وابن هرمز "تُردّون" التفات من الغيبة ﴿مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ﴾ إلى الخطاب "تُردّون"[1].

نحويّاً:

عدل عن المطابقة في قراءة ﴿يُرَدُّونَ﴾ حيث عدل عن عود الضّمير فانتقل من الخطاب﴿أَفَتُؤْمِنُونَ﴾ من مواجهتهم بمخاطبتهم مقرّعاً إياهم على أفعالهم، إلى الغيبة ﴿يُرَدُّونَ﴾ الّتي تفيد التّحقُّق، "وهذه الآية من أوعظ الآيات إذ المعنى أنّ الله بالمرصاد لكلّ كافر وعاصٍ"[2].

وقال ابن عطيّة: "وقوله – تعالى – :﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾ الآية، قرأ نافع وابن كثير "يَعْمَلُونَ" بياء على ذكر الغائب، فالخطاب بالآية لأمّة محمّد – ﷺ – والآية واعظة لهم بالمعنى؛ إذ الله – تعالى – بالمرصاد لكل كافر وعاص، وقرأ الباقون بتاء على الخطاب المحتمل أن يكون في سرد الآية وهو الأظهر، ويحتمل أن يكون لأمّة محمّد – ﷺ – فقد روي أنّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: إنّ بني إسرائيل قد مضوا وأنتم الّذين تعنون بهذا يا أمّة محمّد، يريد وبما يجري مجراه"[3].

5. **قال – تعالى – :**

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [البقرة 2: 139– 140].

(1) راجع رقم (4) من الغيبة إلى الخطاب.

(2) البحر 1/ 294.

(3) المحرّر 1/ 285.

- قرأ ابن عامر وحمزة والكسائيّ وحفص ﴿ أَمْ تَقُولُونَ ﴾ بالتَّاء.
- وقرأ الباقون "أَمْ يَقُولُونَ" بالياء.

بلاغيّاً:

"في قراءة الياء" أَمْ يَقُولُونَ" التفات إذ صار منه خروج من خطاب إلى غيبة، والضَّمير لناس مخصوصين"[1].

نحويّاً:

عدل الكتاب العزيز في قوله: "أَمْ يَقُولُونَ" عن المطابقة فخرج من إسناد الضَّمير المخاطب في ﴿ أَتُحَاجُّونَنَا ﴾ إلى إسناده إلى ضمير الغيبة في "يَقُولُونَ" وفي إسناده لضمير الغيبة تحقُّق.

6. **قال – تعالى – :**

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة 2: 144].

– في قوله – تعالى – : ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾.

- قرأ ابن عامر وحمزة والكسائيُّ وأبو جعفر وروح والأعمش بالتَّاء "تَعْمَلُونَ" على الخطاب.
- وقرأ الباقون بالياء من تحت ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ على الغيبة[2].

---

(1) البحر 1/ 430، والمحرّر الوجيز 2/ 11، والدُّر 2/ 163، ومعجم القراءات القرآنيّة 1/ 124.

(2) راجع رقم (6) من الغيبة إلى الخطاب.

بلاغيًا:

1- ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾

الالتفات إن عاد الضَّمير على النَّبيِّ - ﷺ- من خطابه بقوله: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ﴾ إلى الغيبة.

2- أ- ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾

الالتفات إن عاد الضَّمير على المؤمنين، فيكون التفاتاً من خطابهم بقوله: ﴿كُنتُمْ﴾ ﴿ وُجُوهَكُمْ ﴾.

ب- "تَعْمَلُونَ"

الالتفات إن أراد به أهل الكتاب﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ فيكون التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب[1]. تحريكاً لهم وتنشيطاً.

نحويًا:

1- ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾

في الضَّمير ثلاثة أقوال:

- أحدها: يعود على التَّولِّي المدلول عليه بقوله: ﴿ فَوَلُّوا۟ ﴾.
- والثَّاني: على الشَّطر المدلول عليه بقوله: ﴿ شَطْرَهُۥ ﴾ .
- والثَّالث: على النَّبيِّ - ﷺ- ويكون على هذا عدولاً من خطابه بقوله: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ﴾ إلى الغيبة. لأنَّ في خطابه إيناساً للرَّسول - ﷺ - وطمأنينة لقلبه، وفي العودة إلى ضمير الغيبة تحقُّق.

2- أ- "تَعْمَلُونَ" على الخطاب.

يحتمل أن يراد به المؤمنون لقوله: ﴿ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ وهو الظَّاهر.

---

(1) الدّر المصون 2/ 163.

ويحتمل أن يراد به أهل الكتاب، " والمعنى أَنَّ اليهود والنَّصارى يعلمون أنّ الكعبة هي قبلة سيِّدنا إبراهيم – عليه السَّلام – إمام الأمم، وأنَّ استقبالها هو الحقُّ الواجب على الجميع اتّباعاً لمحمَّد – ﷺ – الَّذي يجدونه في كتبهم"[1] فيكون من باب العدول فخرج من مطابقة "تَعْمَلُونَ" مع "للَّذين"، ووجهه أنَّ في خطابهم بأنَّ الله لا يغفل عن أعمالهم تحريكاً لهم بأَنَّ يعملوا بما علموا من الحقِّ؛ لأنَّ المواجهة بالشَّيء تقتضي شدَّة الإنكار وعِظَم الشَّيء الَّذي ينكر"[2].

2– ب– "يَعْمَلُونَ" على الغيبة.

من قرأ بالياء فالظَّاهر أنَّه عائد على أهل الكتاب لمجيء ذلك متطابقاً مع الغيبة في قوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾.

أو ردّاً على المؤمنين فيكون عدولاً عن خطابهم بقوله: ﴿ وُجُوهَكُمْ ﴾ – ﴿ كُنتُمْ ﴾ .

وعلى كلتا القراءتين فهو إعلام بأنَّ الله – تعالى – لا يهمل أعمال العباد ولا يغفل عنها، وهو متضمِّن الوعيد[3].

يقول السَّمين الحلبيّ:

"وقرئ" ﴿ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ بالغيبة ردّاً على " ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أو ردّاً على المؤمنين، ويكون التفاتاً من خطابهم بقوله: ﴿ وُجُوهَكُمْ ﴾ – ﴿ كُنتُمْ ﴾.

وبالخطاب" عَمَّا تَعْمَلُونَ" على ردّه للمؤمنين وهو الظَّاهر، أو للّذين على الالتفات تحريكاً لهم وتنشيطاً".[4]

(1) المحرَّر الوجيز 2/ 11.

(2) البحر المحيط 1/ 430.

(3) المحرَّر الوجيز 2/ 11، والبحر المحيط 1/ 430.

(4) الدّر المصون 2/ 163.

7. قال – تعالى– :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة 2: 170].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب في قوله – تعالى– :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ في الآية الكريمة:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [البقرة2: 168] إلى الغيبة في﴿ لَهُمُ ﴾. تسجيلاً للنّداء على ضلالهم؛ لأنّه ليس ثمّة أضلّ من المقلّد تقليداً أعمى، يتّبع غيره في المواطن الّتي توبقه وترديه، وينساق من غير تفكير ولا رويّة"(1).

نحويّاً:

عدل عن المطابقة فانتقل من مواجهتهم بالخطاب في قوله:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ وما يبعثه من راحة وطمأنينة، إلى الغيبة في﴿ لَهُمُ ﴾ وما تفيده من تحقّق متعجّباً من فعلهم، حيث دُعوا إلى شريعة الله والنُّور والهدى فأجابوا باتّباع شريعة آبائهم.

8. قال – تعالى– :

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [آل عمران 3: 13].

– قرأ نافع وحده من السّبعة، ويعقوب وسهل "تَرَوْنَهُم" بالخطاب.

– وقرأ الباقون من السّبعة﴿ يَرَوْنَهُم ﴾ بالغيبة.

– وقرأ ابن عباس وطلحة "تُرَوْنَهُم" مبنيّاً للمفعول على الخطاب.

---

(1) إعراب القرآن وبيانه 1/ 238.

– وقرأ السّلميّ وابن مصرف "يُرونَهم" مبنياً للمفعول على الغيبة(1).

بلاغياً:

1- في قراءة نافع "تَرَوْنَهُم" بالخطاب، التفات من الخطاب إلى الغيبة.

2- وفي قراءة الباقين ﴿ يَرَوْنَهُم ﴾ بالغيبة، التفات من الخطاب إلى الغيبة.

3- وفي قراءة البناء للمفعول على الخطاب "تُرَوْنَهُم"، وعلى الغيبة "يُرَوْنَهُم" ما في 1، 2 من الالتفات.

نحوياً:

في قراءة "تَرَوْنَهُم" عدول، فقد عدل عن المطابقة فانتقل من الخطاب "تَرَوْنَهُم" إلى الغيبة في ﴿ مِّثْلَيْهِمْ ﴾ ، وأنَّ حقّ الكلام في المطابقة "مِثْلَيْكُم" بالخطاب.

"والمعنى: ترون أيُّها المؤمنون الفئة الكافرة مثلي الفئة المقاتلة في سبيل الله، فكأنَّه قيل: ترونهم أيُّها المؤمنون مثليكم"(2).

وفي قراءة ﴿ يَرَوْنَهُم ﴾ عدول عن المطابقة حيث انتقل من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

"والذي تَقَوّى في هذه الآية من حيث المعنى أن يكون مدار الآية على تقليل المسلمين وتكثير الكافرين؛ لأنَّ مقصود الآية ومساقَها الدّلالةُ على قُدْرَةِ الله الباهرة، وتأييده بالنَّصر لعباده المؤمنين مع قلة عددهم وخذلان الكافرين مع كثرة عددهم وتحزبهم ليُعلَمَ أنّ النّصر كلّه من عند الله، وليس سببه كثرتكم وقلة عدوّكم، بل سببه ما فعله – تبارك وتعالى – من إلقاء الرُّعب في قلوب أعدائكم، ويؤيده قوله بعد ذلك: "﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ

(1) السّبعة 201، والكشف 1/ 346، والبحر 2/ 394، ومختصر في شواذّ القراءات 26، والمحرَّر الوجيز 3/ 29-30، والقرطبيّ 3/ 267-269.

(2) الدّر المصون 3/ 49.

كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التّوبة 9: 25] قال الشّيخ أبو شامة – بعد ذِكْره هذا المعنى وجَعَلَه قويّاً – : "فالهاء في ﴿ تَرَوْنَهُم ﴾ للكفار سواءٌ قرئ بالغيبة أم بالخطاب، والهاء في ﴿ مِّثْلَيْهِمْ ﴾ للمسلمين"[1].

وقال ابن عطيّة: "فمن قرأ ﴿ تَرَوْنَهُم ﴾ بالتاء من فوق فهي مخاطبة لجميع المؤمنين إذ قد رأى ذلك جمهور منهم، والهاء والميم في (تَرَوْنَهُم) تجمع المشركين، وفي ﴿ مِّثْلَيْهِمْ ﴾ تجمع المؤمنين، ومن قرأ بالياء من تحت فالمعنى يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفّار مثلي جمع المؤمنين، ومن رأى أنَّ الخطاب لجميع الكفّار ومن رأى أنّه لليهود فالآية عنده داخلة فيما أُمر محمّد – عليه السّلام – أن يقوله لهم احتجاجاً عليهم، وتبييناً لصورة الوعيد المتقدِّم في أنّهم سيغلبون، فمن قرأ بالياء من تحت، فالمعنى يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفّار مثلي جمع المؤمنين، ومن قرأ بالتّاء فالمعنى لو حضرتم أو إن كنتم حضرتم وساغت العبارة لوضوح الأمر في نفسه ووقوع اليقين به لكلِّ إنسان في ذلك العصر. ومن قرأ بضم التّاء أو الياء فكان المعنى: إنَّ اعتقاد التّضعيف في جمع الكفّار إنّما كان تخميناً وظنّاً لا يقيناً، فلذاك ترك في العبارة من الشّك؛ وذلك أنّ "أُرى" بضم الهمزة تقولها فيما بقي عندك فيه نظر و"أَرى" بفتح الهمزة تقولها فيما قد صحَّ نظرك فيه، ونحا هذا المنحى أبو الفتح وهو صحيح، قال أبو عليّ: والرُّؤية في هذه الآية رؤية عين، ولذلك تعدَّت إلى مفعول واحد، و﴿ مِّثْلَيْهِمْ ﴾ نصب على الحال من الهاء والميم في ﴿ تَرَوْنَهُم ﴾ وأجمع النّاس على الفاعل بترونهم المؤمنون والضّمير المتّصل هو للكفّار"[2].

---

(1) الدّر المصون 3/ 52.

(2) المحرَّر الوجيز 3/ 29-30، والقرطبيّ 2/ 1267-1268 .

من الخطاب إلى الغيبة

9. قال ـ تعالى ـ:

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾[آل عمران 3: 36].

قوله: ﴿ بِمَا وَضَعَتْ ﴾

* قرأ ابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر، وبعقوب، وشعبة، وعلى: "وَضَعْتُ" :بتاء المتكلّم المضمومة، وإسكان العين.

* وقرأ ابن عبّاس: " وَضَعْتِ" بكسر التّاء على أنّها تاء المخاطبة.

* وقرأ الباقون: وَضَعَتْ" بتاء التّأنيث السّكنة. (1)

بلاغيّاً

الالتفات من الخطاب في ﴿ رَبِّ ﴾ إلى الغيبة في ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾

نحويًّا

في قراءة "وَضَعْتُ" بتاء المتكلّم المضمومة، هو من كلام أمّ مريم – عليها السّلام- خاطَبَتْ بذلك نفسها تَسَلِّياً لها. واعتذاراً لله – تعالى- حيث أتت بمولود لا يَصْلُح لِمَا نَذَرَتْه مِنْ سِدانة بيت المقدس. قال الزَّمخشَريّ وقد ذكر هذه القراءة: "تعني ولعَلَّ لله – تعالى- فيه سِرّاً وحكمة، ولعلَّ هذه الأنثى خير من الذّكر تسلية لنفسها". (2)

(1) السّبعة 2004، والكشف 1/ 340، والكشّاف 1/ 384، وابن كثير 1/ 359، والبحر 2/ 239، والمحرّر 3/ 65، ومعجم القراءات القرآنيّة 2/ 23.

(2) الكشّاف 1/ 384، والمرّر الوجيز والكشّاف 1/ 384، والبحر 2/ 438.

وفي قراءة ابن عبّاس "وَضَعْتِ" بكسر التّاء على أنّها تاء المخاطبة، وخاطبها الله – تعالى – بذلك؛ بمعنى: أنّك لا تعلمين قدر هذه المولودة، ولا قدر ما عَلِمه الله فيها من عظائم الأمور.[1]

في قراءة ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ التفات من الخطاب في ﴿ رَبِّ ﴾ الّذي يفيد المواجهة؛ إلى الغيبة في ﴿ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ الّتي تفيد التّحقق والثّبوت في الحكم.

ولو جاء الكلام متّسقاً متطابقاً مع قولها ﴿ رَبِّ ﴾ لقالت :"وأَنْتَ أَعْلَمُ".[2]

وقال أبو حيّان الأندلسيّ :" ويكون ذلك وما بعده من كلام أم مريم؛ وكأنّها خاطبت نفسها بقولها: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ ﴾، ولم تأت على لفظ ﴿ رَبِّ ﴾ إذ أتت على لفظه لقالت/ وأنت أعلم بها وضعت، ولكن خاطبت نفسها على سبيل التّسليّة عن الذّكر، وأنّ علم الله وسابق قدرته وحكمته، يحمل ذلك على عدم التّحسر والتّحذر".[3]

وفي قراءة ﴿ وَضَعَتْ ﴾ بتاء التّأنيث السّاكنة على اسناد الفعل لضمير مريم – عليها السّلام–، وهو من كلام الباري – تبارك وتعالى–، وفيه تنبيه على عِظَم قَدْر هذا المولود، وأنّ له شأناً لم تعرفيه، ولم تعرفي إلاّ كونه أنثى لا غير، دون ما يؤول إليه من أمور عظام، وآيات واضحة، قال الزّمخشريّ: ولتكلُّمِها بذلك على وجه التّحسر والتّحزُّنِ قال الله – تعالى –: و ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ تعظيماً لموضوعها، وتجهيلاً لها بقدْر ما وَهَبَ لها منه، ومعناه: والله أعلم بالشيء الّذي وَضَعَتْ، وما علق به من عظائم الأمور، وأنْ يجعله وولدَه آية للعالمين، وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئاً فلذلك تحسَّرت".[4]

(1) الدّر المصون 3/ 135–136.

(2) الدّر المصون 3/ 135.

(3) البحر المحيط 2/ 439.

(4) الكشّاف 1/ 384.

10. **قال – تعالى–:**

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران 3: 83].

– قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم: ﴿ يَبْغُونَ ﴾ بالياء من تحت.

– وقرأ الباقون بتاء الخطاب: "تَبْغُونَ" بالتَّاء من فوق.

– وقرأ عباس ويعقوب وسهل "يَرْجِعُونَ" عَلى أصله في فتح الياء.

– وقرأ حفص عن عاصم: ﴿ يُرْجَعُونَ ﴾ بياء الغيبة.

– وقرأ الباقون: "تُرجَعُونَ" بتاء الخطاب[1].

بلاغيّاً:

من قرأ بتاء الخطاب "تَبْغُونَ" قدّر التفاتاً من الغيبة في ﴿ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ "هم الفاسقون" في الآية الكريمة: ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [آل عمران3: 82] إلى الخطاب "تَبْغُونَ".

وقرأ أبو عمرو: ﴿ يَبْغُونَ ﴾ بالياء مفتوحة، و"تُرْجَعُونَ" بالتَّاء مضمومة.

ففيها:

بلاغيّاً: التفات من الغيبة إلى الخطاب. ونحويّاً: عدول عن المطابقة[2].

إذا عاد الضَّمير في قراءة ﴿ يُرْجَعُونَ ﴾ بياء الغيبة على من عاد عليه الضَّمير في "تَبغون" في قراءة الخطاب؛ فيكون حينئذٍ التفاتاً، إذا يكون قد انتقل من خطاب "تَبغون" إلى غيبة ﴿ يُرْجَعُونَ ﴾.

(1) المحرَّر الوجيز 3/ 148، والقرطبيّ 2/ 1369، والدُّر 3/ 296–297، واتحاف 177.

(2) راجع من الغيبة إلى الخطاب رقم (11).

– وفي قراءة من قرأ "تُرْجَعُونَ" بالخطاب، وقرأ ﴿ يَبْغُونَ ﴾ بالغيبة، فيكون هذا التفاتاً منه. من غيبة في ﴿ يَبْغُونَ ﴾ إلى خطاب في "تُرْجَعُونَ" ويجوز أن يكون التفاتاً من قوله – تعالى – : ﴿ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

نحويّاً :

﴿ يَبْغُونَ ﴾

– قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم ﴿ يَبْغُونَ ﴾ بالياء من تحت، نسقاً – أي: عطف بعضه على بعض وترتيبه – على قوله: ﴿ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ في قوله – تعالى– : ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [آل عمران3: 82].

– والباقون بتاء الخطاب "تَبْغُون" عدولاً عن المطابقة، من الغيبة في ﴿ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران3: 82] إلى الخطاب "تَبْغُون".

- ﴿ يُرْجَعُونَ ﴾ بياء الغيبة، ويحتمل ذلك وجوهاً.

– أحدها: أن يعود الضَّمير على ﴿ أَسْلَمَ مَن ﴾. "أي: مَنْ أسلم" وهو واضح.

– الثاني: أن يعود على من عاد عليه ضمير ﴿ يَبْغُونَ ﴾ في قراءة مَن قرأ بالغيبة، وهو أيضاً واضح.

– الثالث: أن يعود على مَنْ عاد عليه الضَّمير في "تَبْغُون" في قراءة الخطاب فيكون عدولاً عن المطابقة بالانتقال من ضمير خطاب في "تَبْغُون" إلى ضمير غيبة في ﴿ يُرْجَعُونَ ﴾.

- " تُرْجَعُونَ " بالخطاب.

– فمن قرأ "تَبْغُونَ" بالخطاب فهو واضح.

– ومن قرأه بالغيبة ﴿ يَبْغُونَ ﴾ فقد عدل عن المطابقة إذ انتقل من غيبة ﴿ يَبْغُونَ ﴾ إلى خطاب في "تُرْجَعُون".

– ويجوز أن يكون قد عدل عن المطابقة، إذ انتقل من ضمير الغيبة في ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى الخطاب في "تُرْجَعُونَ"(1).

المعنى: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران 3 : 82] الميثاق والتَّوكيد ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران 3: 82] أي: المتمرِّدون من الكفَّار، دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة. والمعنى: فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون، ثم توسطت الهمزة بينهما. ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره: "أ" يتولون ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ وقدّم المفعول الذي هو ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ﴾ على فعله لأنَّه أهم من حيث أنّ الإنكار الَّذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل".

" – وقرئ ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء، و"تُرْجَعُونَ" بالتاء وهي قراءة أبي عمرو، لأنَّ الباغين هم المتولون، والرَّاجعون جميع الناس. وقرئا بالياء معاً، وبالتاء معاً(2).

11. **قال – تعالى –** :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران 3: 187].

– قرأ أبو بكر وأبو عمرو وابن كثير بياء فيهما" ليُبَيِّنُنَّه – يَكْتُمُونَه "حملوه على لفظ الغيبة قبله وبعده لينتظم الكلام على سَنَن واحد، ويأتلف على طريقةٍ واحدة في الغيبة. ويأتي النَّسج متطابقاً بضمائره.

– وقرأ الباقون بالتَّاء فيهما ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ – ﴿تَكْتُمُونَهُ﴾ حملوه على الخطاب(3).

(1) الدُّر المصون 3/ 296-297.

(2) الكشّاف 1/ 407.

(3) الكشف 1/ 371.

بلاغياً:

أ- انتقل من الغيبة إلى الخطاب[1].

ب- انتقل من الخطاب في - لُتبيِّننَّه - لا تكتمونَه - إلى الغيبة في ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ ﴿وَٱشْتَرَوْا﴾ - ﴿يَشْتَرُونَ﴾.

والفائدة من ذلك زيادة التَّسجيل المباشر عليهم.

نحوياً:

أ. في قراءة - لتبيِّننَّه - لا تكتُمُونَه - عدول عن المطابقة والخروج من ضمائر الغيبة إلى ضمير المخاطب، وبهذا قد انتقل من أمرٍ محقَّق وهو أخذ الميثاق، إلى مواجهتهم بالتَّاء - ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ - ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ ولا تكتمونه - لما في المواجهة من تأكيد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه.

ب. عاد بعد مواجهتهم في ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ - ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ - إلى الغيبة في ﴿يَشْتَرُونَ﴾ عادلاً عن المطابقة، ولأنَّ الغيبة أمرٌ محقَّق، فنبذهم الميثاق أمرٌ محقَّق، "يعني، لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه"[2].

12. **قال - تعالى -**:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [النِّساء 4: 43].

(1) راجع من الغيبة إلى الخطاب رقم (14).

(2) الكشّاف 1/ 478.

بلاغيّاً:

الالتفات: التفت من الخطاب في ﴿كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ﴾ إلى الغيبة في ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ﴾ لأنّه كناية عمّا يُستحيا من ذكره، فلم يخاطبهم به، وهذا من محاسن الكلام.

نحويّاً:

قال أبو البقاء: ﴿جَآءَ﴾ ، معطوف على ﴿كُنتُم﴾ ؛ أي: وإن جاء أحد"(1).

أسند الفعل كان في ﴿وَإِن كُنتُم﴾ إلى ضمير المخاطب؛ فقال: ﴿كُنتُم﴾ ثم ربطه بواو العطف، فلما عطف عليه ﴿جَآءَ﴾ أسنده إلى اسم ظاهر؛ فقال: ﴿جَآءَ أَحَدٌ﴾ والإسناد إلى الظّاهر أبلغ، فيكون عدولاً عن المطابقة بالانتقال من ضمير الخطاب، وهو يفيد المواجهة وتلقّي الأمر، إلى الغيبة (بالاسم النّكرة؛ والنّكرة تفيد العموم) الّتي تفيد التّحقّق وثبوت الحكم.

"وما أحسن ما جاءت هذه الغيبة لأنّه لمّا كنّى عن الحاجة بالغائط أسند ذلك للمخاطبين فنزع به إلى لفظ الغائب بقوله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ﴾ وهذا من أحسن الملاحظات وأجمل المخاطبات"(2).

(1) التّبيان 1/ 316.

(2) البحر 3/ 258-259.

13. قال – تعالى – :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النّساء 4: 64].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب ﴿ جَآءُوكَ ﴾ إلى الغيبة في ﴿ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ "لما في هذا الاسم الظّاهر من التّشريف والتّنويه بوصف الرّسالة"[1].

نحوياً:

عدل عن المطابقة فلم يقل: جاءوك فاستغفروا الله واستغفرت لهم، فجاء بضمير الخطاب (ك) في ﴿ جَآءُوكَ ﴾ إلى إسناد فعل الاستغفار إلى الاسم الظّاهر ﴿ ٱلرَّسُولُ ﴾ مُعرّفاً، لتخصيصه، "وتفخيماً لشأن الرّسول وتعظيماً لاستغفاره، وتنبيهاً على أنّ شفاعة من اسمه الرّسول من الله – تعالى– بمكان وعلى أنّ هذا الوصف الشّريف، وهو إرسال الله إياه موجب لطاعته وعلى أنّه مندرج في عموم قوله:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [النّساء 4: 64]، ومعنى وجدوا: علموا. أي: إخباره أنّه قَبِلَ توبتهم وَرَحِمَتَهُم[2].

14. قال – تعالى–:

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة5: 38–39].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

---

(1) الدّر المصون 4/ 18–19.

(2) البحر المحيط 3/ 283، وانظر رقم (11) من التّكلّم إلى الغيبة.

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانتقل من الخطاب الَّذي معناه المواجهة، مع ما فيه من تهديد، في قوله – تعالى–: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ إلى الغيبة الَّتي تعني التَّحقُّق، بما فيها من طمأنينة وراحة نفس؛ في قوله – تعالى–: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

15. قال – تعالى–:

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأنعام 6: 109].

– قرأ ابن عامر وحمزة: "لا تُؤْمِنُونَ" بتاء الخطاب.

– وقرأ الجمهور: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ بياء الغيبة.

بلاغياً:

في قراءة "لا يُؤْمِنُونَ" بياء الغيبة، يكون الخطاب في ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ جائزاً فيه وجهان:

– أحدهما: أنَّه خطاب للمؤمنين. أي: وَمَا يُشْعِرُكُم أيُّها المؤمِنُونَ إيمانهم، ثم استأنف إخباراً عنهم بأنهم لا يؤمنون فلا تطمعوا في إيمانهم.

– والثَّاني: أنَّه للكفَّار. أي: وما يُشعركم أيُّها المشركون ما يكون منكم، ثم استأنف إخباراً عنهم بعدم الإيمان لعلمه السَّابق فيهم ولو جاءتهم الآيات.

– وفي الوجه الثَّاني التفات من خطاب إلى غيبة[1].

(1) البحر المحيط 4/ 201، والنَّهر المادّ 4/ 201، والدُّر المصون 5/ 108.

نحوياً:

في الوجه الأوّل أنّه خطاب للمؤمنين يكون الضَّميران مختلفان ضمير الخطاب في ﴿ يُشْعِرُكُمْ ﴾ للمؤمنين، وضمير الغيبة في ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ للمشركين. فالتَّقدير: وما يشعركم أيُّها المؤمنون ما يكون منهم.

ثم أخبر المؤمنين بعلمه فيهم. أي: إنَّهم لا يؤمنون فلا تطمعوا في إيمانهم.

في الوجه الثَّاني: أنّه للكفار. أي: وما يشعركم – أيها المشركون – ما يكون منكم، ثم أخبر عنهم ما يكون من حالهم ولو جاءتهم الآيات.

فالضَّميران على هذا الوجه لواحد (للكفَّار) فيكون الخطاب في ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ للكفار وجهاً لوجه زيادةً في إحراجهم وتعنيفهم، ثم عدل عنه فانتقل بالضَّمير إلى الغيبة ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لما تفيده الغيبة من التَّحقُّق والعلم السَّابق بعدم الإيمان.

16. قال – تعالى –:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ [الأعراف 7: 26].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب في ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ ﴾ إلى الغيبة في ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾

نحوياً:

كان مقتضى المطابقة أن يقول: لعلكم تتذكَّرون (تذَّكرون)، ولكنه عدل عن المطابقة ﴿ عَلَيۡكُمۡ ﴾ وانتقل إلى ضمير الغيبة ﴿ لَعَلَّهُمۡ ﴾.

17. قال – تعالى–:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف 7: 158].

بلاغيّاً:

خرج من الخطاب إلى الغيبة، وعدل من المضمر إلى الاسم الظّاهر، لتجري عليه الصِّفات الَّتي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة، وليُعْلِمَ أنَّ الَّذي يجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشَّخص المستقلُّ بأنَّه النَّبيُّ الأميُّ الَّذي يؤمن بالله وكلماته كائناً من كان أنا أو غيري إظهاراً للنَّصَفَة وتفادياً من العصبيَّة لنفسه[1]. واعتبرها السّيوطيُّ من التّكلُّم إلى الغيبة[2].

نحويّاً:

واجههم بـ﴿ إِنِّى ﴾ الياء ضمير التّكلُّم، يفيد الحضور، وهو حضور تكلُّم، لا بدَّ له من مخاطب أو مخاطبين، وفي الآية الكريمة المواجِه معروف، والمواجَه معروف – ومن الممكن أن يكون غير معروف؛ أي غير حاضر حال التّكلُّم – وهو هنا معروف لديهم – أي: المواجِه وهو الرَّسول – ﷺ – بشخصه وصفاته، ثم عدل عن التّكلُّم في ﴿ إِنِّى ﴾ إلى الاسم الظّاهر ﴿ وَرَسُولِهِ ﴾ وكما يقول النُّحاة: "الاسم الظّاهر في قوة ضمير الغائب" "والضّمائر جميعاً مفتقرة إلى القرائن باعتبارها شرطاً أساسيّاً لدلالتها على معين ... وأمّا ضمير الغائب فقرينته المرجع المتقدّم إمّا لفظاً أو رتبة أو هما معاً، فهذا المرجع هو القرينة الّتي تدل على المقصود بضمير الغائب"[3]. ولا شكَّ أنَّ الضّمائر تلعب دوراً هامّاً جدّاً في علاقة الرَّبط

(1) الكشّاف 2/ 158، والمثل السّائر 2/ 11، والدُّر المصون 5/ 483-484.

(2) معترك الأقران 1/ 379.

(3) اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها 110-111.

فعودها إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه، ومن هنا يؤدِّي إلى تماسك أطراف الجملة"[1].

فالمطابقة تقتضي أن يقول: "فآمنوا بالله وبي" عطفاً على قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾ ولكنَّه انتقل إلى الاسم الظَّاهر – أي: ضمير الغائب – لما يحمله من التَّحقُّق – عادلاً عن المطابقة، وهم يعرفونه بأنَّه النَّبيُّ الَّذي يؤمن بإله واحد وبكلماته – وقرأ مجاهد وعيسى "وَكَلِمَتِهِ" [2] بالتَّوحيد، والمراد بها الجنس، كقوله – ﷺ – : "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ لَبِيد"[3]. والكلمات – الكلمة – هنا – كعادة العرب – آيات القران الكريم؛ لأنَّ العرب تطلق على القصيدة "كلمة".

18. قال – تعالى–:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف 7: 175– 176].

بلاغيّاً:

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

(1) المرجع نفسه 113.

(2) معجم القراءات القرآنيّة 2/ 411.

(3) رواه البخاري؛ مناقب الأنصار 26، وفتح الباري 7/ 149 وهذه الكلمة قوله:

أَلا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ   وَكُلُّ نَعِيمٍ لا مَحالةَ زَائِلُ

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانتقل من الخطاب في قوله – تعالى-: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ مع ما في الخطاب من المواجهة والحضور، إلى الغيبة في قوله– تعالى – : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ﴾ مع ما في الغيبة من تحقُّق.

19. قال – تعالى–:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يونس 10: 22].

بلاغياً:

الالتفات: خرج من خطاب في قوله ﴿كُنتُمْ ﴾ إلى غيبة في قوله ﴿بِهِم ﴾ و﴿وَفَرِحُوا۟ ﴾ وما بعد ذلك من ضمير الغيبة. قال الزَّمخشريُّ: فائدة الالتفات في قوله – تعالى–: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ المبالغة، كأنَّه يذكر لغيرهم حالهم ليُعَجِّبَهُم منها وليستدعي منهم الإنكار والتَّقبيح(1). وقال أبو حيَّان: "والَّذي يظهر – والله أعلم – أنَّ حكمة الالتفات هنا هي أنَّ قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ خطاب فيه امتنان واظهار نعمة للمخاطبين، والمسيَّرون في البرِّ والبحر مؤمنون وكفار، والخطاب شامل فحسن خطابهم ليستديم الصَّالح على الشُّكر، ولعلَّ الطَّالح يتذكَّر هذه النِّعمة فيرجع، فلـمَّا ذكرت حاله آل الأمر في آخرها إلى أنَّ المتلبِّس بها هو باغ في الأرض بغير الحقِّ؛ عدل عن الخطاب إلى الغيبة حتَّى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة الَّتي آخرها البغي"(2).

(1) الكشَّاف 2/ 322.

(2) النَّهر المادّ 5/ 137، البحر المحيط 5/ 138–139.

".... وحكمته زيادة التقبيح والتشنيع على الكفار لعدم شكرهم النعمة".(1)

نحوياً:

المطابقة تقتضي: حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة فرحتم بها، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية بالخطاب.

لكنَّه عدل عن المطابقة، فانتقل من الخطاب الَّذي يفيد المواجهة إلى الغيبة الَّتي تفيد التَّحقُّق فبعد أن خاطبهم ممتناً على الخلق – مؤمنهم وكافرهم – بأنَّه هو الذي يسيِّركم في البرِّ والبحر، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ – المؤمن والكافر – وصل المؤمنون إلى برِّ الأمان – والله أعلم– متنعمين بإيمانهم، وظلَّ الكفَّار﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ (2)"موافقة لأهوائهم وما يتمنَّونه ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ وغرَّهم ما هم فيه من نعم الله، فاخلدوا إلى المعاصي، والابتعاد عن منهج الله القويم، وغفلوا وسدروا في غيِّهم، ﴿جَآءَتۡهَا﴾ – أي: الفلك – ﴿رِيحٌ عَاصِفٞ﴾، ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ﴾ (أي: المصائب) ﴿مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ " (أي: تراكم الأمواج–المصائب–) ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ (أي: وقع بهم الهلاك) ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

وقد اختارَ ربُّ العزَّة – والله أعلم– ﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾ لأنَّها ومهما عظمت فإنَّ الله – سبحانه– هو الَّذي يسيِّرها، وغرق الغواصة "كورسك" في 12/ آب/ 2000م الَّتي كان الرُّوس يفاخرون بها، ويقولون: إنَّها أعظم غوَّاصة في العالم، وإنَّها مجهَّزة باحدث التقنيات الَّتي تجعلها عصيَّة على الغرق أو أن يلحق بها أذى، لم يتمكَّنوا هم ولا غيرهم من إنقاذ مَنْ

---

(1) صفوة التفاسير 5/ 69.

(2) الضَّمير في "جرين" عائد على الفلك على معنى الجمع، إذ الفلك يكون مفرداً أو جمعاً. والضَّمير في "بهم" عائد على الكائنين في الفلك. البحر 5/ 138–139.

فيها، أو إنقاذها. وقد أوردت الصُّحف أنَّهم وجدوا أنَّ بعض ملاّحيها كتبوا يستنجدون الله ويطلبون إنجاءهم.

وما قصّة السّفينة (تايتنك) الإنجليزيّة العملاقة – الّتي سمّيت السّفينة الّتي (لا تغرق) عنّا ببعيد. ففي 10 نيسان 1912م ترقّب العالم بلهفة ذلك الحدث التّاريخيّ، وهو قيام السّفينة (تايتنك) بأولى رحلاتها عبر المحيط الأطلنطيّ من إنجلترا إلى الولايات المتحدة، وفي 14 نيسان 1912م، وهو اليوم الخامس من رحلة السّفينة بدأت المخاطر تتربّص بالسّفينة العملاقة، ففي ذلك اليوم منذ الظّهيرة وحتّى آخر اللّيل تلقّت حجرة اللاسلكيّ في السّفينة رسائل عديدة من بعض السُّفن المارّة بالمحيط تشير إلى اقتراب السّفينة من الدُّخول في منطقة مياه جليديّة مقابلة للسّاحل الشّرقيّ لكندا، وعلى الرّغم من هذه الرّسائل لم يُبْدِ أحد من طاقمها وعلى الأخص الكابتن (سميث) أيّ اهتمام؛ بسبب خبرتهم السّابقة بندرة تكوّن الجليد في هذه المنطقة من المحيط في شهر نيسان، وبثقتهم البالغة بسفينتهم العملاقة (تايتنك)، فقد كانت تبدو لهم أكبر من أن يعترض شيء طريقها.

وفي حوالي منتصف هذه اللّيلة رأى (فليت) خيالاً مظلماً يقع مباشرة في طريق السّفينة، وفي ثوانٍ معدودات بدأ هذا الخيال يزداد بشكل ملحوظ إنّه (جبل جليديّ)، فقام (فليت) باطلاق جرس الإنذار عدّة مرات وقام بتحذير الجميع، ولكن لم يكن هناك أيّ فرصة لتجنب الاصطدام، فارتطم الجبل الجليديّ بجانب السّفينة ... وكان أن غرقت السّفينة الّتي سمّوها (السّفينة الّتي لا تغرق).

20. **قال – تعالى–:**

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرَّعد 13: 41].

بلاغياً:

يقول الأستاذ محي الدِّين الدَّرويس: "التفات بليغ؛ الرُّجوع من خطاب النَّفس إلى الغيبة في الآية، وبناء الحكم على الاسم الجليل ينطوي على أعظم الأسرار وأبهرها، فإنَّه لَّما أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة المشوبة بالتَّحذير كان لا بدَّ أن يتوجه إليهم بالخطاب ليريهم مكان القوةِ والعظمة لديه، وعاد إلى تصوير الفخامة والمهابة، وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلَّة الَّتي هي السَّبب في إتيان الأرض وانتقاص أطرافها. وإدالة الأمر من قوم لقوم، ونقل السَّيطرة من الظَّالمين بالأمس إلى المظلومين، ومن الغالبين بالأمس إلى المغلوبين؛ وهذه الفخمَّية لا تتأتَّى إلا بإيراد الكلام في معرض الغيبة فقال ملتفتاً: ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ ﴾ في خلقه بما يشاء لا رادّ لحكمه، ثمَّ أردف ذلك بقوله: ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ ولا مبطل لمشيئته، وثلّث بقوله: ﴿ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ فكلّ شيء محسوب لديه، وعمّا قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدُّنيا[1].

نحوياً:

عدل عن المطابقة فانتقل من الخطاب ﴿ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا ﴾ بالقدرة والأمر إلى الغيبة ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ ولا يخفى ما في الخطاب من المواجهة والإعلام المباشر، وما في الغيبة من التَّحقُّق. "وأنَّه لا رادّ ولا مناقض يتعقب أحكامه أي: ينظر في أعقابها أمصيبة أم لا؟ وسرعة حساب الله واجبة لأنَّها بالإحاطة ليست بعدد"[2].

(1) إعراب القران وبيانه 5/ 136–137.

(2) المحرَّر الوجيز 10/ 35.

21. قال – تعالى –:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١) ﴾ [إبراهيم 14: 19– 21].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب ﴿ يُذْهِبْكُمْ ﴾ إلى الغيبة ﴿ وَبَرَزُوا ﴾ .

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الخطاب في قوله: ﴿ يُذْهِبْكُمْ ﴾ الَّذي يفيد المواجهة، إلى الغيبة في قوله: ﴿ وَبَرَزُوا ﴾ الَّذي يفيد التَّحقُّق.

22. قال – تعالى –:

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) ﴾ [النَّحل 16: 1].

- قرأ العامّة: ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ بالتَّاء خطاباً للمؤمنين والكافرين.
- قرأ سعيد بن جبير بالياء من تحت" (يَسْتَعْجِلُوه) عائداً على الكفَّار أو المؤمنين[1].
- وقرأ الأخوان "تُشْرِكُونَ" بتاء الخطاب جرياً على الخطاب في﴿ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ .
- والباقون بالياء ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ عوداً على الكفَّار.
- وقرأ الاعمش وطلحة والجحدريّ وجمٌّ غفير، بالتَّاء من فوق في الفعلين[2]:﴿ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ و"تُشْرِكُونَ".

(1) البحر 5/ 472، ومختصر في شواذّ القرآن/ 76.

(2) الدُّر المصون 7/ 187–188، والكشَّاف 2/ 554، ومعجم القراءات القرانيَّة 3/ 267، والمحرَّر الوجيز 10/ 158.

من هذا يتحصَّل عندنا:

1- ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ : خطاباً للمؤمنين والكافرين ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ عوداً على الكافرين.

2- "فلا يَسْتَعْجِلُوه": ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ .

3- ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ "تُشْرِكُونَ".

في (2) و(3) لا التفات ولا عدول لأنَّ الفعلين جاءا في (2) متطابقين على الغيبة، وفي (3) متطابقين على الخطاب.

بلاغياً:

في (1) التفات، فقد انتقل من الخطاب ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ إلى الغيبة في ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ .

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانتقل من الخطاب "في ﴿ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ إلى الغيبة ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ ففي ﴿ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ خطاب للمؤمنين والكافرين، فللمؤمنين على استبطاء النَّصر، وللكافرين على استعجال العذاب. ثم، تبرَّأ – عزَّ وجلَّ– أن يكون له شريك، وأن تكون آلهتهم له شركاء، أو عن إشراكهم"[1]. فجاءت ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ بالماضي لتحقُّقه ووضوحه ووقوعه وصدقه.

"وفائدة هذا الالتفات (العدول) إلى الغيبة للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم، وطرحهم عن رتبة الخطاب، وحكاية شأنهم للغير".[2]

(1) الكشّاف 2/ 554.

(2) روح المعاني 14/ 92.

23. **قال – تعالى–:**

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النَّحل16: 15– 16].

بلاغيّاً:

التفات من الخطاب ﴿بِكُمْ﴾ و﴿تَهْتَدُونَ﴾ إلى الغيبة ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، "والفائدة منه أنّه لمّا كانت الدّلالة من النَّجم أنفع الدَّلالات وأوضحها في البرِّ والبحر نبّه على عظمها بالالتفات إلى مقام الغيبة لإفهام العموم ولئلّا يظنّ أنَّ المخاطب مخصوص بذلك وزاد التَّأكيد بتقديم الجار والمجرور كأنّما يشير من طرف خفي إلى أنَّ دلالة غير النَّجم ضئيلة لا يؤبه لها"[1].

نحويّاً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانتقل من الخطاب في ﴿بِكُمْ﴾ و﴿تَهْتَدُونَ﴾ [آية: 15] إلى الغيبة ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الآية: 16].

لما عدَّد الله – سبحانه– نعمه الَّتي أسبغها على عباده وسخرها لهم، عدَّد ما يهتدون به في البرِّ والبحر، فعدَّد من نعمه الجبال الرّاسيات، والأنهار، والسُّبل (أي: الطُّرق)، والعلامات، ولمّا كان في علمه – تعالى– أنَّ الإنسان يمكن أن يبدِّل فيها ويغيِّر، فالجبال يشق فيها الطُّرق، وينسفها ويقيم مكانها أبنية، والأنهار يحوِّل مساراتها، والعلامات يغيرها ويبدِّلها، وهذا جليّ واضح للعيان، فإنَّه انتقل إلى الماضي الَّذي يفيد التَّحقُّق وصدق المخبريَّة، ولا يستطيع الإنسان أن يبدّله وقدَّم ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ لأهمِّيَّته وإنَّه المقصود بعدم قدرة الإنسان على تحويله وتغييره، ولذلك لم يقل: وبالنَّجم لعلكم تهتدون، كما في الآية الكريمة قبلها، وعلَّق ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ بـ﴿يَهْتَدُونَ﴾ ليحقِّق هذا الثَّبات والدَّوام، والله أعلم.

(1) إعراب القران وبيانه 5/ 280.

24. قال – تعالى–:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النَّحل 16: 68–69].

بلاغيّاً:

الالتفات من الخطاب ﴿ ٱتَّخِذِى ﴾ [الآية 68] و ﴿ كُلِى ﴾، ﴿ فَٱسْلُكِى ﴾ " إلى الغيبة ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا ﴾ "وإنّما صرف الكلام ها هنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة وهي أنّه ذكر للبشر العسل وأوصافه وألوانه المختلفة، وأخبرهم أنَّ فيه فوائد شتَّى لهم ليلفت انتباههم إليه"[1]. و"لبيان ما يظهر من تعاجيب صنع الله – تعالى– الَّتي هي موضع عبرتهم بعدما أُمر النَّحل بما أُمر"[2].

نحويّاً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الخطاب في ﴿ ٱتَّخِذِى ﴾ [الآية: 68] و﴿ كُلِى ﴾ ﴿ فَٱسْلُكِى ﴾ [الآية: 69] إلى الغيبة ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا ﴾ [الآية: 69] ولو جاء الكلام متطابقاً لقال: ﴿ ٱتَّخِذِى ﴾، ﴿ كُلِى ﴾، ﴿ فَٱسْلُكِى ﴾، ... يخرج من بطونكم. ولا تخفى الفائدة من الانتقال من الخطاب الَّذي يفيد المواجهة والطَّلب التَّعليميّ بالوحي، وهو إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به، لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه، وإلا فَنَيّقتها[3] في صنعتها، ولطفها في تدبير أمرها، وإصابتها فيما يصلحها؛ دلائل بيِّنة شاهدة على أنَّ الله أودعها علماً بذلك وفطّنها، كما أَوْلَى أُولي العقول عقولهم"[4]. إلى الغيبة الَّتي تفيد التَّحقُّق.

(1) الدُّر المصون 7/ 263، إعراب القرآن وبيانه 5/ 332.

(2) روح المعاني 14/ 184.

(3) تنيّق في مطعمه وملبسه: تجوّد وبالغ.

(4) الكشّاف 2/ 576.

25. قال – تعالى–:

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الإسراء 17: 64].

بلاغيّاً:

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، "وعدل عن ذلك تهويناً لأمره واستصغاراً لأمر الغرور الّذي يعدهم به من جهة وليتولى الكلام على طريق الغيبة متحدِّثاً إلى النَّاس جميعاً ليعلم الجاهل، ويخلد المبطل إلى الصَّواب"(1).

نحويّاً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة وكان حقُّ الاتِّساق (المطابقة) أن يقال: وما تعدهم إلَّا غروراً. والخطاب يفيد المواجهة، فإن كان موقف إعزاز وكرامة مَدَح، وإن كان موقف إذلال وإهانة عنَّفَ. ثم انتقل إلى الغيبة، الَّتي تفيد التَّحقُّق وتصديق ما كان.

26. قال – تعالى–:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف 18: 110].

بلاغيّاً(2):

1- في قراءة أبي عمرو رواية الجعفيّ عنه "ولا تُشرِكْ" بالتَّاء خطاباً للسَّامع والتفاتاً من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب وهو المأمور بالعمل الصَّالح.

2- ثم عاد إلى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ ﴾ ولم يأت

(1) إعراب القران وبيانه 5/ 470.

(2) راجع رقم (28) من الغيبة إلى الخطاب.

التَّركيب بعبادة ربِّك إيذاناً بأنَّ الضَّميرين لمدلول واحد، وهو "مَـنْ" في قولـه: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ ﴾ .

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الخطـاب "تُـشْرِكْ" إلى الغيبـة ﴿ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ ولو جاء متطابقاً متّسقاً لقال: وَلَا تُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ أحداً.

27. **قال – تعالى–:**

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنبياء 21: 92– 93].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب في ﴿ أُمَّتُكُمْ ﴾ إلى الغيبة في ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ صرف الكـلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كأنَّه ينعى علـيهم مـا أفـسدوه إلى قـوم آخـرين، ويقبِّح عندهم ما فعلوه، ويقول ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هـؤلاء في ديـن الله – تعـالى– فجعل أمر دينهم فيما بينهم قِطَعاً، وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم، ثمَّ تَوَعَّدَهُم بعد ذلك بأنَّ هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون، فهو مُجازيهم على ما فعلوا"[1].

نحوياً:

الضَّمير في ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ عائد عـلى ضـمير الخطـاب في ﴿ أُمَّتُكُمْ ﴾ والمطابقـة (الاتِّساق) تقتضي "وتقطَّعتم"، فعدل الكتاب العزيز عن المطابقة لوضوح القرائن الأخرى؛ وأهمها قرينة الرَّبط بعود الضَّمير، فانتقل من الخطاب للنَّاس كافَّة؛ لأنَّ الأمَّة (تعني: الملَّـة) أو ﴿ هَٰذِهِۦٓ ﴾ إشارة إلى ملَّة الإسلام، أي: إنَّ ملَّة الإسلام هي ملَّـتكم الَّتـي يجـب أن تكونـوا

(1) المثل السَّائر 2/ 10–11، وانظر أيضاً: البحر المحيط 6/ 337–338، والنَّهر المادّ 6/ 336، والكشَّاف 3/ 734، الدُّر المصون 8/ 197، وإعراب القرآن وبيانه 6/ 359.

عليها لا تنحرفون عنها، يشار إلى ملّة واحدة غير مختلفة، ﴿وَأَنَا﴾ ألهكم إله واحد ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾ [1]. إلى الغيبة في ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ لما في الغيبة (الماضي) من التَّحقُّق، وفيه إخبار تشنيع لما فعلوه من التَّفريق والانقسام على فرق شتّى مختلفة الأهواء والمشارب؛ ثم توعّدهم جميعاً بأنّهم إليه راجعون فهو يحاسبهم ويجازيهم.

28. **قال – تعالى–**:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النُّور24: 11].

«الإفك: أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء. وقيل: هو البهتان لا تشعر به حتَّى يفجأك. وأصله: الإفك، وهو القلب؛ لأنَّه قول مأفوك عن وجهه. والمراد ما أُفك به على السَّيدة عائشة – رضي الله عنها– والعصبة: الجماعة من العَشَرة إلى الأربعين، وكذلك العصابة. واعصوصبوا: اجتمعوا، وهم عبد الله بن أُبَيّ رأس النِّفاق، وزيد بن رفاعة، وحسَّان بن ثابت، ومِسْطَح بن أثاثة، وحَمْنَة بنت جَحْش، ومن ساعدهم. وقرئ: ﴿كِبْرَهُۥ﴾ بالضَّم والكسر، وهو عِظَمه، والَّذي تولّاه عبد الله؛ لإمعانه في عداوة رسول الله – ﷺ– وانتهازه الفرص، وطلبه سبيلاً إلى الغميزة.

أي: يصيب كل خائض في حديث الإفك من تلك العصبة نصيبه من الإثم على مقدار خوضه. والعذاب العظيم لعبد الله؛ لأنَّ معظم الشَّرّ كان منه. يحكى أنَّ صفوانَ بنَ المُعطَّل السُّليميَّ – رضي الله عنه– مرّ بهودجها عليه، وهو في ملأ من قومه، فقال: من هذه؟ فقالوا: عائشة – رضي الله عنها–، فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها، وقال: امرأة نبيِّكم باتت مع رجل حتَّى أصبحت ثم جاء يقودها. والخطاب في قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لمن ساءه ذلك من المؤمنين، وخاصَّة رسول الله – ﷺ– وأبي بكر، وعائشة، وصفوان بن المعطَّل

(1) الكشّاف 3/ 134.

– رضي الله عنهم– ومعنى كونه خيراً لهم: أنّهم اكتسبوا به الثّواب العظيم؛ لأنّه كان بلاءً مبيناً ومحنة ظاهرة، وأنّه نزلت فيه ثماني عشرة آية كلّ واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله – ﷺ– وتسلية له، وتنزيه لأُمّ المؤمنين – رضوان الله عليها– وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلّم في ذلك أو سمع به فلم تمجّه (مَجَّ الشّراب من فيه: رماه، ومَجَّ في خبره: لم يُبيِّنه) أذناه، وعدّة ألطاف للسّامعين والتّالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينيّة وأحكام وآداب لا تخفى على متأمّليها»[1].

29. قال – تعالى–:

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النُّور 24: 12].

بلاغيّاً:

الالتفات، العدول عن الخطاب في ﴿ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ إلى الغيبة في ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾، وعن الضّمير إلى الظّاهر، قال الزّمخشريُّ: "ولِمَ عدل عن الخطاب إلى الغيبة، وعن الضّمير إلى الظّاهر؟ قلت: ليبالغ في التّوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرِّح بلفظ الإيمان، دلالة على أنَّ الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدِّق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن، وفيه تنبيه على أنَّ حقَّ المؤمن إذا سمع قالة في أخيه، أن يبني الأمر فيها على الظّنِّ لا على الشّك، وأن يقول بملء فيه بناء على ظنّه بالمؤمن الخير: ﴿ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾، هكذا بلفظ المصرّح ببراءة ساحته، كما يقول المستيقن المطّلع على حقيقة الحال. وهذا من الأدب الحسن

(1) الكشّاف 3/ 221-222، وانظر أيضاً: سيرة ابن هشام 3/ 254-264، وصحيح البخاريّ وصحيح مسلم، والمحرَّر الوجيز 11/ 277-289.

الذي قلَّ القائم به والحافظ له، وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بأخوات"[1].

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانتقل من ضمير المخاطب في ﴿ سَمِعۡتُمُوهُ ﴾ إلى ضمير الغائب في ﴿ وَقَالُواْ ﴾ ومن ضمير المخاطب في ﴿ سَمِعۡتُمُوهُ ﴾ إلى الاسم الظَّاهر في ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ فالخطاب يعني المواجهة بالتَّوبيخ والتَّأديب، فالتَّوبيخ للمنافقين والمنافقات، والتَّأديب للمؤمنين والمؤمنات، لأنَّ المنافقين لا ينفع معهم التَّأديب، فهم أهون على الله، فمن هان عليه خلّى بينه وبين معاصيه، فكلَّما أحدث ذنباً أحدث له نعمة.

والمطابقة تستدعي القول: «لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَنْتُمْ بِأَنْفُسِكُم خَيراً» فلو جاء على هذا لاشترك فيه المؤمن والمنافق، ولكنّ التَّصريح بلفظ المؤمنين والمؤمنات، دلالة على تخصيصهم، بأن لا يصدِّق أحد قالة في أخيه. والله أعلم.

وكان الأصل في المطابقة يقتضي: وَقُلتُم، فعدل عن هذا الخطاب إلى الغيبة في ﴿ وَقَالُواْ ﴾ لأنَّ فيها تعليم للمؤمنين لما فيها من تحقُّق، وتعطيف المؤمنين على إخوانهم.

"وإنما عدل عنه مبالغة في التَّوبيخ وإشعاراً بأنَّ الايمان يقتضي ظنّ الخير بالمؤمنين"[2]

خبر الإفك في غزوة بني المصطلق سنة ستّ .

(1) الكشَّاف 3/ 222-223. وانظر الدُّر المصون 8/ 390، وإعراب القران وبيانه 6/ 578-579.

(2) صفوة التَّفاسير 10/ 12.

30. **قال – تعالى–:**

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٦٤ ﴾ [النُّور24 :64].

1– قرأ الجمهور: ﴿ يُرۡجَعُونَ ﴾: مبنيًّا للمفعول.

2– وقرأ ابن يعمر وابن أبي إسحاق وأبو عمرو: «يَرْجِعُون»: مبنيًّا للفاعل.

بلاغيًا:

الالتفات: التفت من ضمير الخطاب في ﴿ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ إلى ضمير الغيبة في ﴿ يُرۡجَعُونَ ﴾، وفائدة هذا الالتفات على قراءة ﴿ يُرۡجَعُونَ ﴾ أنَّ الله يرتّب على عملهم الَّذي عملوه ومن جملتها مخالفة أوامره – سبحانه– ما يليق به من التّوبيخ والجزاء[1].

نحويًّا:

– الخطاب والغيبة في قوله – تعالى–: ﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ ﴾ [النور24 :64].

يجوز أن يكونا جميعاً للمنافقين على طريق العدول، فيكون الكتاب العزيز قد عدل عن المطابقة، فانتقل من المشاهدة والرُّؤية المستفادة من الخطاب، إلى الغيبة لتحقُّقها.

– ويجوز أن يكون ﴿ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ عامًّا، و﴿ يُرۡجَعُونَ ﴾ للمنافقين خاصَّة، فلا عدول حينئذٍ. والله أعلم[2].

(1) روح المعاني 18/ 229.

(2) البحر المحيط 6/ 477، والنهر المادُّ 6/ 475، والكشّاف 3/ 266، والدرّ المصون 8/ 451.

31. **قال – تعالى –:**

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الفرقان25: 17–19].

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم ﴾ هذا من قول الله بلا خلاف، فهي على إضمار القول والالتفات.

قال الزَّمخشريُّ: «هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصّة إذا انضمَّ إليها الالتفات وحذف القول. ونحوها قوله – عزَّ وجلَّ –: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [المائدة5: 19].

أي: فقلنا قد جاءكم.

وقول الشاعر:

قالوا خُراسانُ أَقْصَى ما يُرادُ بِنا ... ثُمَّ القُفُولُ فَقَدْ جِئْنا خُرَاسَانَا[1]

أي: فقلنا: قد جئنا.

يريد: أنَّ الأصل في الآية الكريمة؛ فقلنا: قد كذّبوكم.

- فإن كان المجيب الأصنام؛ فالخطاب للكفّار. أي: قد كذّبتم معبوداتكم من الأصنام بقولهم: ﴿ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا ﴾ [الآية:18].
- وإن كان الخطاب للمعبودين من العقلاء؛ عيسى والملائكة وعُزير – عليهم السَّلام– وهو الظّاهر لتناسق الخطاب مع قوله: ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ ﴾ [الآية:17] أي:

(1) الكشّاف 3/ 276.

كذّبكم المعبودون.

- ﴿ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ [الآية:19] أي: بقولهم إنّكم أضللتموهم، وزعمهم أنّكم أولياؤهم من دون الله.
- ومَن قرأ ﴿ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ بتاء الخطاب؛ فالمعنى: فيما تقولون؛ أي: ﴿ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الآية:18].

- وقيل: الخطاب للكفّار العابدين: أي: كذّبكم المعبودون بما تقولون من الجواب: ﴿ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا ﴾ [الآية:18] أو فيما تقولون أنتم من الافتراء عليهم خوطبوا على جهة التّوبيخ والتّقريع.
- وقيل: هو خطاب للمؤمنين في الدُّنيا. أي: قد كذّبكم – أيها المؤمنون– الكفّار في الدّنيا فيما تقولونه من التّوحيد والشّرع.

- وقرأ الجمهور ﴿ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ بالتّاء من فوق.
- وقرأ أبو حيوة وابن الصّلت عن قنبل « بِمَا يَقُولُون» بالياء من تحت.
- وقرأ حفص وأبو حيوة والأعمش وطلحة ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ ﴾ بتاء الخطاب، ويؤيّد هذه أن الخطاب في ﴿ كَذَّبُوكُم ﴾ للكفّار العابدين.

وذكر عن ابن كثير وأبي بكر أنهما قرآ «بِمَا يَقُولُون فَمَا يَسْتَطِيعون» بالياء فيهما. أي: هم[(1)].

بلاغيًا:

الالتفات: إن كان الخطاب في ﴿ كَذَّبُوكُم ﴾ للكفّار فالالتفات في «يَقُولُونَ»، فقد انتقل من ضمير الخطاب «كُم» في ﴿ كَذَّبُوكُم ﴾ إلى ضمير الغيبة في «يَقُولُونَ».

وإن كان الخطاب في ﴿ كَذَّبُوكُم ﴾ للمعبودين، فالالتفات في ﴿ تَقُولُونَ ﴾.

(1) البحر المحيط 6/ 489-490، والكشّاف 3/ 276، والدُّر المصون 8/ 467-468، ومعجم القراءات القرآنية 4/ 279-280.

نحويًّا:

إن كان الخطاب في ﴿ كَذَّبُوكُم ﴾ للكفّار فـ﴿ تَقُولُونَ ﴾ متّسقة متطابقة مع ﴿ كَذَّبُوكُم ﴾ فلا عدول حينئذٍ.

وفي قراءة «يَقُولُونَ» عدول، لأنّ الكتاب العزيز انتقل من الخطاب في ﴿ كَذَّبُوكُم ﴾ إلى الغيبة في «يَقُولُونَ».

وإن كان للمعبودين فالضّمير في «يَقُولُونَ» متّسق متطابق مع الضَّمير المرفوع «واو الجماعة» في ﴿ كَذَّبُوكُم ﴾.

والعدول في قراءة ﴿ كَذَّبُوكُم ﴾ ﴿ تَقُولُونَ ﴾.

فائدة:

وإن كان الخطاب للمؤمنين أُمّة محمّد – ﷺ – في قوله: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم ﴾ فالمعنى: أنّهم شديدو الشّكيمة في التّكذيب فما تستطيعون أنتم صرفهم عمّا هم عليه من ذلك.

وبالياء "فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً" لأنفسهم عمّا هم عليه، أو: ما يستطيعون صرفكم عن الحقّ الّذي أنتم عليه، ﴿ وَلَا نَصْرًا ﴾ لأنفسهم من البلاء الّذي استوجبوه بتكذيبهم[1].

32. **قال – تعالى –:**

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦) ﴾ [الشُّعراء26 :193– 196].

بلاغيًّا:

قيل: الضّمير في ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ عائد على رسول الله – ﷺ –[2].

(1) البحر المحيط 6/ 489–490، والكشّاف 3/ 273–276، والدُّر المصون 8/ 467–468.

(2) البحر 7/ 41، والدُّر 8/ 552.

أي: إنَّ ذكره ورسالته في الكتب الإلهيَّة المتقدِّمة يكون التفاتاً إذ خرج من ضمير الخطاب في قوله – تعالى– : ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ ﴾ [الآية:194] إلى ضمير الغيبة ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الآية:196] وكذلك قيل في ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ في الآية الكريمة: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [الآية:197] أي: أن يعلّم محمَّداً – ﷺ – ، وتناسق الضَّمائر لشيء واحد أوضح»[1].

نحويًّا:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الخطاب في ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ ﴾ [الآية:194] إلى الغيبة في ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الآية:196]، لأنَّ الضَّميرين يعودان لواحد، إذ لو جاء الكلام متطابقاً لقيل: على ﴿ قَلْبِكَ لِتَكُونَ ﴾ [الآية:194]... وَإِنَّكَ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ.

33. **قال – تعالى– :**

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النَّمل27 :60].

بلاغيًّا:

﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ ﴾ المعنى: أنّ إنبات ذلكم منكم محال؛ لأنَّه إبراز شيء من العدم إلى الوجود، وهذا ليس بمقدور إلا الله – تعالى– ولَمَّا ذكر منَّته عليهم خاطبهم بذلك. ثم لما ذكر ذمَّهم عدل من الخطاب إلى الغيبة فقال: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾

(1) البحر 7/ 41 .

إما التفاتاً، وإما إخباراً للرّسول – ﷺ- بحالهم. أي: يعدلون عن الحقّ، أو: يعدلون به غيره. أي: يجعلون له مثيلاً وعديلاً»[1].

نحويًّا:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانتقل من الخطاب في قوله – تعالى– : ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾ لما في الخطاب من مواجهة وتحدٍّ، إلى الغيبة في قوله – تعالى– : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ لما في الغيبة من تحقُّق، والله أعلم بهم، وما في علمه متحقِّق. والله أعلم.

34. **قال – تعالى– :**

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [النَّمل27 :93].

– قرأ الجمهور: «عَمَّا يَعْمَلُونَ» بالياء من تحت.

– وقرأ نافع وحفص عن عاصم: ﴿ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ بالتّاء من فوق[2].

بلاغيًّا:

الالتفات من ضمير الخطاب في ﴿ سَيُرِيكُمْ ﴾ ﴿ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ إلى الغيبة في «يَعْمَلُونَ».

نحويًّا:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الخطاب في ﴿ سَيُرِيكُمْ ﴾ ﴿ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ لما في الخطاب من مواجهة، وجاء بالسّين الدّالة على الاستقبال لتدلَّ على أنَّ الآيات مستمرّة إلى يوم القيامة وما الاكتشافات الكونيّة الّتي نشاهدها ونسمع بها إلّا من ﴿ سَيُرِيكُمْ ﴾ إلى الغيبة في «يَعْمَلُون» الّتي تفيد التّحقُّق.

(1) النّهر المادُّ 7/ 87 .

(2) البحر المحيط 7/ 103 ، والدُّر المصون 8/ 647 ، ومعجم القراءات القرآنية 4/ 375 .

35. قال – تعالى– :

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (16) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (17) وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (18) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (19) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (21) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (22) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (23) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (24) ﴾ [العنكبوت29 :16–24].

بلاغيًّا:

الالتفات من الخطاب في قوله: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾ إلى الغيبة في قوله – تعالى– : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾ .

نحويًّا:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الخطاب الَّذي يفيد المواجهة في قوله – تعالى– : ﴿ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إلى قوله – تعالى– : ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الآية:23]. إلى الغيبة الَّتي تفيد التَّحقُّق ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾..

«وهذه الآية 16 والآيات التي بعدها إلى قوله: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾ محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم – صلوات الله وسلامه عليه– لقومه، وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله – ﷺ– وشأن قريش بين أوّل قصة إبراهيم وآخرها»(1).

(1) الكشّاف 3/ 451، وإعجاز القرآن 100 .

«والظَّاهر أنَّ قول: ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ ﴾ من كلام الله حكاية عن إبراهيم إلى قوله: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وقيل: هذه الآيات اعتراض من كلام الله بين كلام إبراهيم والإخبار عن جواب قومه. أي: وإن تكذِّبوا محمَّداً، فتقدير هذه الجمل اعتراضاً يردُّ على ابي عليٍّ الفارسيّ حيث زعم أنَّ الاعتراض لا يكون جملتين فأكثر، وفائدة هذا الاعتراض أنَّه تسلية للرَّسول - ﷺ- حيث كان قد ابتلي بمثل ما كان أبوه إبراهيم قد ابتلي من شرك قومه، وعبادتهم الأوثان، وتكذيبهم إيَّاه، ومحاولتهم قتله، وجاءت الآيات بعد الجملة الشَّرطية مقرّرة لما جاء به الرَّسول من توحيد الله، ودلائله، وذكر آثار قدرته والمعاد﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴾ لمّا أمرهم بعبادة الله وبين سفههم في عبادة الأوثان، وظهرت حجّته عليهم رجعوا إلى الغلبة، فجعلوا القائم مقامه جوابه فيما أمرهم به؛ قولهم: ﴿ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ ، والآمرون بذلك إمَّا بعضهم لبعض، أو كبراؤهم قالوا لأتباعهم اقتلوه فتستريحوا منه عاجلاً، أو حرِّقوه بالنَّار؛ فإمَّا أن يرجع إلى دينكم إذا أمضَّته النَّار، وإمَّا أن يموت بها إن أصرَّ على قوله ودينه، وفي الكلام حذف، أي: حرِّقوه في النَّار، فأنجاه الله من النَّار[1].

36. قال - تعالى- :

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرُّوم30: 39].

بلاغيًّا:

الالتفات من الخطاب في﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم ﴾ إلى الغيبة ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ .

وقال الزَّمَخْشَرِيُّ: «وقوله - تعالى- : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ التفات حسن، كأنَّه قال للملائكته وخواصِّ خلقه: فأولئك الَّذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون، فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم المضعفون، والمعنى: المضعفون به؛ لأنَّه لا بدَّ من ضمير يرجع إلى ما.

(1) البحر 7/ 145 ، والكشَّاف 3/ 451 ، الدُّر المصون 9/ 14 .

ووجه آخر وهو أن يكون تقديره: فمؤتوه أولئك هم المضعفون. والحذف لما في الكلام من الدّليل عليه، وهذا أسهل مأخذاً، والأوّل أملأ بالفائدة[1].

نحويًا:

المطابقة تستدعي أن يقال: فأنتم المضعفون. ولكنَّ الكتاب العزيز عدل عن المطابقة فخرج من ضمير المخاطب في: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم ﴾ مع ما فيه من المواجهة وشدّ الانتباه والمدح؛ إلى الغيبة في ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ لما في الغيبة من التَّحقُّق واليقين، وهو أمدح لهم.

وترخَّص الكتاب العزيز في الرَّبط، فحذف ضمير الرّبط من جواب الشَّرط الَّذي يعود على اسم الشَّرط لأنَّه (أي: اسم الشَّرط) ليس بظرف. «وإن اسم الشَّرط متى كان غير ظرف وجب عود ضمير من الجواب عليه»[2]. يتم به الرَّبط.

37. **وقال – تعالى–:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ ﴾ [الأحزاب33 :1–2].

– قرأ الجمهور ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ بالتاء من فوق على الخطاب.

– وقرأ أبو عمرو " بِمَا يَعْمَلُونَ" بالياء من تحت على الغيبة، هنا وفي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ ﴾ [الأحزاب33 :9].

بلاغيًا:

قال أبو حيّان: «فجاز في الأولى – أي: «يَعْمَلُوَن» [الآية:2]– أن يكون من باب الالتفات»[1]. «يعني عن الغائبين الكافرين والمنافقين وهو بعيد»[2].

---

(1) الكشّاف 3/ 487، والبحر المحيط 7/ 174–175، والدُّر المصون 9/ 47–48.

(2) الدُّر المصون 9/ 47.

نحويًا:

قراءة أبي عمرو «يَعْمَلُونَ» بالغيبة، فهي مطابقة لقوله – تعالى– : ﴿ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [الآية:1].

وقراءة الجمهور ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ بالخطاب، فهي مطابقة لقوله – تعالى–: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [الآية:1]؛ «لأنَّ المراد هو وأُمَّته، أو خوطب بالجمع تعظيماً»(3).

ويكون العدول في قراءة أبي عمرو «يَعْمَلُونَ» فقد خرج من الخطاب في ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [الآية:1] ﴿ وَٱتَّبِعْ ﴾ [الآية:2] إلى الغيبة «يَعْمَلُونَ» [الآية:2] لما فيها من التَّحقُّق وما يفيده الجمع من التَّعظيم.

38. قال – تعالى– :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٠ ﴾ [الأحزاب33 :50](4).

(1) البحر المحيط 7/ 210.
(2) الدُّر المصون 9/ 91.
(3) الدُّر المصون 9/ 91.
(4) راجع رقم (36) من الغيبة إلى الخطاب.

بلاغيًّا:

الالتفات من الخطاب في قوله – تعالى–: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ ﴾ إلى الغيبة في قوله – تعالى–: ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا ﴾.

نحويًّا:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فخرج من الخطاب في قوله – تعالى–: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ ﴾ مع ما يفيده من المواجهة والانتباه إلى الغيبة في قوله – تعالى–: ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ مع ما فيه من التَّحقُّق، وحفظت قرينة الرَّبط المعنى بإعادة اللفظ ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾، فإعادة الرَّابط (المرجع) بلفظه أقوى من إعادة ضميره عليه، لأنَّ لفظه أقوى من الكناية عنه.

وفائدته: مجيئه على لفظ النَّبيِّ للدّلالة على أنَّ الاختصاص تكرمة له لأجل النّبوَّة، وتكريره تفخيم له، وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوَّته.

39. **قال تعالى:–**

﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الصَّافات 37: 153– 158].

بلاغياً

﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبًاۚ ﴾ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، والأصل: وَتَجعلُون. والالتفات للإشارة إلى أنَّهم ليسوا أهلاً للخطاب، وهم بعيدون عن رحمة رب الأرباب". [1]

(1) صفوة التَّفاسير 14/ 22.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن الخطاب الّذي يفيد المواجهة في: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأسلوب الاستفهام – الّذي هو بحاجة إلى جواب من المخاطب – الّذي جاء أوّلاً: استفهام إنكار في ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ و ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. وثانياً: استفهام تعجب: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ من حكمهم بهذا الحكم الجائر، وهم أنّهم نسبوا أخسَّ الجنسين، وما يتطيّرون منه ويتوارى أحدهم من قومه عند بشارته به؛ إلى ربِّهم، وأحسن الجنسين إليهم".[1] إلى الغيبة التي تفيد التّحقّق في ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾.

وفائدته:

ما في الخطاب من مواجهة وبخاصّة بأسلوب الاستفهام وما فيه من تقريع لهم، واستنكار، وتعجُّب من حكمهم الجائر.

40. قال – تعالى–:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فُصِّلَت41 :13].

بلاغيًّا:

الالتفات في قوله – تعالى–: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ خرج الكتاب العزيز من الخطاب في قوله – تعالى– : قُلْ ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ في الآية الكريمة: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾﴾ [فصّلت41 :9]. مع ما في الخطاب من تذكيرهم «بما يقتضي إقبالهم وإيمانهم من الحجج الدّالة على الوحدانية والقدرة الباهرة»[2] إلى ضمير الغيبة في ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾.

(1) الدّر المصون 9/ 334.

(2) البحر المحيط 7/ 489، والنّهر المادّ 7/ 488.

"وناسب الإعراض عن مخاطبتهم لكونهم أعرضوا عن الحق، وهو تناسب حسن".[1]

نحويًا:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فخرج من الخطاب في ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ ﴾ مع ما في الخطاب من المواجهة والإقناع بالحجج الدّامغة إلى ضمير الغيبة في ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ إعراضاً عن خطابهم، وتسفيهاً لهم وتحقيراً، والله أعلم.

41. قال – تعالى– :

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزُّخرُف43 :70– 71].

بلاغيًا:

الالتفات من الخطاب في قوله – تعالى– : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ إلى الغيبة في قوله – تعالى– : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم ﴾.

نحويًا:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الخطاب في قوله – تعالى– : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ مع ما في الخطاب من مواجهة وطمأنينة نفس، إلى الغيبة في قوله – تعالى– : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم ﴾ لما فيها من التّحقّق، ولو جاء الكلام متطابقاً متّسقاً على الأصل لقال: يطاف عليكم.

(1) صفوة التّفاسير 15/ 18.

42. **قال – تعالى–:**

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الجاثية45 :35].

بلاغيًّا:

الالتفات من الخطاب في ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ﴾و﴿ وَغَرَّتْكُمُ ﴾ إلى الغيبة في﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ﴾ «عندما انتهى إلى هذه المثابة الَّتي صاروا إليها، فهم جديرون بإسقاطهم من رتبة الخطاب احتقاراً لهم واستهانة بهم»[1].

نحويًّا:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة؛ فخرج من الخطاب في ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ﴾ و﴿ وَغَرَّتْكُمُ ﴾ مع ما فيه من مواجهة وتقريع واحتقار إلى الغيبة في ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ لما فيها من التَّحقُّق بما سيصيبهم ويحلُّ بهم.

43. **قال – تعالى–:**

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحُجُرات49 :7].

بلاغيًّا:

التفات من الخطاب في قوله – تعالى–: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ إلى الغيبة في ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾.

(1) إعراب القرآن وبيانه 9/ 163.

نحويًّا:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فخرج من الخطاب في ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ الّذي يفيد الخطاب و الحضور والمواجهة إلى الغيبة في ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ الّتي تفيد التّحقّق.

44. قال – تعالى– :

﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

[القمر 54 :43–44].

- قراءة العامّة: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ على الغيبة.
- وقرأ أبو حيوة، وابو البرهسم، وموسى الإسواريّ: «أَمْ تَقُولُونَ» على الخطاب(1).

بلاغيًّا:

الالتفات من الخطاب ﴿ أَكُفَّارُكُمْ ﴾ إلى الغيبة ﴿ يَقُولُونَ ﴾ وكذا ما بعده للغائب(2).

نحويًّا:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فخرج من الخطاب في ﴿ أَكُفَّارُكُمْ ﴾ بما فيها من المواجهة والتّعنيف، إلى الغيبة في ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ على التّحقّق من قولهم.

وقد جاءت قراءة أبي حيوة متّسقة متطابقة «أَمْ تَقُولُونَ» مع ﴿ أَكُفَّارُكُمْ ﴾ كأنّه قيل: أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزُّبر. أم تقولون نحن جميع منتصر.

(1) البحر 8/ 183، والدرّ 10/ 144، ومعجم القراءات القرآنيّة 7/ 40.

(2) البحر 8/ 182.

45. **قال– تعالى–:**

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الواقعة 56: 51–56].

بلاغيًا

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴾، ثم قال بعد ذلك ملتفتاً عن خطابهم ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ وذلك للتّحقير من شأنهم، والأصل: (هَذَا نُزُلُكُمْ).

نحويًا

عدل الكتاب العزيز من الخطاب الّذي يفيد المواجهة في ﴿ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴾ واجههم بما هو فيهم من ضلال وتكذيب، إلى الغيبة الّتي تفيد التَّحقُّق في ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ من مصير محقّق لا مراء فيه ولا جدال.

46. **قال – تعالى– :**

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحديد57 :12].

بلاغيًا:

الالتفات من ضمير الخطاب في﴿ بُشْرَاكُمُ ﴾ إلى ضمير الغيبة في ﴿ خَالِدِينَ ﴾ .

نحويًا:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فخرج من الخطاب في ﴿ بُشْرَاكُمُ ﴾ بما فيه من المباشرة والمواجهة والبشرى المفرحة إلى الغيبة في ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ مع ما فيها من التَّحقُّق ولأنّها من الله – تعالى– وقال أبو حيّان: «ولو جرى على الخطاب لكان التّركيب خالداً أنتم فيها»[1].

(1) البحر المحيط 8/ 221، والنّهر المادّ 8/ 221 .

47. قال – تعالى – :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

[الحشر 59: 18 – 19].

– قرأ الجمهور ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ ﴾ » بتاء الخطاب.

– وقرأ أبو حيوة «وَلاَ يَكُونُوا» بياء الغيبة.

بلاغيًا:

في قراءة أبي حيوة «وَلاَ يَكُونُوا» التفات من ﴿ ٱتَّقُوا۟ ﴾ ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ﴾ ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ [الآية:18] إلى الغيبة في «وَلاَ يَكُونُوا» [الآية:19].

نحويًا:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة – في قراءة أبي حيوة– فخرج من الخطاب ﴿ ٱتَّقُوا۟ ﴾ ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ﴾ ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ بما فيها من المواجهة والإرشاد والتَّعليم إلى الغيبة في «وَلَا يَكُونُوا» لما في الغيبة من تحقُّق من أنَّ مَنْ نسي الله – سبحانه– فمصيره إلى ما يصير إليه الفاسقون.

الفصل الرَّابع
من الخطاب إلى التَّكلُّم

لا يوجد في الكتاب الكريم شيء منه.

ومثَّل له بعضهم بقوله – تعالى– : ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ [طه20 :72– 73].

يقول السُّيُوطِيّ: «ومثاله من الخطاب إلى التَّكلُّم لم يقع في القرآن، ومثَّل له بعضهم بقوله: ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ ثم قال: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا ﴾ ، وهذا المثال لا يصحّ؛ لأنَّ شرط الالتفات أن يكون المراد به واحداً»(1).

(1) معترك الأقران 1/ 379 .

الفصل الخامس
من التَّكلُّم إلى الغيبة

1- قال – تعالى–:

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٤٨ ﴾ [البقرة 2: 47–48]

- قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ويعقوب، وابن محيصن، واليزيديّ، وابن مجاهد: "وَلا تُقْبَلُ" بالتَّاء من فوق، فالتَّأنيث للفظ، وهو القياس والأكثر.
- وقرأ سفيان، وقتادة[1] "وَلا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً" بفتح الياء ونصب شفاعة على البناء للفاعل[2] (المبني للمعلوم).
- وقرأ الباقون ﴿ وَلَا يُقۡبَلُ ﴾ بالياء من تحت، لأنّه مؤنث مجازي، وحسّنه الفصل بين الفعل ومرفوعه.

بلاغيّاً:

في قراءة سفيان وقتادة التفات فقد خرجا من ضمير المتكلِّم في ﴿ نِعۡمَتِيَ ﴾ – ﴿ أَنۡعَمۡتُ ﴾ – ﴿ وَأَنِّي ﴾ في الآية الكريمة [47] إلى ضمير الغائب "ولا يَقْبَلُ".

نحويّاً:

في قراءة سفيان، وقتادة "ولا يَقْبَلُ مِنْهَا شفاعةً" بفتح الياء، ونصب شفاعة على البناء للفاعل "المبني للمعلوم" والفاعل هو الله – تعالى– عدول عن المطابقة ففيها خروج

(1) البحر المحيط 1/ 190، والكشّاف 1/ 165، ومعجم القراءات القرآنيّة 1/ 54.

(2) البحر المحيط 1/ 190.

من ضمير المتكلِّم في: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ الَّـذي يفيـد الحـضور "ويسمى ضمير المتكلِّم والمخاطب – ضمير حضور– لأنَّ صاحبه لا بدَّ أن يكـون حـاضراً وقت النُّطق به"[1] والمخاطبة والمواجهة إلى ضمير الغائب الَّذي يفيد التَّحقُّق والتَّأكيد في قوله –تعالى–: "ولا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ". ولو جاء الكلام متطابقاً متَّسقاً لقال: "وَلَا أَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً".

قال أبو حيّان:

"وبناؤه للمفعول أبلغ لأنَّه في اللَّفظ أعمّ، وإن كان يعلم أنَّ الَّذي لا يـقبل هـو الله – تعالى– والضَّمير في منها عائد على نفس المتأخرة لأنَّها أقرب مذكور. أي: لا يقبل مـن النَّفس المستشفعة شفاعة شافع.

ويجوز أن يعود الضَّمير على نفس الأولى. أي: ولا يقبل من النَّفس الَّتـي تجـزي عـن نفس شيئاً شفاعة هي بصدد أن لو شفعت لم يقبل منها، وقد يظهر ترجيح عودهـا إلى النَّفس الأولى؛ لأنَّها هي المحدَّث عنها في قولـه: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾ ، والـنَّفس الثَّانيـة هـي مذكورة على سبيل الفضلة لا العمدة، وظاهر قولـه: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ نفـي القبـول ووجود الشَّفاعة". [2]

وقال الزَّمخشريُّ:

"وقيل: كانت اليهود تزعم أنَّ آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا، فإن قلت: هـل فيه دليل على أنَّ الشَّفاعة لا تقبل للعصاة؟ قلت: نعم، لأنَّه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقّاً أخلَّت به من فعل أو ترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنَّها لا تقبل للعصاة. فـإن

(1) النّحو الوافي 1/ 218.

(2) البحر المحيط 1/ 190–191

قلت: الضَّمير في ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا ﴾ إلى أي النَّفسين يرجع؟ قلت: إلى الثَّانية العاصية غير المجزي عنها، وهي الَّتي لا يؤخذ منها عدل (أي فدية) ومعنى ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ إن جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها. ويجوز أن يرجع إلى النَّفس الأولى، على أنَّه لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها؛ كما لا تجزي عنها شيئاً، ولو أعطت عدلاً عنها لم يؤخذ منها."(1)

ويعلق الإمام ناصر الدِّين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندريّ المالكيّ على كلام الزَّمخشريّ فيقول: قال محمود – رحمه الله– : "هل فيه دليل على أنَّ الشَّفاعة لا تقبل للعصاة...الخ"؟ قال أحمد – رحمه الله– : أمّا من جحد الشَّفاعة فهو جدير أن لا ينالها. وأمّا من آمن بها وصدَّقها وهم أهل السُّنة والجماعة، فأولئك يرجون رحمة الله. ومعتقدهم أنَّها تنال العصاة من المؤمنين، وإنَّها ادُّخرت لهم. وليس في الآية دليل لمنكريها لأنَّ قوله ﴿ يَوْمًا ﴾ أخرجه منكّراً، ولا شكَّ أنَّ في القيامة مواطن، ويومها معدود بخمسين ألف سنة، فبعض أوقاتها ليس زماناً للشَّفاعة، وبعضها هو الوقت الموعود وفيه المقام المحمود لسيِّد البشر – عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام - وقد وردت آي كثيرة ترشد إلى تعدُّد أيامها واختلاف أوقاتها. منها قوله –تعالى– ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون23: 101] مع قوله: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الصَّافات37: 27] فيتعيَّن حمل الآيتين على يومين مختلفين ووقتين متغايرين: أحدهما محلٌّ للتَّساؤل، والآخر ليس محلّاً له، وكذلك الشَّفاعة، وأدلة ثبوتها لا تحصى كثرة، رزقنا الله الشَّفاعة وحشرنا في زمرة أهل السُّنة والجماعة".(2)

(1) الكشَّاف 1/ 165

(2) كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشَّاف من الاعتزال، مطبوع على هامش الكشَّاف 1/ 165.

2- قال - تعالى- :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [البقرة 2: 54]

بلاغياً:

قال الزَّمخشريّ: "فإن قلت: ما الفرق بين الفاءات؟ قلت: الأولى: للتَّسبيب لا غير، لأنَّ الظُّلم سبب التَّوبة، والثَّانية: للتَّعقيب؛ لأنَّ المعنى: فاعزموا على التَّوبة فاقتلوا أنفسكم، من قِبَل أن الله - تعالى- جعل توبتهم قتل أنفسهم. ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم، فيكون المعنى: فتوبوا، فأتبعوا التَّوبة القتل تتمَّة لتوبتكم- والثَّالثة: متعلقة بمحذوف، ولا يخلو إمَّا أن ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف، كأنَّه قال: فإن فعلتم فقد تاب عليكم، وإمَّا أن يكون خطاباً من الله - تعالى- لهم على طريقة الالتفات. فيكون التَّقدير: ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم"(1)

نحوياً:

1. ترخَّص الكتاب العزيز في التَّضام، فحذف فعل الشَّرط، فكأنَّه قال: فإن فعلتم فقد تاب عليكم.
2. عدل عن المطابقة فانتقل من الخطاب من الله - تعالى- والخطاب يفيد الحضور والمواجهة وإظهار المنّ من الله - تعالى- إلى الغيبة الَّتي تفيد التَّحقُّق والبشرى بالتَّوبة، فكأنَّه قال: فإن فعلتم ما أمركم به موسى - وقد فعلتم- فتاب عليكم بارئكم.

(1) الكشَّاف 1/ 168-169، والدُّر المصون 1/ 367.

3- قال – تعالى-:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة 2: 58]

1- قرأ ابن عامر، ومجاهد، والمفضَّل، وجبلة، والزّماريّ، وشريح: تُغْفَرْ. مبنياً للمفعول بالتّاء.

2- وقرأ نافع، وأبو جعفر، والحسن، وقتادة والجحدريّ، وأبو حيوة: يُغْفَرْ. مبنياً للمفعول بالياء.

3- وقرأ نافع، وأبو بكر، والجعفيّ، والأعمش، والحسن: يَغْفِرْ، مبنياً للفاعل[1] بالياء.

4- وقرأ الباقون: ﴿ نَّغْفِرْ ﴾. مبنياً للفاعل بالنُّون.

بلاغياً:

الالتفات في قراءة "يَغْفِرْ" بالياء، مع ما قبله من قوله – تعالى- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ ومع ما بعده في قوله – تعالى-: ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

نحوياً:

1- المطابقة واضحة في قراءة ﴿ نَّغْفِرْ ﴾ بالنُّون، مع ما قبله من قوله – تعالى-: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ ومع ما بعده في قوله – تعالى-: ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

2- وقراءة التّاء، "تُغْفَرْ"، لتأنيث الخطايا، والخطايا: نائب فاعل.

3- وقراءة الياء، "يُغْفَرْ"، لتأنيث الخطايا؛ لأنَّ تأنيثها غير حقيقي، وللفصل أيضاً بـ ﴿ لَكُمْ ﴾.

(1) معجم القراءات القرآنيّة 1/ 59-60.

4- وعدل الكتاب العزيز في قراءة "يَغْفِرْ" مبنياً للفاعل، وهو الله – تعالى– عن المطابقة حيث خرج من ضمير المتكلِّم المعظَّم نفسه في ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ مع ما يفيد من العظمة والحضور والمواجهة، إلى ضمير الغائب مع ما يفيد من التَّحقُّق، وضمير "يَغْفِرْ" هو الله – تعالى–.

4- قال – تعالى–:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة 2: 83]

1- قرأ ابن كثير وحمزة والكسائيّ وابن محيصن والحسن والأعمش "لاَ يَعْبُدُونَ" بالغيب.

2- وقرأ الباقون ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بالخطاب.

3- وقرأ أُبَيٌّ وابن مسعود "لاَتَعْبُدُوا".

4- وقرأ أُبَيٌّ وابن مسعود "لا يَعْبُدُوا".

5- وقرأ ابن مسعود "أَنْ لاَ تَعْبُدُوا"(1)

بلاغيّاً:

1- الالتفات في قراءة ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، إذ خرج من ضمير المتكلِّم في ﴿أَخَذْنَا﴾ إلى الغيبة في ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لأنَّ لفظه غيبة "وحكمته الإقبال عليهم بالخطاب ليكون أدعى للقبول، وأقرب للامتثال إذ فيه الإقبال من الله على المخاطب بالخطاب".(2)

(1) معجم القراءات القرآنيّة 1/ 78-79

(2) البحر 1/ 283، والنّهر 1/ 282.

2- وفي ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ التفات من التكلّم إلى الغيبة، وفي هذا الالتفات من الدّلالة على عظم هذا الاسم والتّفرد به ما ليس في المضمر، وايضاً الأسماء الواقعة ظاهرة تناسب أن يُجاورَ الظّاهرُ الظّاهرَ".[1]

نحوياً:

1- عدل عن المطابقة:

أ) مَنْ قرأ بالتّاء ﴿تَعْبُدُونَ﴾ فيه عدول؛ إذ خرج من التّكلُّم في ﴿أَخَذْنَا﴾ إلى الغيبة في ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لأنَّ الأسماء الظّاهرة حكمها حكم الغيبة"[2]. وفي ضمير التّكلُّم من الخطاب والمواجهة ما هو أدعى "لقبول المخاطب الأمر والنّهي الواردين عليه"[3]. وفي ضمير الغيبة ما فيه من التّحقّق، وفي الاسم الظّاهر ما فيه من تخصيص وتعريف.

"ومن قرأ بالتّاء بالخطاب حكاية لما خوطبوا به، وليناسب ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾"[4].

ب) ومن قرأ بالياء "يَعْبُدُونَ" فقد راعى المطابقة، لأنَّ ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لفظه لفظ غيبة.

2- وعدل عن المطابقة أيضاً

أ. إذ خرج من التّكلُّم في ﴿أَخَذْنَا﴾ إلى الغيبة في ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ إذ لفظ الجلالة – الله– لفظ غيبة.

ب. ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ استثناء مفرَّغ لأنَّ ما قبله مفتقر إليه"[5].

---

(1) الدُّر المصون 1/ 461.

(2) الدُّر المصون 1/ 458.

(3) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(4) إتحاف فضلاء البشر / 140.

(5) الدُّر المصون 1/ 461.

جـ- لو جاء الكلام متطابقاً لقيل: "لا تعبدون إلا إيانا" لقوله- تعالى- ﴿ أَخَذْنَا ﴾.
والاسم الظَّاهر أعرف المعارف، وفي هذا العدول "من الدَّلالة على عظم هذا الاسم والتَّفرُّد به ما ليس في المضمر، وأيضاً الأسماء المواقعة بعده ظاهرة فناسب أن يُجاوِرَ الظَّاهِرُ الظَّاهِرَ"(1).

قال السَّمين الحلبيُّ:

"وجعل أبو البقاء قراءة الخطاب في ﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ على إضمار القول. قال: "يقرأ بالتَّاء على تقدير: قلنا لهم: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ (2) وكونه التفاتاً أحسن.

وفي هذه الجملة المنفيَّة ﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ من الإعراب ثمانية أوجه:

- **أظهرها**: أنَّها مفسِّرة لأخذ الميثاق، وذلك أنَّه لمَّا ذكر - تعالى- أنَّه أخذ ميثاق بني إسرائيل كان في ذلك إبهام للميثاق ما هو؟ فأتى بهذه الجملة مفسِّرةً له، ولا محل لها حينئذٍ من الإعراب.
- **الثَّاني**: أنَّها في محل نصب على الحال من ﴿ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ وفيها حينئذٍ وجهان، **أحدهما**: أنَّها حال مقدرة بمعنى: أخذنا ميثاقهم مقدِّرين التَّوحيد أبداً ما عاشوا. **والثَّاني**: أنَّها حال مقارِنَةٌ بمعنى: أخذنا ميثاقهم ملتزمين الإقامة على التَّوحيد، قاله أبو البقاء(3). وسبقه إلى ذلك قطرب والمبرّد.

(1) الدُّر المصون 1/ 461.
(2) التّبيان 1/ 83-84
(3) التّبيان 1/ 83-84

- الثَّالث: أن يكون جواباً لقسم محذوف دلَّ عليه لفظ الميثاق، أي: "استحلفناهم" أو، قلنا لهم: بالله لا تعبدون، ونسب هذا الوجه لسيبويه[1] ووافقه الكسائيّ والفرّاء[2] والمبرّد.
- الرَّابع: أن يكون على تقدير حَذْف حرف الجر، وحَذْفِ أنْ، والتَّقدير: أخذنا ميثاقهم على أن لا تعبدوا، أو: بأن لا تعبدوا، فحُذف حرف الجرّ، لأنَّ حذفه مطَّرِدٌ مع أنَّ وأنْ، ثم حُذِفت "أنْ" النَّاصبة فارتفع الفعل بعدها، ونظيره قول طرفة:

ألا أيُّهذا الزَّاجِري أحضرُ الوَغَى وَأَنْ أشهدَ اللَّذاتِ هلْ أنتَ مُخلِدي

وحكوا عن العرب: "مُرْهُ يَحْفِرَها" أي: بأنْ يَحْفِرَهَا، والتَّقدير: عَنْ أَنْ أَحْضُرَ، وبَأَنْ يَحْفِرَها. وأيد الزَّمخشريُّ[3] هذا الوجه الرَّابع بقراءة عبد الله: "لاَ تَعْبُدُوا" على النَّهي.[4]
- الخامس: أن يكون في محل نصب بالقول المحذوف، وذلك القول حال تقديره: قائلين لهم لا تعبدون إلا الله، ويكون خبراً في معنى النَّهي، ويؤيده قراءة أُبَيّ المتقدِّمة، وبهذا يتَّضح عطف ﴿وَقُولُواْ﴾ عليه، وبه قال الفرَّاء.[5]
- السَّادس: أنَّ "أنْ" النَّاصبة مضمرة كما تقدم، ولكنَّها هي وما في حيِّزها في محل نصب على أنَّها بدل من ﴿مِيثَٰقَ﴾ وهذا قريب من القول الأوّل من حيث أنَّ هذه الجملة مفسِّرَة للميثاق.

(1) الكتاب 3/ 106

(2) معاني القرآن 1/ 54

(3) الكشَّاف 1/ 186

(4) الكشاب 1/ 186.

(5) معاني القرآن 1/ 126

- السّابع: أن يكون منصوباً بقول محذوف، وذلك القول ليس حالاً، بل مجرد إخبار، والتّقدير: وقلنا لهم ذلك، ويكون خبراً في معنى النّهي. قال الزّمخشريّ[1] كما تقول: تذهَبُ إلى فلانٍ تقولُ له كذا، تريدُ الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنّهي، لأنّه كأنّه سُورع إلى الامتثال والانتهاء فَهُوَ يخْبِر عنه، وتنصُره قراءة أُبَيّ وعبد الله: "لاَ تَعْبُدُوا" ولا بدَّ من إرادة القول، انتهى، وهو كلامٌ حسنٌ جدّاً.
- الثّامن: أن يكون التّقدير: "أنْ لا تعبدون"، وهي "أنْ" المفسِّرة لأنَّ في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ إبهاماً كما تقدَّم، وفيه معنى القول، ثم حذفت "أنْ" المفسِّرة، ذكره الزّمخشريّ[2]. [3]"

5- قال – تعالى-:

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [البقرة 2: 130-131].

بلاغياً

الالتفات من التّكلّم في ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ ﴾ إلى الغيبة في ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ ﴾ إذ السّياق" إذْ قُلْنَا".

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن التّكلُّم في ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ ﴾ الّذي يفيد الحضور والمواجهة بـ"نا" العظمة؛ إلى الغيبة التي تُفيد التّحقّق في ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ ﴾ مع الظّاهر، والظّاهر عَلَم، والعَلَمُ أسمى المعارف. وأعرفها.

(1) الكشّاف 1/ 186

(2) الكشّاف 1/ 186

(3) الدُّر المصون 1/ 458-461

6- قال – تعالى– :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [البقرة 2: 159]

بلاغياً:

الالتفات من التّكلُّم في ﴿ أَنزَلْنَا ﴾ و﴿ بَيَّنَّٰهُ ﴾ إلى الغيبة في ﴿ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، للدّلالة على إظهار السّخط عليهم، وليكون الكلام أوغل في إنزال اللّعن عليهم وإلحاق الطّرد بهم."(1)

نحوياً:

المطابقة تقتضي "نَلْعَنُهُم" لقوله: ﴿ أَنزَلْنَا ﴾ و ﴿ بَيَّنَّٰهُ ﴾ ولكنّه عدل عن المطابقة فخرج من المتكلّم المعظّم نفسه في ﴿ أَنزَلْنَا ﴾ و﴿ بَيَّنَّٰهُ ﴾ ، مما يفيده التّكلُّم من المواجهة والحضور إلى الغيبة في ﴿ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ الّتي تفيد التّحقّق، وفي إظهار الإسم الشّريف ﴿ ٱللَّهُ ﴾ ما ليس في الضّمير. لأنَّ الأعلام أشهر المعارف.

وفي إظهاره (الاسم الجليل) ﴿ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ القاء الرّوعة والمهابة في القلب.

7- قال – تعالى– :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة 2: 172]

بلاغياً:

الالتفات من ضمير المتكلّم إلى الغيبة لعظم الاهتمام به سبحانه.

(1) إعراب القرآن وبيانه 1/ 220-221

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فلو جاء الكلام متطابقاً لقيل: واشكروا لنا، فانتقل من التَّكلُّم في ﴿ رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ مع في الخطاب من المواجهة والمكاشفة وإظهار فضل المتكلِّم على المخاطب، ومع ما في "نا" العظمة من دلالة على التَّبجيل والاحترام والتَّفضل إلى الغيبة ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ ﴾ مع ما فيها من وجوب التَّحقُّق، وما في إبراز لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ من الفخامة والإجلال، وما في الأعلام من الشُّهرة، لأنَّ الأَعلام أشهر المعارف، وفيها ما ليس في الضَّمير.

8- قال – تعالى –:

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾[آل عمران 3: 11] .

بلاغياً

التفات من التَّكلُّم في ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ إلى الغيبة في ﴿ فَأَخَذَهُمُ ﴾.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن التَّكلُّم في ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ الّذي تفيد المواجهة وبـ "نا" العظمة الّتي تفيد التّعظيم إلى الغيبة الّتي تفيد التَّحقُّق في ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ بالاسم الظَّاهر. ولو جاء متَّسقا متطابقاً لقيل : فَأَخَذْنَاهُم.

9- قال – تعالى –:

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن

﴿ تَنصِرِينَ ۝٥٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٧ ﴾

[آل عمران 3: 55– 57]

- قرأ حفص عن عاصم، ورويس ﴿ فَيُوَفِّيهِمْ ﴾ بالياء.
- وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائيّ، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف "فَنُوَفِّيهم" بالنُّون. (1)

بلاغيّاً:

الالتفات على قراءة حفص ورويس، ففيه الخروج من ضمير المتكلِّم إلى ضمير الغيبة للتَّنوع في الفصاحة. (2)

نحويّاً:

- قراءة حفص عن عاصم و رويس فيها عدول، إذ خرج من التَّكلُّم ﴿ إِنِّي ﴾ ﴿ إِلَيَّ ﴾ ﴿ وَجَاعِلُ ﴾ ﴿ إِلَيَّ ﴾ ﴿ فَأَحْكُمُ ﴾ ﴿ فَأُعَذِّبُهُمْ ﴾ إلى الغيبة في ﴿ فَيُوَفِّيهِمْ ﴾ لما في التَّكلُّم من المواجهة والمصارحة وإظهار الفضل إلى الغيبة لما فيها من التَّحقُّق.
- قراءة الباقين جاءت متطابقة في ضمائر التَّكلُّم السَّابقة إلى ضمير التَّكلُّم المعظِّم نفسه لما فيه من الفخامة والعظمة والقدرة .
- يقول السَّمين " ولكن جاء هناك بالمتكلِّم وحده، وهنا بالمتكلِّم وحده المعظِّم نفسه اعتناء بالمؤمنين ورفعاً من شأنهم لمَّا كانوا معظَّمين عنده. (3)

وأقول: جاء هناك بضمير التَّكلُّم وحده، ليدلَّ على وحدانيته في الخلق والوفاة والتَّطهير والرُّجوع بعد الموت، والحكم الفصل، وعذاب الكافرين، وجاء هنا "فَنُوَفِّيهم" مع

(1) معجم القراءات القرآنيّة 2/ 37-38
(2) البحر 2/ 475
(3) الدُّر 3/ 216.

المؤمنين العاملين الصالحات، الّذين يعظّمونه ويوقّرونه ويؤمنون به ويعملون بها أمر ونهى، جاء بنون العظمة للدّلالة على عظمته ومخاطبتهم بالتّعظيم لتُناسِب الحالُ الحالَ.

10- قال- تعالى:-

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) ﴾ [آل عمران 3: 140].

بلاغيّاً

﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾ التفات لمجيئه بعد" ﴿ نُدَاوِلُهَا ﴾ فهو التفات من التّكلُّم إلى الغيبة. "والسِّر في هذا الالتفات تعظيم شأن الجهاد". (1)

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن التّكلُّم الّذي يفيد الحضور " لأنّ صاحبه لا بُدَّ أن يكون حاضراً وقت النُّطق به"(2) في ﴿ نُدَاوِلُهَا ﴾ إلى الغيبة الّتي تفيد التّحقُّق في ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾ وبإسناده إلى الاسم الظّاهر – عزّ وجلّ شأنه – الله.

وفائدته: بيان عظمة الله – جلّ شأنه– في تغيير أحوال النّاس، وأن بيده وحده أمر ذلك.

---

(1) صفوة التّفاسير 2/ 55.

(2) النّحو الوافي1/ 218.

11ـ قال –تعالى–:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النِّساء 4: 64]

بلاغيّاً:

"في قوله – تعالى– ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ التفات، وهو الخروج من ضمير المتكلِّم في ﴿ أَرْسَلْنَا ﴾ إلى الاسم الغائب."[1]

نحويّاً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فخرج من ضمير العظمة في ﴿ أَرْسَلْنَا ﴾ الدَّال على التَّكلُّم، وما فيه من مواجهة، إلى الغيبة في ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ وفيه عدول عن الضَّمير إلى الاسم الظَّاهر لما فيه من العظمة والفخامة، والاسم الظَّاهر حكمه حكم الغيبة، والغيبة وما فيها من التَّحقُّق.[2]

12– قال –تعالى–:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف 12: 56]

– قرأ ابن كثير، ونافع، والحسن، والشنبوذيّ، وأبو جعفر، وشيبة: "حَيْثُ نَشَاءُ" بالنُّون.
– وقرأ الباقون: ﴿ حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ بالياء.

(1) النَّهر المادّ 3/ 282-283

(2) راجع رقم (12) من الخطاب إلى الغيبة

بلاغياً:

في قراءة ﴿ حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ بالياء التفات، ففيه خروج من التَّكلُّم بـ "نا" العظمة في ﴿ مَكَّنَّا ﴾ إلى الغيبة في ﴿ يَشَآءُ ﴾ إن كان الضَّمير عائداً على الله. أي: حيث يشاء الله. فيكون التفاتاً."[1]

نحوياً:

قراءة الجمهور بالياء ﴿ حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ .

1- الظَّاهر أنَّ قراءة الياء يكون فاعل يشاء ضميراً يعود على يوسف ومشيئته معذوقة[2] بمشيئة الله إذ هو نبيُّه ورسوله.

2- وإمَّا أن يكون الضَّمير عائداً على الله، أي: حيث يشاء الله.[3]

في قراءة الياء ﴿ حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ بعود الضَّمير على الله عدول، إذا خرج من التَّكلُّم في ﴿ مَكَّنَّا ﴾ بنون العظمة ومواجهة المخاطبين وإظهار القدرة لله –تعالى– إلى الغيبة في ﴿ حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ لما فيها (الغيبة) من التَّحقُّق حيث لا يتمُّ أمر إلا بمشيئة الله – تعالى–.

13- قال – تعالى–:

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النَّحل 16: 51–52]

بلاغياً:

1- الالتفات من الغيبة في قوله –تعالى–: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ ﴾ إلى التَّكلُّم في قوله –تعالى–: ﴿ فَإِيَّٰيَ ﴾.[4]

---

(1) البحر 5/ 320

(2) مختصَّة.

(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

(4) راجع الالتفات من الغيبة إلى التَّكلُّم؛ رقم (16)

2- الالتفات من التَّكلُّم في ﴿ فَإِيَّٰىَ ﴾ إلى ضمير الغيبة في ﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

﴿ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ الالتفات من التَّكلُّم إلى الغيبية، لتربية المهابة والرهبة في القلوب مع إفادة القصر. أي: لا تخافوا غيري.[1]

نحوياً

في العدول من التَّكلم في ﴿ فَإِيَّٰىَ ﴾ الَّذي يفيد الحضور والمواجهة، وما فيها من رهبة، إلى الغيبة في: ﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وما فيها من تحقُّق لا مِراء فيه ولا جدال.

"قوله: ﴿ فَإِيَّٰىَ ﴾ منصوب بفعل مضمر مقدر بعده، يُفسِّره هذا الظَّاهر، أي: إيَّاي ارهبوا فارهبون، وقدَّر ابن عطيَّة: ارهبوا إيَّاي فارهبون. قال الشَّيخ[2]: وهو ذهول عن القاعدة النَّحويَّة: وهي أنَّ المفعول إذا كان ضميراً منفصلاً، والفعل متعدٍّ لواحد وجب تأخير الفعل نحو: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ"[3] ولا يجوز أن يتقدم إلا في ضرورة كقوله:

"إِلَيْكَ حَتَّى بَلَغَتْ إِيَّاكا"

وقد يجاب عن ابن عطيَّة: بأنَّه لا يقبح في الأمور التَّقديريَّة ما يقبح في الأمور اللَّفظيَّة."[4]

(1) صفوة التَّفاسير 7/ 33.

(2) أبو حيَّان صاحب البحر المحيط

(3) الفاتحة 1: 5

(4) الدُّر المصون 4/ 236

14ـ **قال– تعالى–:**

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [النّحل 16: 101].

بلاغيّاً

﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ التفات من المتكلِّم إلى الغائب، وذكر الاسم الجليل لتربية المهابة في النفس" [1].

نحويّاً

عدل الكتاب العزيز عن التّكلُّم الّذي يفيد المواجهة – لأنّ صاحبه لا بُدّ أن يكون حاضراً[2] في ﴿ بَدَّلْنَآ ﴾ وبِـ "نا" العظمة، إلى الغيبة الّتي تفيد التّحقُّق في ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾.

وفائدته: إعلام المخاطبين أنَّ التّبديل هو من علم الله – العليّ القدير – وحده. حتّى يتربّى الفرد على التّقوى في أقواله وأفعاله.

15– **قال – تعالى–:**

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء 17: 1]

- قرأ الحسن "لِيُرِيَهُ" بالياء.
- وقرأ العامّة بنون العظمة ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ .
- وفي قراءة للحسن بفتح النُّون "لَنَريه" ولعلَّه يعني فتح النُّون والرَّاء.[3]

---

(1) صفوة التَّفاسير 7/ 44.

(2) النحو الوافي 1/ 218.

(3) مختصر شواذّ القرآن 78، ومعجم القراءات القرآنيّة 3/ 305.

بلاغيّاً:

الالتفات من المتكلِّم في ﴿ بَٰرَكْنَا ﴾ و﴿ لِنُرِيَهُۥ ﴾ إلى الغيبة ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ﴾ إن أعدنا الضَّمير على الله –تعالى– وهو الصَّحيح.

وفي قراءة الحسن "لِيُرِيَهُ" بالياء من تحت، أي: الله –تعالى–.

أ- الالتفات من التَّكلُّم في ﴿ بَٰرَكْنَا ﴾ إلى الغيبة في "لِيُرِيَهُ".

ب- الالتفات من التَّكلُّم "في ﴿ ءَايَٰتِنَآ ﴾ إلى الغيبة في قوله ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ﴾.

نحويّاً:

عدل عن المطابقة فخرج من ضمير المتكلِّم المعظِّم نفسه في ﴿ بَٰرَكْنَا ﴾ و﴿ لِنُرِيَهُۥ ﴾ مع ما فيه من مواجهة وإبراز حقيقة، إلى الغائب في ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ﴾ مع ما فيه من تحقُّق. ولو جاء متطابقاً لقيل "إنَّني أنا".

وفي قراءة الحسن "لِيُرِيَه" بالياء من تحت. أي: الله – تعالى–.

أ- عدل عن المطابقة فخرج الكتاب العزيز من التَّكلُّم في ﴿ بَٰرَكْنَا ﴾ إلى الغيبة في "لِيُرِيَهُ".

ب- عدل عن المطابقة فخرج الكتاب العزيز من التَّكلُّم في ﴿ ءَايَٰتِنَآ ﴾ إلى الغيبة في قوله ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ﴾.[1]

16- قال– تعالى:–

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأنبياء 21: 30–33].

(1) راجع من الغيبة إلى التَّكلُّم رقم (19).

بلاغياً

"التفات من المتكلّم إلى الغائب ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾.

بعد قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ وذلك لتأكيد الاعتناء بالنّعم الجليلة الّتي أنعم بها على عباده". [1].

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن التّكلُّم وبـ "نا" العظمة في : ﴿ فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾: إلى الغيبة الّتي تفيد التّحقُّق في ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ .

وفائدته: مواجهتهم بنعم الله عليهم، وتذكيرهم بها وهم حاضرون.

17- **قال – تعالى–:**

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

[الأنبياء 21: 80]

- قرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة، والكسائيّ، وأبو عمرو، وخلف، ويعقوب "لِيُحْصِنَكُم" بالياء من تحت.
- وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وشعبة، ورويس، وأبو حنيفة، والجعفيّ، ومسعود بن صالح، وهارون، ويونس، والمنقريّ، وشيبة، وابن أبي اسحاق، والمفضّل: "لِنُحْصِنَكُم" بالنّون.
- وقرأ الباقون: ﴿ لِتُحْصِنَكُم ﴾ بتاء.
- وقرأ أبو عمرو، والفقيميّ، وشعبة، وابن أبي حمّاد "لِيُحَصِّنَكُم"
- وقرأ ابن وثّاب، والأعمش "لِتُحَصِّنَكُم"

(1) صفوة التّفاسير 9/ 14.

- وقرئ "لِنُحَصِّنَكُم"[1]

بلاغياً:

الالتفات في قراءة "لِيُحْصِنَكُم" بياء الغيبة، إذ خرج من ضمير المتكلِّم في ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ ﴾ إلى ضمير الغيبة في "لِيُحْصنكم"

نحوياً:

- في قراءة: "لِنُحْصِنَكُم" النُّون لله -عزَّ وجلَّ-.
- وفي قراءة: "لِتُحْصِنكُم" التاء، للصَّنعة أو للَّبوس على تأويل الدِّرع.
- وفي قراءة: "لِيُحْصِنَكُم" الياء لداود أو للَّبوس.[2] أو الله – تعالى-.

في قراءة "لِيُحْصِنَكُم" بالياء من تحت، الفاعل الله -تعالى- وفيه عدول، إذ خرج من المتكلِّم في قوله ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ ﴾ وما فيه من مواجهة ومِنَّة إلى الغيبة في "لِيُحْصِنَكُم" وما فيه من التَّحقُّق في علم الله – سبحانه وتعالى- "أو داود أو التَّعليم أو اللَّبوس".[3]

وفي قراءة التَّاء من فوق ﴿ لِتُحْصِنَكُم ﴾ الفاعل الصَّنعة أو الدِّرع وهي مؤنثة، أو اللَّبوس، لأنَّها يراد بها ما يُلْبَس، وهو الدِّرع.

وفي قراءة النُّون "لِنُحْصِنَكُم" مطابقة مع ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ ﴾.

وفي قراءات تشديد الصَّاد فالفاعل كسابقاتها غير المشدَّدة الصَّاد.

18- قال -تعالى-:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الفرقان 25: 17]

(1) معجم القراءات القرآنيّة 4/ 144-145

(2) الكشَّاف 3/ 130، والبحر 6/ 332

(3) الدُّر المصون 8/ 187

- قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائيّ، ونافع، وعاصم، والشّنبوذيّ، وطلحة، والحسن، وشعبة، وخلف. "نَحْشُرُهُم". "فَنَقُولُ" بالنُّون جميعاً.
- وقرأ: ابن كثير، وحفص بن عاصم: ﴿ يَحْشُرُهُمْ ﴾. ﴿ فَيَقُولُ ﴾ بالياء فيهما جميعاً.
- وقرأ: نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائيُّ، وعاصم في رواية أبي بكر: "نَحْشُرُهُم" بالنُّون ﴿ فَيَقُولُ ﴾ بالياء.(1)

بلاغيًّا:

الالتفات في قراءة "نَحْشُرُهُم" بالنُّون، ﴿ فَيَقُولُ ﴾ بالياء حيث انتقل من التَّكلُّم إلى الغيبة.

نحوياً:

- قراءة "نَحْشُرُهُم" بالنُّون، "فَنَقُولُ" بالنُّون، فيها اتِّساق، ومطابقة.
- وكذلك قراءة ﴿ يَحْشُرُهُمْ ﴾ بالياء، ﴿ فَيَقُولُ ﴾ بالياء، فيها اتساق، ومطابقة.
- في قراءة "نَحْشُرُهُم" بالنُّون، ﴿ فَيَقُولُ ﴾ بالياء، عدول عن المطابقة، حيث انتقل من التَّكلُّم بنون العظمة ولفظ الجمع المتكلِّم، الَّتي تفيد العظمة والحضور، إلى الغيبة الَّتي تفيد التَّحقُّق.

19- قال- تعالى-:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ [الأحزاب 33: 7-8].

(1) أتحاف 328، والبحر 6/ 487، والتّيسير 163، والحجّة 265، وحجّة 508، والسّبعة 463، والكشّاف 3/ 84، والمُحتسب 2/ 119، والنّشر 2/ 333.

بلاغياً

"الالتفات: ﴿ لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ وغرضه التّبكيت والتّقبيح للمشركين"(1)

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن التكلُّم الّذي يفيد المواجهة والحضور بـ "نا" العظمة في: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا ﴾ ﴿ وَأَخَذْنَا ﴾ إلى الغيبة التي تفيد التّحقُّق في " ﴿ لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ و﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾.

وفائدته: "قال الصّاويّ: والحكمة في سؤال الرُّسل مع علمه – تعالى– بصدقهم هو التّقبيح على الكفّار يوم القيامة وتبكيتهم(2). وقال القرطبيّ: "وفي الآية تنبيه على أنّ الأنبياء إذا كانوا يُسألون يوم القيامة، فكيف بمن سواهم؟ وفائدة سؤالهم توبيخ الكفّار."(3)

20- قال – تعالى– :

﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزُّمر 39: 53]

بلاغياً:

الالتفات من التّكلُّم ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ﴾ إلى الغيبة ﴿ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ وإضافة الرَّحمة إلى الله – تعالى– الْتفات من ضمير التّكلُّم إلى الاسم الغائب لأنَّ في إضافتها إليه سَعة للرَّحمة إذا

(1) صفوة التفاسير 12/ 52.

(2) صفوة التّفاسير 12/ 48.

(3) القرطبيّ 6/ 5210.

أضيفت إلى الله الَّذي هو أعظم الأسماء؛ لأَنَّه العَلَمُ المحتوي على معاني جميع الأسماء ثم أعاد الاسم الأعظم وأكَّد الجملة بإنَّ مبالغة في الوعد بالغفران.(1)

"والأصل: لا تقنطوا من رحمتي" (2)

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة إذا انتقل من التَّكلُّم في ﴿ يَٰعِبَادِيَ ﴾ مع ما فيه من الإقبال عليهم والنِّداء، إلى الغيبة في قوله: ﴿ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ ﴾ لما فيها من التَّحقُّق والتَّوكيد وإبراز الاسم الظَّاهر لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهِ ﴾ والاسم "العَلَم" أخصُّ المعارف وفيه ما فيه من العظمة والرَّحمة، ما ليس في الضَّمير، لو قيل "من رحمتي" ليطابق ﴿ يَٰعِبَادِيَ ﴾ أو ﴿ مِن رَّحۡمَةِ ﴾ .

قال السَّمين الحلبيُّ:

"قوله: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ﴾ : قيل في هذه الآية من أنواع المعاني والبيان أشياء حسنة، منها:

إقباله عليهم ونداؤهم، ومنها إضافتهم إليه إضافة تشريف، ومنها: الالتفات من التَّكلُّم إلى الغيبة في قوله: ﴿ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ ﴾، ومنها "إضافة الرَّحمة لأَجَلِّ اسمائه الحسنى، ومنها: إعادة الظَّاهر بلفظه في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ ، ومنها: إبراز الجملة مِنْ قوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ مؤكَّدة بـ "إنَّ" وبالفصل، وبإعادة الصِّفتين اللَّتين تضمَّنتهما الآية السَّابقة." (3)

---

(1) البحر 7/ 434.

(2) صفوة التَّفاسير 14/ 69.

(3) الدّر المصون 9/ 433-434.

21. قال – تعالى–:

﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦ ﴾ [الدُّخان44: 1–6]

- قرأ الجماعة: ﴿ يُفۡرَقُ كُلُّ ﴾... ﴿ حَكِيمٍ ﴾.
- وقرأ الحسن، والأعرج، والأعمش، يَفْرُقُ كُلُّ
- وقرأ زيد بن علي: نَفْرُقُ كُلَّ. وَيَفرِقُ كُلَّ... أمرٌ حكيمٌ.
- وقرأ الحسن، والأعمش، وزائدة: يُفَرَّقُ كُلُّ
- وقرئ: نُفَرِّقُ كُلَّ.(1)

بلاغيّاً:

- في قراءة: يَفرِقُ كلَّ "التفات من التَّكلُّم إلى الغيبة.
- ﴿ مِّن رَّبِّكَۚ ﴾ التفات من التَّكلُّم إلى الغيبة.

نحويّاً:

- في قراءة "يَفرُقُ كلَّ" عدول عن المطابقة إذ انتقل الكتاب العزيز من التَّكلُّم بضمير العظمة – ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ – ﴿ إِنَّا كُنَّا ﴾ – ﴿ مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا ﴾ – إلى الغيبة في قوله: "يَفرِقُ كُلَّ" وما فيه من تحقُّق.
- وفي قوله: ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ عدول عن المطابقة ففيه خروج من التَّكلُّم في ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ – ﴿ إِنَّا كُنَّا ﴾ – ﴿ مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا ﴾ – وما في "نا" من العظمة، إلى الغيبة في قوله: ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ لأنَّ حكم الاسم الظَّاهر حكم

(1) معجم القراءات القرآنيّة 6/ 135.

الغائب. وما فيه من إيذان بأن الرُّبوبيَّة تقتضي الرَّحمة على المربوبين. ولـو جـاء متطابقاً مع ما قبله مما تقدم لقال: رحمة منَّا.

22- قال – تعالى–:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح 48: 1–2]

بلاغياً:

الالتفات من التَّكلُّم في قوله – تعالى–: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ إلى الغيبة في قولـه –تعـالى–: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾.

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة؛ فانتقل من التكلم في قولـه – تعـالى– ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ إلى الغيبة في قوله –تعالى–: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾. ولو جاء الكلام على أصل المطابقة والاتِّساق؛ لقال: لنغفر لك.

"ووجهه أن يفهم السَّامع أنَّ هذا نمط المتكلِّم وقصده من السَّامع، حضر أو غـاب، وأنَّه في كلامه ليس ممن يتلون ويتوجه ويبدي في الغيبة خلاف ما يبديه في الحضور."[1]

والوجه فيه أنَّ المتكلِّم عند مواجهته للسَّامع مواجهة حضور يكون ذلك أبلـغ ففـي المواجهة مباشرة وطمأنينة، وإخبار، وعند انتقاله إلى الغيبة أفاد التَّحقُّـق والإطمئنـان وراحـة النَّفس.

(1) معترك الأقران 1/ 379

23- قال -تعالى-:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾

[الكوثر 108: 1-3]

بلاغياً:

الالتفات من ضمير المتكلِّم ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ إلى الغائب في قوله: ﴿لِرَبِّكَ﴾.

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من إسناد الفعل للمتكلِّم المعظِّم نفسه ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ بصيغة الماضي تحقيقاً لوقوعه. إلى الغيبة ﴿لِرَبِّكَ﴾ ولو جاء متطابقاً لقال: فصلِّ لنا.

وانتقاله إلى قوله: ﴿لِرَبِّكَ﴾ ففي الإتيان بهذه الصِّفة دون سائر صفاته الحسنى دلالة على أنَّه هو المُصْلِحُ له المُرَبِّي لنِعَمِه فلا تلتمس كل خير إلا منه."[1]

(1) الدُّر المصون 11/ 129

الفصل السَّادس
من التَّكلُّم إلى الخطاب

1- قال – تعالى-:

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنعام 6: 71– 72]

بلاغيّاً:

الالتفات من التَّكلُّم في قوله – تعالى – : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ ﴾ إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾.

نحويّاً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من التَّكلُّم في قوله – تعالى – : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ مع ما في التَّكلُّم من الإقبال على السَّامع وحثِّه وبعثه على الاستماع وما تفيده المواجهة من إعطاء المخاطَب (السَّامع) فضل عناية وتخصيص بالمواجهة، إلى الخطاب في قوله – تعالى – : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ من مواجهة وعناية. ولو جاء الكلام متَّسقاً لقال: لنسلم وأن نقيم؛ فتأتي في الفعل الثَّاني بضمير المتكلِّم. أو: قيل لنا: أسلموا وأن أقيموا.

"فإن قلت: ما محل ﴿ وَأُمِرْنَا ﴾ قلت: النَّصب عطفاً على محل قوله: ﴿ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ على أنّهما مقولان؛ كأنَّه قيل: قل هذا القول، وقل أمرنا لنسلم. فإن قلت: ما

معني اللّام في ﴿لِنُسْلِمَ﴾ ؟ قلت: هي تعليل للأمر؛ بمعنى: أمرنا، وقيل لنا: أسلموا لأجل أن نسلم، فإن قلت: فإذا كان هذا وارداً في شأن أبي بكر الصِّدِّيق – رضي الله عنه – ، فكيف قيل للرَّسول – عليه الصَّلاة والسَّلام – ﴿قُلْ أَنَدْعُوا﴾ ؟" قلت: للاتِّحاد الَّذي كان بين رسول الله – ﷺ – والمؤمنين، خصوصاً بينه وبين الصِّدِّيق أبي بكر – رضي الله تعالى – عنه.

فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا﴾... قلت: على موضع ﴿لِنُسْلِمَ﴾ كأنَّه قيل: وأمرنا أن نسلم، وأن أقيموا. أي: للإسلام ولإقامة الصَّلاة"[1].

"والعرب تقول: أمرتك لتذهب، وأن تذهب. فأن في موضع نصب بالرد على الأمر"[2].

2– قال– تعالى:–

﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (171) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) ﴾ (الأعراف 7: 171–173).

قرأ أبو عمرو: "يَقُولُوا" في الموضعين (الموضع الأوّل الآية 172، والموضع الثّاني الآية 173) جرياً على الأسماء المتقدِّمة.

والباقون بالخطاب، ﴿تَقُولُوا﴾... والخطاب على الالتفات فيكون الضّميران لشيء واحد"[1]

(1) الكشّاف 2/ 36–37، والمحرّر 6/ 81–82، ومشكل إعراب القرآن 1/ 256، والبحر 4/ 156 و 158. والدُّر المصون 4/ 686–690.

(2) معاني الفرّاء 1/ 339.

بلاغياً

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ فيه التفات من المتكلِّم إلى المخاطب، والأصل: وَإِذْ أَخَذْنَا، والنّكتة في ذلك تعظيم شأن الرّسول بتوجيه الخطاب له.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن التّكلُّم في ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ ﴾ وفيه مواجهة، وضمير العظمة "نا" إلى المخاطب ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ ولو جاء الكلام متّسقاً متطابقاً لقيل: وإذْ أَخَذْنَا وهذا تعظيم للرّسول ﷺ بتوجيه الخطاب له، وإضافة – ربّ العزّة– لضمير المخاطبة.

3– قال – تعالى – :

﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يس36: 22].

بلاغياً:

الالتفات في قوله: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ وفائدته: "في قوله: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يس36: 21] دليل على نقص من يأخذ أجراً على شيء من أفعال الشّرع الّتي هي لازمة له كالصّلاة، ولّما أمرهم باتّباع المرسلين في قوله: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يس36: 20] أخذ يبدي الدّليل في اتّباعهم وعبادة الله فأبرزه في صورة نصحه لنفسه وهو يريد نصحهم ليتلطّف بهم ويُداريهم، ولأنّه أدخل في إمحاض النُّصح حيث لا يريد لهم إلاّ ما يريد لنفسه. ثم أتبع الكلام كذلك مخاطباً لنفسه فقال: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ [يس36: 23] قاصرةً عن كل شيء لا تنفع ولا تضر فإن أرادكم الله بضرٍّ وشفعت لكم لم تنفع شفاعتهم ولم يقدروا على

(1) الدّر المصون 5/ 541.

إنقاذكم، فبدأ أوَّلاً بانتفاء الجاه من كون شفاعتهم لا تنفع، ثـم ثانيـاً: بانتفـاء القـدرة، فعبَّر بانتفاء الإنقاذ عنه إذ هو نتيجة"[1].

نحوياً:

المطابقة تقتضي: وما لكم لا تعبدون الَّذي فطركم وإليه ترجعون" أو: وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه أرجع. وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال: ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ " [يس36: 25] ولكنَّه عدل عن المطابقة فانتقل من التَّكلُّم الَّذي يعني الحضور ومواجهة المتَحَدَّث إليه ومحاولة إقناعه وترغيبه وترهيبه؛ إلى الخطاب في قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الَّذي يعني الحضور وجهاً لوجه مع المتكلِّم المتحدِّث وما فيه من إصغاء وتنبّه وتفكير "ووجهه حثّ السَّامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلِّم عليه وأعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة"[2].

4- قال - تعالى - :

﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [الدُّخان 44 : 1-6].

بلاغياً:

يقول ابن الأثير:

"وعلى هذا الأسلوب يجري الحكـم في الرُّجـوع مـن خطـاب النَّفس إلى خطـاب الواحـد؛ كـقـوله - تعـالى - :﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ

(1) البحر المحيط 7/ 328-329، والنهر المادّ 7/ 326، والمثل السَّائر 2/ 7، والكشَّاف 1/ 12-13، وإعراب القرآن وبيانه 8/ 190.

(2) معترك الأقران 1/ 378.

مُّبَـٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [الدُّخان44: 1–6]. والفائدة ههنا في الرّجوع من خطاب النَّفس إلى خطاب الواحد تخصيص النَّبيّ – ﷺ – بالذِّكر، والإشارة بإنَّ إنزال الكتاب إنَّما هو إليه، وإنْ لم يكن ذلك صريحاً، لكنَّ مفهوم الكلام يدلُّ عليه"[1].

نحويّاً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من التّكلُّم﴿ إِنَّآ ﴾– ﴿ أَنزَلْنَـٰهُ ﴾ ﴿ إِنَّا كُنَّا ﴾ ﴿ عِندِنَآ ﴾ – ﴿ إِنَّا كُنَّا ﴾ – إلى الخطاب للرَّسول – ﷺ – ﴿ رَّبِّكَ ﴾ بما في الخطاب من مواجهة وتخصيص"[2].

(1) المثل السّائر 2/ 7.

(2) راجع من التّكلُّم إلى الغيبة رقم (21).

الفصل السّابع

في البنية

1. قال – تعالى–:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحجّ 22: 63].

قال سيبويه: " وسألته – يعني الخليل – عن ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾. فقال: هذا واجبٌ، وهو تنبيهٌ، كأنّك قلت: أتسمعُ أنّ الله أنزلَ من السَّماء ماء فكان كذا وكذا. وإنّما خالَفَ الواجبُ النَّفي – لأنّك تنقض النَّفي إذا نصبتَ وتُغيِّر المعنى، يعني أنّك تنفي الحديث وتوجب الاتيانَ، تقول: ما أتيتني قطُّ فتُحَدِّثني إلاّ بالشَّرِّ. فقد نقضتَ نفيَ الإتيان وزعمت أنّه كان"[1].

وقال الزّمخشريّ: " فإن قلت: هلّا قيل: فأصبحت؟ ولِمَ صُرِفَ إلى لفظ المضارع؟ قلتِ: لنكتةٍ فيه، وهي إفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمانٍ؛ كما تقول: أنعم عليّ فلانٌ عامَ كذا، فأَرُوح وأَغْدو شاكراً له. ولو قلت: رُحْتُ وَغَدَوتُ، لم يَقع ذلك الموقع. فإن قلت: فما له رُفِعَ ولم يُنصَبْ جواباً للاستفهام؟ قلت: لو نُصبَ لأعطى ما هو عكسَ الغرض، لأنَّ معناه إثباتُ الاخضرار، فينقلبَ بالنّصب إلى نفي الاخضرار، مثاله أن تقول لصاحبك: ألم تَرَ أنّي أنعمتُ

(1) الكتاب 3/ 40.

عليك فتشكر. إن نَصَبْتَ فأنت نافٍ لشكره، شاكٍ تفريطَه فيه، وإن رَفَعْتَهُ فأنت مُثْبِتٌ للشُّكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يَرْغَبَ إليه من اتَّسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله"[1].

2. قال– تعالى: –

﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النَّمل 27: 27].

في الآية الكريمة عدول عن التَّعبير بالفعل إلى التَّعبير بالصِّفة المشتقَّة– والصِّفات خمس هي: صفة الفاعل وصفة المفعول وصفة المبالغة والصِّفة المشبَّهة وصفة التَّفضيل.

– كقوله – تعالى –: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾[الشّعراء 26: 136] وقوله– تعالى –: ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشّعراء 26: 116] وقوله – تعالى–: ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴿٨٧﴾ ﴾[التّوبة 9: 87 – 93] والسِّر في ذلك – والله أعلم – أنَّ التَّعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصّة، وأمّا التّعبير بالصِّفة ثمّ جعل الموصوف بها واحداً من جمع، فإنَّه يفهم أمراً زائداً على وقوعه، وهو أنَّ الصِّفة المذكورة كالسِّمة لموصوف ثابته العلوق به، كأنّها لقب، وكأنّه من طائفة صارت كالنَّوع المخصوص المشهور ببعض السِّمات الرَّديئة[2]" وأراد: أَصَدَقْتَ أَمْ كَذَبْتَ" إلاّ أنّ " ﴿كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ أبلغ. لأنّه إذا كان معروفاً بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذباً لا محالة، وإذا كان كاذباً اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به"[3].

---

(1) الكشاف 3/ 170 . والدّر المصون 8/ 297–302؛ ففيه مزيد تفصيل وفوائد جمّة.

(2) كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، مطبوع في هامش الكشاف 3/ 335.

(3) الكشاف 3/ 367.

وقد أوضح صاحب الانتصاف هذا العدول عن الفعل الّذي هو: أَمْ كَذَبْتَ، وعن مجرد صفته في قوله: ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ إلى جعله واحداً من الفئة الموسومة بالكذب، فهو أبلغ في مقصود سياق الآية من التَّهديد. والله أعلم. (1)

ويقول السَّمين الحلبيّ: " وقوله: " ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أبلغ من قوله" " أَمْ كَذَبْتَ"، وإن كان هو الأصل؛ لأنّ المعنى: من الّذين اتّصفوا وانخرطوا في سِلْكِ الكاذبين."(2)

" قال علماء البيان: والمطابقة هنا بالمعنى أبلغ من اللَّفظ لأنّه عدول عن الفعل إلى الاسم فيفيد الثَّبات، فلو قال: " أَصَدَقْتَ أَمْ كَذَبْتَ" لما أدّى هذا المعنى لأنّه قد يكذب في هذا الأمر؛ ولا يكذب في غيره، وأمّا قوله: " أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ " فإنّه يفيد أنه إذا كان معروفاً بالانحراف في سلك الكاذبين كان كاذباً لا محالة، فلا يوثق به". (3)

3. قال– تعالى:–

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾[القصص 28: 7–8].

"في ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ولم يقل: سنرده ونجعله رسولاً؛ وذلك للاعتناء بالبشارة؛ لأنّ الجملة الاسميّة تفيد الثُّبوت والاستمرار". (4)

(1) كتاب الانتصاف/ مطبوع في هامش الكشاف 3/ 367.

(2) الدّر المصون 8/ 606.

(3) صفوة التّفاسير 11/ 14.

(4) المرجع نفسه ص 31.

4- قال – تعالى – :

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ [فاطر 35: 9].[1]

قوله ﴿ فَتُثِيرُ ﴾ عَطفٌ على ﴿ أَرْسَلَ ﴾ لأنّ أرسل بمعنى المستقبل فلذلك عطف عليه، وأتى بـ " ﴿ أَرْسَلَ ﴾ ماضٍ لتحقُّق وقوعه ، "فإن قلت : لم جاء ﴿ فَتُثِيرُ ﴾ على المضارعة دون ما قبله وما بعده؟ قلت: ليحكي الحال الّتي تقع فيها إثارة الرِّياح السَّحاب وتستحضر تلك الصّورة البديعة الدَّالة على القدرة الربّانيّة، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصيّة، بحال تستغرب أو تهمّ المخاطب كما قال تأبّط شرّاً:

بِأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الغُولَ تَهْوِي ... بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ

فَأَضْرِبُها بِلاَ دَهَشٍ فَخَرَّتْ ... صَريعاً لِلْيَدَيْنِ ولِلجِرانِ[2]

حيث قال: "فأَضْرِبُها" لأنّه قَصَدَ أن يصوِّر لقومه، الحالة الّتي تشجّع فيها بزعمه على ضرب الغول، وكأنّه يبصّرهم إيّاها ويطلعهم على كنهها، مشاهدة للتَّعجيب من جرأته على كل هول، وثباته عند كل شدّة.

وكذلك سوق السَّحاب إلى البلد الميت، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها: لـمّا كانا من الدَّلائل على القدرة الباهرة قيل: ﴿ فَسُقْنَٰهُ ﴾ ﴿ فَأَحْيَيْنَا ﴾ معدولاً بهما عن لفظ الغيبة إلى ما

(1) راجع من الغيبة إلى التكلّم رقم (26).

(2) الغول: أنثى الشّياطين، الهوى: الهبوط؛ والمراد: سرعة العدو.

السَّهب: الفضاء المستوى البعيد الأطراف. الصحيفة: الكتاب. الصحصحان: المستوي من الأرض. الجران: مقدم عظم العنق إلى اللّبّة.

هو أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه وهو لفظ التّكلُّم.[1] ولو جاء متطابقاً متّسقاً لقيل: فَسَاقَ وَأَحَيَا.

العدول (الالتفات).

في قوله- تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ ﴾ عدولان (التفاتان):

الأول: في الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي فقد قال: ﴿ فَتُثِيرُ ﴾ مستقبلاً وما قبله وما بعده ماض لحكاية الحال الماضية واستحضار لتلك الصّورة البديعة الدّالة على كمال القدرة والحكمة، وهكذا يفعل بكلّ فعل فيه نوع تمييز وخصوصيّة كحال تستغرب أوتهمّ المخاطب وغير ذلك"[2].

"والعدول (الالتفات) الثّاني في قوله: ﴿ فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا ﴾ ولو جرى على نمط الكلام لقال: فَسَقَى وأَحْيَا، ولكنّه عدل بها عن لفظ الغيبة إلى لفظ التّكلُّم وهو أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه وإنّما عبّر بالماضيين بعد المضارع للدّلالة على التّحقُّق". [3]

من حديث الزُّبير بن العوّام في غزوة بدر، فإنّه قال: لقيت عبيدة بن سعد بن العاص وهو على فرس، وعليه لأمَة كاملة لا يُرى منه إلا عيناه، وهو يقول: "أنا أبو ذات الكؤوس،

(1) الكشّاف 1/ 56، ز 3/ 610، والدّر 9/ 215-216،

(2) اعراب القرآن وبيانه 8/ 131.

(3) نفسه 8/ 132.

وفي يدي عَنَزَة[1]، فأطعن بها في عينه، فوقع، وأطأ برجلي على خدِّه حتى خرجت العَنَزَة متعقِّفة.

العدول (الالتفات): قال أوّلاً: "لقيت عبيدة" بلفظ الماضي، ثم عدل بعد ذلك إلى التكلُّم فقال: "فأطعن بها في عينه"، ولو أراد الكلام متّسقاً متطابقاً؛ لقال: فطعنت بها في عينه.

(1) العَنَزَة: أطول من العصا، وأقصر من الرُّمح؛ في أسفلها زُجٌّ كزُجّ الرّمح يتوكأ عليها الشَّيخ الكبير. (ج) عَنَزٌ، وعَنَزَاتٌ.

خلاصة البحث

1- عدّ جُلّ البلاغيين الالتفات من علم البديع، وهذا يعني أنّه تزيين أسلوبيّ، وعدّه السّكّاكيّ من علم المعاني، وهو في رأيي أقرب إلى حقيقة الالتفات؛ لأنّ علم المعاني ألصق بالنّحو.

2- إنّ الالتفات – حسب رأي البلاغيين – يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التّكلُّم، وهذا حسب فهمي لمفهومهم أسلوب من أساليب القول، ولذلك قالوا: "إنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك:

- أحسن تطرية لنشاط السّامع،
- وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوبٍ واحد،
- وقد تختص مواقعه بفوائد.

أرى أنّ هذا فيه شيء من الحيف للسّامع، لأنّ الأصل في السّامع أن يكون مقبلاً على محدّثه أحسن إقبال، وأن يصغي إليه خير إصغاء؛ ليحقّق مهارة الاتصال الّتي هي أصل الفهم الصّحيح الواعي. وأما قولهم: "وقد تختصّ مواقعه بفوائد." مع ما في "قد" من إفادة التّقليل والشّك، إلّا أنّني أقول: إنّ صاحب القول بعدوله قصد عامداً متعمّداً قصداً ما، وغايةً بعينها.

3- إنّ اتّساق الكلام وتطابقه قد يُسرّع في فهم المعنى، فهو ليس بحاجةٍ إلى إعمال فكر، وإطالة نظر، ولذا فقد يفهم السّامع المعنى بسرعة، ولكن إذا خرج المتكلّم من الاتّساق والمطابقة وبخاصة مخاطبة الشّخص الواحد – وهذا سرُّ العدول – مرّة بالغيبة الّتي معناها النّحويُّ التّحقُّق، إلى المخاطبة وما فيها من حضور ومواجهة

وتشريف، أو ما فيها من مواجهة وتوبيخ، إلى التَّكلُّم وما فيه من مواجهة وحضور وتعظيم، فهذه المعاني النَّحويّة تُسبِل على المعنى معنى مقصوداً ومراداً.

4. إنّني أرى أنّ الالتفات نحويّاً: هو عُدول نحويّ عدل فيه صاحبه (المتكلّم) عن المطابقة (الاتِّساق) بين جملتين يكون الضّمير في المعدول إليه عائداً إلى المعدول عنه، في الأمر نفسه، قصد به صاحبه توضيح العلاقة بين المباني المكوِّنة للتَّركيب، واعيًا ما يريد أن يوصله إلى السَّامع، وأن يضيف معنى جديداً لم يكن ليتحقَّق لو جاء الكلام متّسقاً متطابقاً.

5- العدول (الالتفات) نوعٌ من أنواع الإعجاز القرآنيّ، فيما يخص الآيات نحويّاً؛ لأنّه يظهر جليّاً في تركيب الجمل؛ والعلاقة بين أجزائها نحويّاً.

6- إنّ دراسة العدول (الالتفات) تساعد على فهمٍ سليمٍ للقرآن الكريم، وإفهامه.

7- إنّ فهم معاني النّحو والمطابقة بين الجمل، والعدول عنها يساعد على اكتشاف أسرار نظم القرآن الكريم، وإدراك لجمال أسلوبه.

الكشّافات

الكشّاف الأوّل

.العدول (الالتفات) عن المطابقة حسب أنواعه، والسُّور والآيات، والسُّور الَّتي ورد فيها.

الكشّاف الثّاني

العدول (الالتفات) عن المطابقة في سور القرآن الكريم، وأنواعه.

الكشّاف الثّالث

الشّواهد القرآنيّة

الكشّاف الرّابع

المصادر والمراجع

الكشّاف الأوّل

الجدول (الالتفات) عن المطابقة حسب أنواعه والسُّور والآيات الَّتي ورد فيها

من الغيبة إلى الخطاب

رقم متسلسل	السُّورة ورقمها	الآية	الصفحة
1	الفاتحة – 1-	5-1	51
2	البقرة – 2-	21-1	63
3	البقرة -2-	28-26	66
4	البقرة – 2-	83	69
5	البقرة – 2-	85	75
6	البقرة – 2-	96	77
7	البقرة – 2-	144	78
8	البقرة -2-	196	79
9	البقرة -2-	244-443	80
10	آل عمران- 3-	28	82
11	آل عمران- 3-	81	83
12	آل عمران- 3-	83-82	83
13	آل عمران- 3-	115	84
14	آل عمران- 3-	180	86
15	آل عمران- 3-	187	88

رقم متسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة
16	النساء -4-	77	89
17	النساء -4-	107 -108- 109	90
18	المائدة -5-	50	90
19	الأنعام - 6-	6	91
20	الأعراف -7-	145	92
21	الأعراف -7-	169	93
22	الأنفال -8-	14	94
23	التوبة -9-	69	95
24	التوبة -9-	111	96-95
25	يونس -10-	21	96
26	هود -11-	28	97
27	الإسراء -17-	63	100
28	الكهف -18-	110	101
29	مريم -19-	71	101
30	مريم -19-	88- 89	103
31	النور -24-	10	103
32	النور -24-	22	104
33	الفرقان -25-	68- 69	104
34	الشعراء -26-	10- 11	105
35	السجدة -32-	7-8-9	106

رقم متسلسل	السُورة ورقمها	الآية	الصّفحة
36	الأحزاب- 33-	50	107-106
37	سبأ – 34-	37-34	109
38	الصّافات- 37-	38-36	110
39	غافر- 40-	21	110
40	الزّخرف- 43-	71	111
41	الزّخرف- 43-	72	111
42	محمَّد- ﷺ – 47-	22-21	112
43	الفتح -48-	20-18	113
44	الطّور-52-	39	115
45	الطّلاق- 65-	1	115
46	التّحريم- 66-	4	116
47	المُزَّمّل-73-	15	117
48	القيامة -75-	34-31	118
49	الإنسان- 76-	22-21	119
50	النّبأ -78-	30-21	119
51	عبس -80-	3-1	120
52	الفجر -89-	20-15	120
53	التّين- 95-	7-4	122
54	التّين- 95-	7-4	122
55	العلق- 96-	8-6	123

من الغيبة إلى التّكلُّم

رقم متسلسل	السّورة ورقمها	الآية	الصّفحة
1	آل عمرن -3-	11ـ10	125
2	آل عمران- 3-	48 -44	125
3	آل عمران- 3-	81	130
4	آل عمران- 3-	151 -149	130
5	آل عمران- 3-	195	131
6	النِّساء- 4-	114	132
7	النِّساء- 4-	152	133
8	النِّساء- 4-	162	134
9	المائدة -5-	12	135
10	الأنعام- 6-	34 -33	136
11	الأنعام- 6-	99	136
12	الأعراف- 7-	57	137
13	الأعراف- 7-	186	138
14	يونس - 10-	5	139
15	النّحل- 16-	2 -1	140
16	النّحل- 16-	51	141
17	النّحل- 16-	96	142
18	النَّحل -16-	122-120	143

الصّفحة	الآية	السّورة ورقمها	رقم متسلسل
144	1	الإسراء- 17-	19
147	97	الإسراء -17-	20
147	53	طه- 20-	21
149	48	الفرقان -25-	22
149	60	النّمل- 27-	23
150	23	العنكبوت- 29-	24
151	10	لقمان -31-	25
152	9	فاطر- 35-	26
152	27	فاطر- 35-	27
153	11- 12	فصّلت- 41-	28
154	11	الزّخرف- 43-	29
154	17	الفتح -48-	30

من الخطاب إلى الغيبة

رقم متسلسل	السُورة ورقمها	الآية	الصّفحة
1	الفاتحة – 1-	5	156
2	الفاتحة- 1-	7	158
3	البقرة- 2-	74	159
4	البقرة- 2-	86 -85	160-159
5	البقرة- 2-	140 -139	161
6	البقرة- 2-	144	162
7	البقرة- 2-	170	165
8	آل عمران- 3-	13	165
9	آل عمران- 3-	83	168
10	آل عمران- 3-	187	170
11	النِّساء- 4-	43	171
12	النِّساء- 4-	64	173
13	المائدة- 5-	39 -38	173
14	الأنعام- 6-	109	174
15	الأعراف- 7-	26	175
16	الأعراف- 7-	158	176
17	الأعراف- 7-	176 -175	177
18	يونس- 10-	22	178

رقم متسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة
19	الرّعد- 13-	41	181
20	إبرهيم- 14-	19- 21	182
21	النّحل- 16-	1	182
22	النّحل- 16-	15- 16	184
23	النّحل- 16-	68- 69	185
24	الإسراء- 17-	64	186
25	الكهف- 18-	110	186
26	الأنبياء- 21-	92- 93	187
27	النّور -24-	11	188
28	النّور- 24-	12	189
29	النّور- 24-	64	191
30	الفرقان- 25-	17- 19	192
31	الشّعراء- 26-	193- 196	194
32	النّمل- 27-	60	195
33	النّمل- 27-	93	196
34	العنكبوت- 29-	16- 24	197
35	الرّوم- 30-	39	198
36	الأحزاب- 33-	1- 2	199
37	الأحزاب- 33-	50	200
38	الصّافات -37-	153-158	201

رقم متسلسل	السُورة ورقمها	الآية	الصفحة
39	فصّلت- 41-	13	202
40	الزّخرف- 43-	70- 71	203
41	الجاثية- 45-	35	204
42	الحجرات- 49-	7	204
43	القمر- 54-	43- 44	205
44	الواقعة -56-	51-56	206
45	الحديد- 57-	12	206
46	الحشر- 59-	18-19	207 .

من الخطاب إلى التكلم

لا يوجد في الكتاب الكريم شيء منه. صفحة 208

من التَّكلُّم إلى الغيبة

رقم متسلسل	السُورة ورقمها	الآية	الصَفحة
1	البقرة- 2-	47- 48	209
2	البقرة- 2-	54	212
3	البقرة- 2-	58	213
4	البقرة- 2-	83	214
5	البقرة -2-	130-131	218
6	البقرة- 2-	159	219
7	البقرة- 2-	172	219
8	آل عمران -3-	11	220
9	آل عمران- 3-	55- 57	221
10	آل عمران- 3-	140	222
11	النّساء- 4-	64	223
12	يوسف- 12-	56	223
13	النّحل- 16-	51- 52	224
14	النَّحل -16-	101	226
15	الإسراء- 17-	1	226

الصّفحة	الآية	السُّورة ورقمها	رقم متسلسل
227	33-30	الأنبياء -21-	16
228	80	الأنبياء- 21-	17
229	17	الفرقان- 25-	18
230	8-7	الأحزاب -33-	19
231	53	الزّمر- 39-	20
233	6 -1	الدّخان- 44-	21
234	2 -1	الفتح- 48-	22
235	3 -1	الكوثر- 108-	23

من التّكلُّم إلى الخطاب

الصّفحة	الآية	السُّورة ورقمها	رقم متسلسل
236	72 -71	الأنعام- 6-	1
237	173-171	الأعراف -7-	2
238	22	يس- 36-	3
239	6 -1	الدّخان- 44-	4

في البنية

الصّفحة	الآية	السُّورة ورقمها	رقم متسلسل
241	63	الحجّ -22-	1
242	27	النّمل -27-	2
243	8-7	القصص -28-	3
244	9	فاطر- 35-	4

الكشّاف الثّاني

الجدول (الالتفات) عن المطابقة في سور القرآن الكريم وأنواعه

رقم الآية	السورة رقمها / نوع الالتفات	الصفحة
	الفاتحة -1-	
1- 5	من الغيبة إلى الخطاب	51
5	من الخطاب إلى الغيبة.	156
7	من الخطاب إلى الغيبة.	158
	البقرة -2-	
1- 21	من الغيبة إلى الخطاب.	63
26-28	من الغيبة إلى الخطاب.	66
47- 48	من التّكلّم إلى الغيبة.	209
54	من التّكلّم إلى الغيبة.	212
58	من التّكلّم إلى الغيبة.	113
74	من الخطاب إلى الغيبة.	159
83	من الغيبة إلى الخطاب.	69
83	من التّكلّم إلى الغيبة.	214
85	من الغيبة إلى الخطاب.	75
85- 86	من الخطاب إلى الغيبة.	159-160
96	من الغيبة إلى الخطاب.	77

رقم الآية	السورة رقمها / نوع الالتفات	الصفحة
131-130	من التّكلُّم إلى الغيبة.	218
140 -139	من الخطاب إلى الغيبة.	161
144	من الغيبة إلى الخطاب.	78
144	من الخطاب إلى الغيبة.	162
159	من التّكلُّم إلى الغيبة.	219
170	من الخطاب إلى الغيبة.	165
172	من التّكلُّم إلى الغيبة.	219
196	من الغيبة إلى الخطاب.	79
244-243	من الغيبة إلى الخطاب.	80
	آل عمران -3-	
11-10	من الغيبة إلى التّكلُّم.	125
11	من التّكلُّم إلى الغيبة.	220
13	من الخطاب إلى الغيبة.	165
28	من الغيبة إلى الخطاب.	82
48 -44	من الغيبة إلى التّكلُّم.	125
57 -55	من التّكلُّم إلى الغيبة.	221
81	من الغيبة إلى الخطاب.	83
81	من الغيبة إلى التّكلُّم.	130

رقم الآية	السورة، رقمها / نوع الالتفات	الصفحة
82- 83	من الغيبة إلى الخطاب.	83
83	من الخطاب إلى الغيبة.	168
115	من الغيبة إلى الخطاب.	84
140	من التّكلُّم إلى الغيبة.	222
149- 151	من الغيبة إلى التّكلُّم.	130
180	من الغيبة إلى الخطاب.	86
187	من الغيبة إلى الخطاب.	88
187	من الخطاب إلى الغيبة.	170
195	من الغيبة إلى التّكلُّم.	131
	النساء -4-	
43	من الخطاب إلى الغيبة.	171
64	من الخطاب إلى الغيبة.	173
64	من التّكلُّم إلى الغيبة.	223
77	من الغيبة إلى الخطاب.	89
107- 108- 109	من الغيبة إلى الخطاب.	90
114	من الغيبة إلى التّكلُّم	132
152	من الغيبة إلى التّكلُّم.	133
162	من الغيبة إلى التّكلُّم.	134

رقم الآية	السورة رقمها / نوع الالتفات	الصفحة
	المائدة -5-	
12	من الغيبة إلى التكلُّم	**135**
38- 39	من الخطاب إلى الغيبة.	173
50	من الغيبة إلى الخطاب.	90
	الأنعام -6-	
6	من الغيبة إلى الخطاب.	91
33-34	من الغيبة إلى التكلُّم.	136
71- 72	من التكلُّم إلى الخطاب.	236
99	من الغيبة إلى التكلُّم.	136
109	من الخطاب إلى الغيبة.	174
	الأعراف -7-	
26	من الخطاب إلى الغيبة.	175
57	من الغيبة إلى التكلُّم.	137
145	من الغيبة إلى الخطاب.	92
158	من الخطاب إلى الغيبة.	176
169	من الغيبة إلى الخطاب.	93
171-173	من التكلُّم إلى الخطاب.	237
175-176	من الخطاب إلى الغيبة.	177
186	من الغيبة إلى التكلُّم.	138

الصفحة	السورة رقمها / نوع الالتفات	رقم الآية
	الأنفال -8-	
94	من الغيبة إلى الخطاب.	14
	التوبة -9-	
95	من الغيبة إلى الخطاب.	69
96-95	من الغيبة إلى الخطاب.	111
	يونس -10 -	
139	من الغيبة إلى التكلُّم.	5
96	من الغيبة إلى الخطاب.	21
178	من الخطاب إلى الغيبة.	22
	هود -11-	
97	من الغيبة إلى الخطاب.	28
	يوسف -12-	
223	من التكلُّم إلى الغيبة.	56
	الرّعد -13-	
181	من الخطاب إلى الغيبة.	41
	إبراهيم -14 -	
182	من الخطاب إلى الغيبة.	21 -19
	النّحل-16-	
182	من الخطاب إلى الغيبة.	1
140	من الغيبة إلى التكلُّم.	2 -1

رقم الآية	السورة. رقمها / نوع الالتفات	الصفحة
15- 16	من الخطاب إلى الغيبة.	184
51	من الغيبة إلى التّكلُّم.	141
51- 52	من التّكلُّم إلى الغيبة.	224
68- 69	من الخطاب إلى الغيبة.	185
96	من الغيبة إلى التّكلُّم.	142
101	من التّكلُّم إلى الغيبة.	**226**
120-122	من الغيبة إلى التّكلُّم.	**143**
	الإسراء -17-	
1	من الغيبة إلى التّكلُّم.	144
1	من التّكلُّم إلى الغيبة.	226
63	من الغيبة إلى الخطاب.	100
64	من الخطاب إلى الغيبة.	186
97	من الغيبة إلى التّكلُّم.	**147**
	الكهف -18-	
110	من الغيبة إلى الخطاب.	101
110	من الخطاب إلى الغيبة.	186
	مريم -19-	
71	من الغيبة إلى الخطاب.	101
88- 89	من الغيبة إلى الخطاب.	103

رقم الآية	السورة رقمها / نوع الالتفات	الصفحة
	طه -20-	
53	من الغيبة إلى التّكلُّم.	147
	الأنبياء -21-	
30-33	من التّكلُّم إلى الغيبة.	227
80	من التّكلُّم إلى الغيبة.	228
92- 93	من الخطاب إلى الغيبة.	187
	الحجّ -22-	
63	في البنية	241
	النّور -24-	
10	من الغيبة إلى الخطاب.	103
11	من الخطاب إلى الغيبة.	188
12	من الخطاب إلى الغيبة.	189
22	من الغيبة إلى الخطاب.	104
64	من الخطاب إلى الغيبة.	191
	الفرقان -25-	
17	من التّكلُّم إلى الغيبة.	229
17- 19	من الخطاب إلى الغيبة.	192
48	من الغيبة إلى التّكلُّم.	149
68- 69	من الغيبة إلى الخطاب.	104

رقم الآية	السُورة رقمها / نوع الالتفات	الصَفحة
	الشُعراء-26-	
10- 11	من الغيبة إلى الخطاب.	105
193- 196	من الخطاب إلى الغيبة.	194
	النّمل-27-	
27	في البنية	**242**
60	من الغيبة إلى التّكلُّم.	149
60	من الخطاب إلى الغيبة.	195
93	من الخطاب إلى الغيبة.	196
	القصص-28-	
7-8	في البنية	**243**
	العنكبوت -29-	
16- 24	من الخطاب إلى الغيبة.	197
23	من الغيبة إلى التّكلُّم.	150
	الرُّوم -30-	
39	من الخطاب إلى الغيبة.	198
	لقمان-31-	
10	من الغيبة إلى التّكلُّم.	**151**
	السُّجدة -32-	
7-8-9	من الغيبة إلى الخطاب.	**106**

رقم الآية	السورة رقمها / نوع الالتفات	الصفحة
	الأحزاب -33-	
1 - 2	من الخطاب إلى الغيبة.	199
7-8	من التَّكلُّم إلى الغيبة.	230
50	من الخطاب إلى الغيبة.	200
50	من الغيبة إلى الخطاب.	106-107
	سبأ -34-	
34- 37	من الغيبة إلى الخطاب.	109
	فاطر -35-	
9	من الغيبة إلى التَّكلُّم.	152
9	في البنية	244
27	من الغيبة إلى التَّكلُّم.	152
	يس -36-	
22	من التَّكلُّم إلى الخطاب.	238
	(37) الصّافات -37-	
36- 38	من الغيبة إلى الخطاب	110
153-158	من الخطاب إلى الغيبة.	201
	الزُّمر -39-	
53	من التَّكلُّم إلى الغيبة.	231

رقم الآية	السورة رقمها / نوع الالتفات	الصفحة
	غافر -40-	
21	من الغيبة إلى الخطاب.	110
	فصّلت -41-	
11 -12	من الغيبة إلى التّكلُّم.	153
13	من الخطاب إلى الغيبة.	202
	الزُّخرف -43-	
11	من الغيبة إلى التّكلُّم.	154
70- 71	من الخطاب إلى الغيبة.	203
71	من الغيبة إلى الخطاب.	111
72	من الغيبة إلى الخطاب.	111
	الدُّخان -44-	
1- 6	من التّكلُّم إلى الغيبة.	233
1- 6	من التّكلُّم إلى الخطاب.	239
	الجاثية -45-	
35	من الخطاب إلى الغيبة.	204
	محمّد ﷺ -47-	
21- 22	من الغيبة إلى الخطاب.	112
	الفتح -48-	
1- 2	من التّكلُّم إلى الغيبة.	234

رقم الآية	السورة رقمها / نوع الالتفات	الصفحة
17	من الغيبة إلى التكلّم.	154
18-19-20	من الغيبة إلى الخطاب.	113
الحجرات -49-		
7	من الخطاب إلى الغيبة.	204
الطّور -52-		
39	من الغيبة إلى الخطاب.	115
القمر -54-		
43- 44	من الخطاب إلى الغيبة.	205
الواقعة -56-		
51-56	من الخطاب إلى الغيبة.	206
الحديد -57-		
12	من الخطاب إلى الغيبة.	206
الحشر -59-		
18- 19	من الخطاب إلى الغيبة.	207
الطّلاق -65-		
1	من الغيبة إلى الخطاب.	115
التّحريم -66-		
4	من الغيبة إلى الخطاب.	116

رقم الآية	السّورة رقمها / نوع الالتفات	الصّفحة
	المزّمّل -66-	
15	من الغيبة إلى الخطاب	117
	القيامة -75-	
34-31	من الغيبة إلى الخطاب	118
	الإنسان -76-	
22 -21	من الغيبة إلى الخطاب	119
	النّبأ -78-	
30-21	من الغيبة إلى الخطاب	119
	عبس -80-	
3-1	من الغيبة إلى الخطاب	120
	الفجر -89-	
25-15	من الغيبة إلى الخطاب	120
	التّين -95-	
7 -4	من الغيبة إلى الخطاب.	122
7-4	من الغيبة إلى الخطاب.	122
	العلق -96-	
8 -6	من الغيبة إلى الخطاب	123
	الكوثر	
3 -1	من التّكلّم إلى الغيبة	235

الكشّاف الثّالث

الشّواهد القرآنيّة

رقم متسلسل	السّورة ورقمها	الآية	الصّفحة
	الفاتحة-1-		
1		7 -2	24
2		4-2	64
3		4-5	26
4		5	58 و 65
5		7	28ـ29
	البقرة -2-		
6		2-1	20 و 21
7		60	61
8		83	27 و 28
9		85	70
10		125	30
11		137	100
12		234	20
	آل عمران -3-		
13		9	27 و 28
	النساء -4-		
14		86	58
	الأنعام -6-		
15		72	30
	الاعراف -7-		
16		29	25

رقم متسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة
	التوبة -9-		
17		1	20
18		127	26
	يونس-10-		
19		1	18
20		22	26ـ24ـ21ـ20ـ18ـ7
21		78	29ـ16ـ15
22		87	29
	هود -11-		
23		14	20
24		54-53	25
25		54	30
26		69	58
27		90	27 و28
28		103	25
	يوسف -12-		
29		79	57
	الإسراء -17-		
30		81	26
	الكهف -18-		
31		47	30
	طه -20-		
32		79	29
33		117	29

رقم متسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة
	الحجّ -22-		
34		25	25 و30
35		30	30
36		31	30
	المؤمنون -23-		
37		101	211
38		112-111	31
39		116-115	31
	الفرقان -25-		
40		48	27 و28
	النّمل -27-		
41		87	25 و30
	الأحزاب -33-		
42		9	199
	سبأ -34-		
43		13	59
	فاطر -35-		
44		9	18 و25 و30
	يس -36-		
45		22	24 و28
	الصّافات -37-		
46		21	27
47		27	211
	الزّمر -39-		
48		53	27 و28

رقم متسلسل	السّورة ورقمها	الآية	الصّفحة
فصّلت -41-			
49		12-11	24
الدّخان -44-			
50		6-1	24
محمّد - ﷺ - 47-			
51		4	57
الرّحمن-55-			
52		34-33	30
الواقعة -56-			
53		2	108
الطّلاق -65-			
54		1	29
القيامة -75-			
55		34-33	20
العاديات -100-			
56		7-6	29
57		8	29

الكَشّاف الرّابع
المراجع والمصادر

– أ –

- أمسيات قرب قرية دبكانكا؛ نيكولاي جوجول، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد، سلسلة شعبيّة تعيد إصدارها دار المدى للثّقافة والنّشر؛ دمشق، بيروت، بغداد؛ 2006.
- أساس البلاغة؛ الزّمخشريّ (جاد الله ابو القاسم محمود بن عمر)؛ دار المعرفة للطّباعة والنّشر، بيروت.
- أسرار البلاغة؛ الإمام عبد القاهر الجرجانيّ، شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، النّاشر مكتبة القاهرة بمصر؛ ط2، 1396هـ – 1976م.
- الأعمال الشّعريّة الكاملة، عبد الله رضوان؛ الكندي للنّشر والتّوزيع، عمّان؛ 2001.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر؛ أحمد بن محمد عبد الغني الدّمياطيّ الشّافعيّ، الشّهير بالبنّاء؛ رواه وصححه وعلق عليه محمد الضّباع؛ دار النّدوة الجديدة؛ بيروت – لبنان. بلا طبعة، بلا تاريخ.
- الاتقان في علوم القرآن؛ تأليف شيخ الإسلام جلال الدّين السّيوطيّ؛ المكتبة الثّقافيّة؛ بيروت – لبنان، بلا طبعة، وبلا تاريخ.
- إعجاز القرآن، للباقلانيّ؛ تحقيق السّيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ط3.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدّين الدّرويش؛ دار ابن كثير، دمشق – سوريا، بيروت – لبنان، دار الإرشاد؛ حمص – سورية، 1408هـ – 1988م.

- إعراب القرآن المنسوب للزَّجَّاج؛ تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياريّ، وزارة الثَّقافة الإرشاد القوميّ، المؤسَّسة العامة للتَّأليف والتَّرجمة والطِّباعة؛ القاهرة؛ 1963- 1965، ثلاثة اقسام.
- إعراب القرآن؛ لأبي جعفر النَّحاس؛ تحقيق د. زهير غازي زاهد؛ رئاسة ديوان الأوقاف؛ إحياء التُّراث الإسلاميّ – 26- ؛ مطبعة العاني؛ بغداد؛ 1397هـ – 1977م.
- الافتقار إلى الله لبّ العبوديَّة، تأليف احمد بن عبد الرحمن الصويَّان، ط1؛ 1425هـ – 2004م، كتاب البيان 57، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلاميّ.
- الانتصاف فيما تضمنه الكشَّاف من الاعتزال؛ للإمام ناصر الدِّين أحمد محمد بن المنير الإسكندريّ المالكيّ، في حاشية الكشَّاف للزَّمخشريّ؛ تحقيق عبد الرَّزَّاق المهديّ، دار إحياء التُّراث العربيّ، مؤسَّسة التَّاريخ العربيّ، بيروت – لبنان، ط2، 1421هـ – 2001م.
- إملاء ما من به الرَّحمن، لأبي البقاء العبكريّ، دار الكتب العلميّة؛ بيروت، لبنان؛ ط1، 1399هـ – 1979م.

– ب –

- البحث النَّحويُّ عند الأصوليِّين؛ د. مصطفى جمال الدِّين، دار الرَّشيد للنَّشر، منشورات وزارة الثَّقافة والإعلام – الجمهوريَّة العراقيَّة؛ سلسلة دراسات (228)؛ 1980.
- البيان في غريب إعراب القرآن؛ أبو البركات بن الأنباريّ؛ تحقيق د. طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السَّقا؛ دار الكاتب العربيّ للطِّباعة والنَّشر بالقاهرة 1389هـ – 1969م، المكتبة العربيّة؛ تصدرها وزارة الثَّقافة، الجمهورية العربيّة المتَّحدة، المؤسَّسة

المصريّة العامّة للتّأليف والنّشر؛ بالاشتراك مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيّة.

- بديع القرآن؛ ابن أبي الأصبع المصريّ؛ تحقيق د. محمد شرف؛ القاهرة 1377هـ — 1957م.
- البهجة المرضيَّة في شرح الألفيّة للإمام جلال الدِّين محمد بن عبد الله بن مالك، هامش شرح ابن عقيل على الألفية، طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربيّة لأصحابها عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه، بمصر.
- البديعيات في الأدب العربي، نشأتها — تطورها — أثرها؛ إعداد علي أبو زيد، عالم الكتب؛ بيروت، دمشق، ط1؛ 1403هـ — 1983.

- ت -

- التِّبيان في تفسير القرآن؛ تأليف: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطّوسيّ؛ تحقيق: أحمد حبيب قيصر العامليّ؛ النّجف؛ مكتبة القيصر؛ 1963م.
- التِّبيان في إعراب القرآن؛ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العبكريّ؛ تحقيق علي محمَّد البجّاويّ، دار الجيل؛ بيروت؛ ط2؛ 1407هـ — 1987م.
- التُّحفة السَّنيّة بشرح المقدّمة الأجُرُّوميّة، تأليف محمد محيي الدِّين عبد الحميد، تحقيق د.شوكت عليّ درويش، مكتبة الرُّشد ناشرون؛ المملكة العربيّة السّعوديّة — الرِّياض، ط2؛ 1424هـ — 2003م.
- التّذكرة في القراءات؛ الشَّيخ أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون؛ تحقيق د. عبد الفتّاح بحيريّ إبراهيم، الزَّهراء للإعلام العربيّ، مدينة نصر، القاهرة؛ ط1؛ 1410هـ — 1990م.

- التّعريفات؛ للفاضل العلّامة عليّ بن محمد الشّريف الجرجانيّ؛ مكتبة لبنان – بيروت؛ لبنان، 1978م.
- تفسير البحر المحيط؛ محمد بن يوسف الشّهير بأبي حيّان الأندلسيّ الغرناطيّ؛ دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط2؛ 1403هـ – 1983م.
- تفسير القرآن العظيم؛ للإمام الجليل الحافظ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشيّ الدمشقيّ، صححها نخبة من العلماء، يطلب من مكتبة الجمهوريّة العربيّة، بشارع الصنادقيّة بالأزهر بمصر، طبع بدار إحياء الكتب العربيّة؛ عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه.
- تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه،منشورات دار الحكمة، دمشق، بيروت ط1، 1402هـ – 1982م.
- تفسير القرطبيّ؛ الجامع لأحكام القرآن؛ لأبي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ، كتاب الشّعب، دار الشّعب؛ القاهرة.
- تفسير النّهر المادّ من البحر، لأبي حيّان، بهامش تفسير البحر المحيط.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن؛ تأليف الشّريف الرّضي؛ تحقيق وتدقيق د. عليّ محمّد مقلّد، منشورات دار مكتبة الحياة؛ بيروت – لبنان، 1986م.
- تنزيل الآيات على الشّواهد من الأبيات؛ شرح شواهد الكشّاف؛ تأليف محمد بن أبي بكر بن داود عبدالرّحمن العلوانيّ الحمويّ أبو الفضل المعروف بمحبّ الدّين أفندي؛ دار إحياء التّراث العربي؛ بيروت- لبنان؛ الطّبعة الأولى 1418هـ – 1997م.
- التّيسير في القراءات السّبع؛ تأليف الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الدّانيّ، عني بتصحيحه اوتوبرتزل، دار الكتاب العربيّ، بيروت – لبنان، ط3؛ نوفمبر 1406هـ – 1985م.

-ج-

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشميّ؛ ط 12.

-ح-

- الحجّة في القراءات السّبع، للإمام ابن خالويه؛ تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم؛ دار الشُّروق، بيروت والقاهرة، ط3؛ 1399هـ- 1979م.
- حجّة القراءات للإمام أبي زرعة عبد الرّحمن بن محمّد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسّسة الرّسالة، بيروت؛ ط2؛ 1391هـ- 1979م.
- حسن التّوسل إلى صناعة التّرسل؛ شهاب الدّين محمّد الحلبيّ؛ تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف؛ دار الرّشيد للنّشر؛ سلسلة كتب التراث (86) ؛ الجمهوريّة العراقيّة، وزارة الثّقافة والإعلام (1980).

-خ-

- خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب؛ تأليف عبد القادر بن عمر البغداديّ، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون ج1، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1979م، ط2، ج2، 3، 4، دار الكاتب العربيّ للطّباعة والنّشر بالقاهرة، 1387هـ - 1389هـ الموافق 1967م - 1969م، ج5، 6، 7؛ الهيئة المصريّة العامّة للكتاب 1396هـ - 1399هـ الموافق 1976م - 1379م والأجزاء السّبعة سلسلة - تراثنا- ، ج8؛ النّاشر مكتبة الخانجيّ بمصر، 1400هـ- 1981م، ج9، النّاشر مكتبة الخانجيّ بالقاهرة، ط2، 1408هـ - 1988م، ج10، و11، النّاشر مكتبة الخانجيّ بالقاهرة، دار الرّفاعي بالرّياض، ط1، 1403هـ - 1982م- 1983م.

- د -

- الدِّراسات الصَّوتية عند علماء التَّجويد، د. غانم قدّوريّ الحمد دار عمّار للنَّشر والتَّوزيع، عمّان، ط1، 1424هـ — 2003م.
- الدُّر اللَّقيط من البحر المحيط؛ للإمام تاج الدِّين الحنفيّ النَّحويّ، مطبوع بهامش البحر المحيط، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع؛ ط2/ 1403هـ — 1983م.
- الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون؛ تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسَّمين الحلبيّ، تحقيق د. أحد محمد الخرّاط؛ دار القلم، دمشق؛ ط1، 1406هـ — 1986م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، تأليف الإمام عبد القاهر الجرجانيّ، صحح أصله علاّمتا المعقول والمنقول الأستاذ الإمام الشَّيخ محمَّد عبده، والأستاذ اللُّغوي المحدِّث الشَّيخ محمد محمود التّركزيّ الشّنقيطيّ، ووقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه السَّيد محمَّد رشيد رضا؛ دار المعرفة، بيروت — لبنان؛ 1404هـ — 1984م.

- ر -

- الرُّخصة النَّحويَّة؛ د. شوكت عليّ عبد الرَّحمن درويش؛ 1425هـ — 2004م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني؛ العلامة السَّيد محمَّد شكري الألوسي؛ إدارة الطِّباعة المنيريَّة مصر؛ دار إحياء التُّراث العربيّ؛ بيروت — لبنان؛ ط4؛ 1405 هـ — 1985م.

- س -

- السَّبعة في القراءات؛ لابن مجاهد؛ تحقيق د. شوقي ضيف؛ دار المعارف؛ ط3.
- سيرة النَّبيّ — ﷺ — ؛ لأبي محمّد عبد الملك بن هشام، راجع أصولها، وضبط غريبها، وعلَّق حواشيها، ووضع فهارسها محمَّد محيي الدّين عبدالحميد، كتاب التَّحرير، القاهرة؛ **1383هـ**.

-ش-

- شذا العَرف في فن الصَّرف؛ الأستاذ أحمد الحملاويّ؛ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ بمصر؛ ط16، 1384 هـ - 1965م.
- شرح ابن عقيل على الألفيّة؛ كمال الدِّين محمَّد بن عبد الله بن مالك؛ طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربيّة؛ لأصحابها عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه؛ بجوار سيدنا الحسين بمصر.
- شرح الأشمونيّ على ألفية بن مالك؛ المسمَّى "منهج السَّالك إلى ألفية بن مالك" حقَّقه محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد؛ دار الكتاب العربيّ؛ بيروت - لبنان، ط1؛ المحرم الحرام 1375هـ - أغسطس 1955م.
- شرح شواهد المغني؛ تأليف الإمام جلال الدِّين عبد الرَّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ؛ ذيّل بتصحيحات وتعليقات العلامة الشَّيخ محمَّد محمود بن التَّلاميذ التّركزيّ الشَّنقيطيّ؛ وقف على طبعه وعلَّق حواشيه أحمد ظافر كوجان؛ لجنة التّراث العربيّ.
- شرح اللُّمع، ابن بَرهان العكبريّ؛ تحقيق د. فايز فارس، السّلسلة التُّراثيّة - 11 - الكويت، ط1، 1405 هـ - 1984م.
- شرح المفصَّل؛ ابن يعيش؛ عالم الكتب - بيروت.

- ص-

- صحيح أبي عبد الله البُخاريّ؛ بشرح الكرمانيّ؛ دار إحياء التُّراث العربيّ؛ بيروت - لبنان؛ ط2؛ 1401 هـ - 1981م.
- صفوة التَّفاسير؛ محمّد عليّ الصّابونيّ؛ دار القرآن الكريم -بيروت؛ ط1؛ 1401 هـ - 1981م.

- ض-

- الضَّمائر في اللُّغة العربيَّة؛ د. محمد عبد الله جبر؛ دار المعارف؛ ط1؛ 1983هـ.

- ع -

- العلامة الإعرابيّة بين ورش وحفص؛ د. شوكت عليّ عبد الرَّحمن درويش؛ دار يافا العلميَّة؛ عمّان – المملكة الأردنّية الهاشميَّة؛ ط1؛ 1427هـ – 2006م.
- العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده، تأليف أبي عليّ الحسن بن رشيق، القيروانيّ، الأزديّ؛ حققه، وفصَّله، وعلَّق حواشيه محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد؛ دار الجيل للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة؛ بيروت، ط4، 1972م.

- ف -

- فتح الباري بشرح البخاريّ؛ تأليف الحافظ شهاب الدِّين أبي الفضل العسقلانيّ؛ المعروف بابن حجر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده بمصر؛ 1378هـ – 1959م.

- ق -

- القطع والأئتناف؛ تصنيف أبي جعفر النَّحاس؛ تحقيق د. أحمد خطَّاب العمر، مطبعة العاني؛ بغداد، ط1؛ 1398هـ – 1978م.

- ك -

- الكتاب؛ كتاب سيبويه؛ أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر؛ تحقيق وشرح عبد السَّلام محمَّد هارون ج1، ط1؛ دار القلم، 1385هـ – 1966م، جـ2؛ دار الكاتب العربيّ للطِّباعة والنَّشر بالقاهرة؛ 1388 هـ – جـ3؛ الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب؛ 1973م، جـ4؛ الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب؛ 1395هـ – 1975م ج5؛ الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب؛ 1397هـ – 1977م.

- الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل؛ تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ الخوارزميّ، تحقيق عبد الرّزّاق المهديّ؛ دار إحياء التّراث العربيّ، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، بيروت – لبنان؛ ط2؛ 1421 هـ – 2001م.
- الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها؛ لمؤلفه أبي محمّد مكّي بن أبي طالب القيسيّ، تحقيق د. محيي الدّين رمضان؛ مؤسّسة الرّسالة؛ بيروت – لبنان؛ ط2؛ 1401هـ – 1981م.

- ل -

- لسان العرب؛ دار صادر؛ بيروت؛ 2/ 84؛ مادة لفت.
- اللّغة العربيّة معناها ومبناها؛ د. تمّام حسّان؛ الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1973م.
- اللّمع في العربيّة؛ لأبي عثمان بن جنّيّ؛ حققه فايز فارس؛ دار الكتب الثّقافيّة؛ الكويت.

- م -

- المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر؛ تأليف أبي الفتح ضياء الدّين نصر الله بن محمّد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصليّ؛ بتحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد؛ المكتبة العصريّة؛ صيدا – بيروت.
- مجاز القرآن؛ صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنّى التّيميّ؛ عارضه بأصوله وعلّق عليه د. محمّد فؤاد سزكين، النّاشر مكتبة الخانجيّ بمصر.
- مجموع الأدب في فنون العرب؛ تأليف الشّيخ ناصيف اليازجيّ اللّبنانيّ؛ رتبه على نمط جديد الأستاذ لبيب جريدينيّ، طبع في المطبعة الأمريكانيّة في بيروت، ط12؛ 1945م.
- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمّد بن عبد الحقّ بن غالب بن عطيّة الأندلسيّ؛ تحقيق المجلس العلمي بفاس؛ من الجزء الأوّل إلى الجزء العاشر 1395هـ 1407هـ الموافق 1975م – 1987م، والمجلس العلميّ بمكناس؛ من الجزء الحادي عشر إلى الجزء الثّالث عشر 1408هـ – 1409هـ الموافق 1988م – 1989م،

والمجلس العلميّ بتارودانت من الجزء الرَّابع عشر إلى الجزء السَّادس عشر 1409 هـ – 1411هـ الموافق 1989م – 1991م؛ مديرية الشُّؤون الإسلاميَّة، وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة؛ المملكة المغربيَّة.

- مختار الصِّحاح؛ محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازيّ؛ دار الكتب العلميَّة – بيروت.
- مختصر في شواذّ القرآن من كتاب البديع؛ لابن خالويه؛ عالم الكتب، بيروت.
- المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها؛ للعلّامة عبد الرَّحمن جلال الدِّين السّيوطيّ؛ شرحه وضبطه وصحَّحه وعنون موضوعاته وعلَّق حواشيه محمَّد أحمد جاد المولى، وعليّ محمَّد البجّاويّ، ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم؛ دار إحياء الكتب العربيَّة؛ عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه.
- مشكل إعراب القرآن؛ لأبي محمَّد مكّي بن أبي طالب القيسيّ؛ تحقيق د. حاتم صالح الضَّامن؛ مؤسسة الرِّسالة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع؛ بيروت؛ ط2؛ 1405هـ – 1984م.
- المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير للرّافعيّ؛ أحمد بن محمَّد بن عليّ المقَّريّ، المكتبة العلميَّة – بيروت.
- مصحف إفريقيا؛ القرآن الكريم برواية الدُّوري عن أبي عمرو، دار مصحف إفريقيا؛ الخرطوم – السُّودان.
- مصحف الجماهيريَّة؛ برواية الإمام قالون؛ والرَّسم العثمانيّ على ما اختاره الحافظ أبو عمرو الدَّانيّ؛ أشرفت على إعداده وطباعته ونشره جمعيَّة الدَّعوة الإسلاميَّة العالميَّة؛ طرابلس – الجماهيريَّة العربيَّة الليبيَّة الشعبيَّة الاشتراكيَّة العظمى.
- المصحف الشَّريف الحسنيّ المسبّع، القرآن الكريم برواية الإمام ورش عن نافع؛ وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة؛ الرّباط – المملكة المغربيَّة؛ عام 1417هـ.

- مصحف المدينة النّبويّة؛ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم؛ مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف؛ المدينة المنوّرة.
- معاني القرآن؛ الأخفش الاوسط، تحقيق د. فايز فارس؛ ط2؛ 1401هـ 1981م.
- معاني القرآن، لأبي زكريّا يحيى بن زياد الفرّاء؛ تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمّد عليّ النّجّار، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط2، 1980.
- معاني النّحو؛ د. صالح فاضل السّامرائيّ؛ وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ؛ جامعة بغداد؛ 1986 – 1987م
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للحافظ جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ؛ تحقيق عليّ محمّد البجّاويّ؛ دار الفكر العربيّ.
- معجم القراءات القرآنيّة؛ مع مقدّمة في القراءات وأشهر القرّاء؛ د. أحمد مختار عمر ود. عبد العال سالم مكرم، مطبوعات جامعة الكويت، ط2، 1408هـ – 1988م.
- معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها؛ تأليف د. أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلميّ العراقيّ؛ 1407هـ 1987م.
- معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب؛ مجدي وهبة، وكامل المهندس؛ مكتبة لبنان – بيروت؛ 1979م.
- معجم النّقد العربيّ القديم؛ د. أحمد مطلوب؛ وزارة الثّقافة والإعلام – دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، ط1، 1989م، بغداد.
- المعجم الوسيط؛ قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزّيات؛ وحامد عبد القادر، ومحمّد عليّ النّجّار، وأشرف على طبعه عبد السّلام هارون؛ مجمع اللّغة العربيّة؛ بالقاهرة؛ المكتبة العلميّة – طهران.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السّكّاكيّ، القاهرة؛ 1356هـ 1937م.

- مفردات ألفاظ القرآن؛ الرّاغب الأصفهانيّ؛ الدّار الشّاميّة؛ بيروت؛ ط1؛ 1416هـ - 1996م.
- الموفي في النّحو الكوفيّ؛ للسّيد صدر الدّين الكنغراويّ الاستانبوليّ؛ شرحه بتعليقات توضّح غوامضه ومقاصده محمّد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ بدمشق.
- مختارات من كتاب جوامع الدّعاء من القرآن والسّنة، تأليف الإمام الأكبر د. محمّد سيّد طنطاويّ، صوت الأزهر.
- مختصر في شواذّ القراءات من كتاب البديع؛ لابن خالويه؛ عالم الكتب؛ بيروت.
- المحتَسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها؛ لأبي الفتح عثمان بن جنّيّ؛ تحقيق علّي النّجديّ ناصف وزميليه، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة؛ 1386هـ - 1389هـ.
- مغني اللّبيب في كتب الأعاريب؛ لجمال الدّين ابن هاشم الأنصاريّ؛ حقّقه وعلّق عليه د. مازن المبارك ومحمّد عليّ حمد الله؛ راجعه سعيد الأفغانيّ؛ دار الفكر - بيروت؛ ط5؛ 1979م.

- ن -

- النّحو الوافي؛ عبّاس حسن؛ دار المعارف بمصر؛ جـ1؛ ط4، جـ2؛ ط3، جـ3؛ ط3، جـ4، ط2.
- النّشر في القراءات العشر؛ للحافظ أبي الخير محمّد بن محمّد الدّمشقيّ الشّهير بابن الجزريّ، صححه وراجعه عليّ محمّد الضّباع، دار الفكر للطّباعة والتّوزيع والنّشر.

- نهاية الأرب في فنون الأدب؛ تأليف شهاب الدِّين أحمد بن عبدالوهاب النّويريّ، وزارة الثَّقافة والإرشاد القوميّ، المؤسَّسة المصريّة للتَّأليف والتَّرجمة والطّباعة والنَّشر؛ السِّفر السَّابع.

﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

الالتفات نحويّاً
في القراءات القرآنيّة

9789957480486

دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+
خلـــوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com